أسماء الاستفهام في حزب النّبأ

دراسة نحويّة بلاغيّة

د. حفصة الطّاهر المبروك
كلّيّة التّربية: ككّلة/جامعة غريان

المقدّمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين نبينا محمد و على آله الطّيبين الطّاهرين، وبعد:

فإن القرآن الكريم ينبوع اللّغة العربية، ومعينها الصافي نستمدّ منه اللّغة و الدّين، فهو يمثّل الذّروة في الأساليب العربية، وأهمها الأساليب الإنشائية الّتي تعدّ من أهم المباحث الّتي ظفرت بعناية الباحثين في القرآن الكريم، حيث احتلّت منزلة واضحة في الدراسات القرآنية منذ أول ظهورها في الوقت نفسه، و لكثرة ما تضمه من أغراض بلاغية عني علماء البلاغة بتفهم هذه الأساليب؛ لكثرة ورودها في كتاب الله عزّ وجل.

و الأسلوب الّذي لفت نظري هو(أسلوب الاستفهام) و الّذي يعدّ من أدق مباحث الإنشاء و أجملها، ومن أغزر قوالب المعنى و ألطفها، فأساليب الاستفهام متعددة، و إيحاءاتها ثرة متنوعة، تتنوع بتنوع أدواتها، و تتبين بتتبع استعمالاتها، فلكل أداة مقام، و لكل أسلوب مجال .

و المتتبع لأساليب الاستفهام الواردة في القرآن الكريم يجد أنّها غالبا ما خرجت عن المعاني الأصلية، إلى أسرار و أغراض بلاغية أخرى جديرة بدراسة علمية قام هذا البحث بتناول أسماء الاستفهام في حزب النبأ نموذجا .

وقسمت البحث على قسمين : المبحث الأول: تضمن معنى الاستفهام لغة واصطلاحا، وصدارته في الكلام.

أما المبحث الثالث فخصصته لدراسة أسماء الاستفهام مع تعريف لكل اسم وآراء النحاة واالبلاغيين في كل منها مع ذكر الشواهد الواردة في الحزب ـ مجال البحث ـ و الأسماء الّتي درستها (ما و أي و أين و أيان).

و كان المنهج الوصفي التّحليلي مناسبا لهذه الدراسة، فعلى ضوئه تم استقراء أساليب أسماء الاستفهام في حزب النبأ و تصنيفها و دراستها بموازنة ما قدّمه العلماء و المفسرون من دلالات .

وقد اعتمدت في كتابة البحث طائفة من المصادر النحوية والبلاغية إلّا أنّني وجدت أنها لم توف الأسلوب حقّه من الدراسة التّطبيقية، مع أن لهذا الأسلوب أهمية كبيرة لكثرة وروده في القرآن الكريم، مما دفعني إلى جمع دلالاته من كتب التّفسير الّتي كان تناولها لهذه الدلالات متفرقا ، و لاشك أن جمع هذه الدلالات في موضوع واحد مع مقارنة بعضها ببعض سيعين على فهم كثير من آيات القرآن الكريم.

المبحث الأوّل:

1ـ الاستفهام لغة:

الاستفهام مشتق من (الفهم) و معناه:" الفَهْم: معْرِفتك الشّيء بالْقَلْب. فَهِمه فَهماً وفَهِماً وفَهامة: علِمه؛ الأَخيرة عن سِيبويه. وفَهِمت الشّيء: عقلْته وعرفْته. وفَهَّمْت فُلاناً وأَفْهمته، وتفَهَّم الْكَلام: فَهِمه شيئاً بعد شيْء. ورجل فَهِم: سرِيع الفَهم، ويقال: فَهِم وفَهِم. وأَفْهمه الأَمر وفَهَّمه إِيَّاه: جعلَه يفهمه. واستَفْهمه: سأَله أَن يفهمه. وقد استَفْهمني الشيء فأَفْهمته وفَهَّمته تفْهيما"[1].

و قد أورد اللّغويون القدماء مسميات أخرى للاستفهام في مؤلّفاتهم: كالسؤال و الاستخبار و الاستعلام، و منهم من ساوى بينهم وجعلهم واحدا كابن قتيبة و ثعلب[2]، و منهم من فرق بينهم كأبي هلال العسكري[3]، وابن الشّجري[4].

أما المحدثون فقد ساروا على نهج القدماء الّذين لم يفرقوا بين الاستفهام و الاستخبار ، وجعلوا مصطلح الاستفهام العلم الدال على بابه في مؤلفاتهم، فورد في معجم

1 ينظر: لسان العرب،لابن منظور، 12/ 459، مادّة(فهم).
2 ينظر: المعجم المفصّل في علوم البلاغة، لأنعام فوال عكاوي، ص 79.
3 ينظر: الأمالي ، لابن الشّجريّ،400/1.
4 ينظر: الفروق اللّغويّة، للعسكري، ص27.

مصطلحات النحو العربي: " أن الاستفهام مصدر استفهم واستخبر واستوضح، وله تسميات أخرى: الاستخبار و الاستثبات و السؤال"[1].

و مع الإجماع حول تبني مصطلح الاستفهام لدى المحدثين و عدم مراعاة التّفرقة بينه و بين بقية المصطلحات المتقاربة منه دلاليا إلّا أننا نجدها حاضرة في معجم دقائق العربية، فيقول في ذلك أمين آل ناصر الدّين: " بين الاستخبار و الاستفهام فرق لا يدركه إلّا المحقّقون ذلك أنّك إذا سألت عن شيء تجهله و لم تفهم الجواب حق الفهم، فسؤالك استخبار، وسؤالك عنه ثانية لتفهمه استفهام، و الاستعلام أخص من الاستفهام إذ ليس كل ما يفهم يعلم"[2].

و المتتبع لمصطلح الاستفهام و علاقته بمصطلحات الاستخبار و الاستعلام و السؤال عبر العصور اللّغوية يجد أن التّفرقة بينها كانت من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية فغير معمول بها لدى النحاة و البلاغيين و حتّى المفسرين، إذ لا منازع لمصطلح الاستفهام في الدلالة على بابه.

2ـ الاستفهام اصطلاحا:

عند النّحويين : عرفه السيوطي بأنّه" طلب المتكلّم من مخاطبه أن يحصل في الذّهن ما لم يكن حاصلا عنده مما سأله عنه"[3].

عند البلاغيين: عرفه الشّريف الجرجاني بأنّه" استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل: هو طلب حصول صورة الشّيء في الذّهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشّيئين أو لا وقوعها، فحصولها هو التّصديق، وإلّا فهو التّصور"[4]فهو بذلك طلب حصول صورة المستفهم عنه في ذهن المستفهم، أو طلب الفهم بأدوات مخصوصة[5]،" و لما كان الاستفهام معنى من المعاني لم يكن بد من أدوات تدل عليه إذ الحروف هي الموضوعة لإفادة المعاني"[6].

---

5 الخليل معجم مصطلحات النّحو العربي، لجورج متري، ص51–52.
2 معجم دقائق العربيّة، لأمين آل ناصر الدّين، ص201.
3 الأشباه والنّظائر في النّحو، للسّيوطيّ،7/ 43.
4 التّعريفات ، للشّريف الجرجانيّ، ص 18.
5ينظر: مغني اللبيب، لابن هشام الأنصاريّ، ص 17 ، و مفتاح العلوم، للسكاكيّ، ص308.
6 شرح المفصّل، لابن يعيش،8/ 275

3ـ صدارة أدوات الاستفهام:

ذهب النحاة إلى أن للاستفهام صدر الكلام فلا يجوز تقدم شيء مما في حيزه عليه، فلا تقول: (ضربت أ زيدا؟) و أشبه ذلك[1].

و جوز الكوفيون في (ماذا) عدم وجوب صدارتها في الكلام، فيجوز أن يعمل فيها ما قبلها من العوامل[2] ، وقد رجح رأيهم الشّيخ محمد محي الدين استدلالا بحديث عمرو بن العاص أنه قال: أتيت النبي ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ فقلت له: ابسط يمينك فلأبايعنك، فبسط يمينه فقبضت يدي، فقال: مالك يا عمرو؟ قلت: أردت أن أشترط، قال: تشترط ماذا؟...الحديث[3].

فتقديم أدوات الاستفهام ووضعها في صدر الكلام هو الّذي يعين على إفادة معنى الاستفهام فيها، وهو الفارق الوحيد بين كونها مستعملة للاستفهام، وكونها مستعملة ظرفا مثلا، وذلك لأن الظّرف يتقدم على مدخوله خلال الجملة ، نحو: (أزورك متى أهل رمضان) و لكن هذا الظّرف إذا تعدد معناه الوظيفي فاستعمل أداة استفهام لزم الصدارة في الجملة فتصير الجملة الاستفهامية (متى أهل رمضان؟) و لا تكون(متى) أداة للاستفهام إلّا في هذا الموضع[4].

و قد علّل االبلاغيون سبب لزوم الاستفهام صدر الكلام هو كون الاستفهام طلبا مما يهم السامع و يعينه، يقول السكّاكي:" و إذا عرفت أن هذه الكلمات للاستفهام، وعرفت أنّ الاستفهام طلب، وليس بخفي أنّ الطّلب إنّما يكون لما يهمك و يعنيك شأنه لا لما وجوده وعدمه بمنزلة، وقد سبق أن كون الشّيء مهما جهة مستدعية لتقديمه في الكلام، فلا يعجبك لزوم كلمات الاستفهام صدر الكلام ووجوب التّقديم في نحو: (كيف زيد؟) و(أين عمرو؟) و(متى الجواب؟) وما شاكل ذلك"[5].

4ـ أدوات الاستفهام:

يتحول التّركيب اللّغوي الإخباري إلى تركيب استفهامي عن طريق كيفيات متعددة لغوية كانت أم غير لغوية، و أشهرها و أبرزها دخول الأداة الّتي هي عنصر محول للجملة

1 ينظر: المصدر نفسه،8/ 280.
2 ينظر: حاشية الصّبّان، 1/ 231.
3 ينظر: عدّة السّالك إلى تحقيق أوضح المسالك، للشّيخ محمّد محي الدّين عبد الحميد ،1/ 143.
4 ينظر: اللغة العربية معناها و مبناها، لتمام حسان، ص 162.
5 مفتاح العلوم، ص 317.

من الخبر إلى الإنشاء، وتوظيفه لا يكون اعتباطا فلكل أداة وظيفة دلالية خاصة إضافة إلى وظيفتها المشتركة المتمثّلةفي التّحويل من الإخبار إلى الاستخبار[1]، واختيار الأداة إنما يكون مبنيا على الركائز الدّلالية الّتي يقتضيها المستفهم عنه في السياق اللّغوي[2].

و تختص أدوات الاستفهام إما بالتّصور أو التّصديق:

فالتّصور: هو إدراك الماهية من غير أن يحكم عليها بنفي أو إثبات و جوابها يكون بتعيين المسؤول عنه[3] ، نحو: أين عمر؟ وجوابه يكون: في المنزل.

أما **التّصديق:** فهو أن تنسب باختيارك الصدق إلى المخبر، إذن فهو إدراك النسبة بين شيئين أي: إثبات حكم شيء أو نفيه عنه[4] ، نحو: هل جاء عمرو؟ وجوابه يكون بـ: نعم أو لا.

وأدوات الاستفهام كثيرة، وهي قسمان سيتم تناولها في المبحثين الآتيين

المبحث الثّالث: أسماء الاستفهام:

و هي اسم مبهم يستعلم به عن شيء[5] ، و دليل اسميتها أنّها تكون في موضع رفع، نحو: كم رجلا جاءك؟ و في موضع نصب، نحو: كم رجلا ضرب؟ و في موضع جر، نحو : بكم رجل مررت؟[6].

و إن أسماء الاستفهام تعرت من الفعلية و من الحرفية فثبتت لها الاسمية[7]، و تشترك أسماء الاستفهام في أنها :

1 ـ تأتي لطلب التّصور و جوابها تعيين المسؤول عنه.

2 ـ كلّها مبنية عدا (أي) لأنها تضاف إلى مفرد.

3ـ تحتل الصدارة في الكلام.

1 ينظر: القواعد التّحويليّة في الجملة العربيّة، عبدالحليم بن عيسى، ص26
2 ينظر: المصدر نفسه، ص 36.
3 ينظر : التّعريفات،ص59.
4 ينظر: المصدر نفسه، ص 59.
5 ينظر : الكتاب ، لسيبيويه، 4/ 228، وجامع الدّروس العربيّة، للشّيخ مصطفى الغلاييني، 1/ 141.
6 ينظر : المقتصد في شرح الإيضاح، للجرجانيّ، ص120 –121.
7 ينظر : المصدر نفسه، ص 120.

4 ـ يمتنع أن تقع في بنية : أداة+ اسم + فعل إلّا للضرورة الشّعرية.

5 ـ يتوخى بها الإيجاز و الاختصار، و ذلك لأنّ هذه الكلم تشتمل على الجنس الّذي يدل عليه[1].

وتفترق في الدّلالة و الإعراب، وورد منها في البحث:

1ـ(ما):

اسم مبهم يكون للسؤال عن ذوات ما لا يعقل من حيوان، أو نبات، أو جماد، أو غيرها، وأجناسه، ومن ذلك قولك : ما هذا؟ بمعنى : أي أجناس الأشياء هو؟ فيكون جوابه: كتاب أو فرس أو ذهب أو نحو ذلك ، و صفاته، كقوله تعالى:" **قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ** "[2]سؤال عن حال البقرة و صفتها، وعن صفات من يعقل كأن تقول: ما محمد؟ فيقال فَقيه أو شاعر مثلا[3].

و يجوز أن يستفهم بها عما يعقل إذا أقيمت الصفة مقام الموصوف ، نحو: ما عندك؟ جوابه : خالد، و ذلك على إقامة " ما" و هي للاستخبار عن الأوصاف مقام "من " في الاستخبار عن المعارف، قياسا على إقامة الصفة مقام الموصوف في الأخبار[4]، و قد جاء في القرآن الكريم، وكلام العرب إقامة (ما) مقام (من) في الأخبار، قال الله تعالى: " **وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا**" [5]ونقل عن أبي عبيدة أنها في هذا الموضع بمعنى" من" [6].

و قال العرب: "سبحان ما سبح الرعد بحمده، و سبحان ما سخركن لنا"[7].

و قد وافق البلاغيون النّحاة فيما ذهبوا إليه في معنى " ما" و استدلّوا على ذلك بسؤال فرعون[8]: " **وما ربُّ الْعالَمين** "[9] .

و إذا جرت " ما" الاستفهامية حذف ألفها، و بقيت الفتحة دليلا على الألف المحذوفة؛ وذكروا في سبب الحذف وجوها: أحدها: التّخفيف في الكلام لكثرة الاستعمال،

1 ينظر : أسرار العربيّة ، للأنباريّ،1/ 268.
2 سورة البقرة، الآية 68.
3 ينظر: المقتضب، للمبرّد، 2/ 61، و الأزهية في علم الحروف، للهرويّ، ، ص 75، وشرح المفصّل،4/ 9.
4 ينظر: شرح المفصّل، 4/ 10 .
5 سورة الشمس ، الآية 5.
6 ينظر: حروف المعاني، للزّجّاجي،ص 54-55.
7 ينظر: المقتضب، 2/ 296.
8 ينظر: مفتاح العلوم ، ص 310.
9 سورة الشّعراء ، الآية 23.

فإنـه لفظ كثير التّداول على اللّسان. و ثانيها: حذفت لاتّصال " مـا" بحرف الجر حتّى صارت كجزء منه لتنبئ عن شدة الاتصال. و ثالثها: التّفريق بينها و بين " ما " الموصولة، فلهذا حذفت في قوله تعالى: " عَمَّ يتساءلُونَ"[1]و أثبتت في قوله تعالى:" لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فيه فيه عَذَابٌ عَظِيمٌ "[2].

و إذا أريد الوقوف على الميم محذوف الألف وهي مجرورة، فإن كان الجار حرفا فالأجود أن تلحقها هاء السكت صيانة للحركة عن الحذف، يقول سيبويه:" وأما قولهم: علامه، وفيمه، ولمه، وبمه، وحتامه؟ فالهاء في هذه الحروف أجود إذا وقفت، لأنك حذفت الألف من ما، فصار آخره كآخر ارمه واغزه."[3] و إن كان الجار اسما وجب عند الوقف عليها إلحاق الهاء بها، نحو : جلوس مه[4].

قال ابن مالك:

وما في الاستفهام إن جُرَّت حُذف ... ألـفها وأولها الهـا إن تقف

وليس حتماً في سوى ما انخفضَا ... باسمٍ كقولك اقتضاء م اقتضى[5]

وربما حذفت ألفها، و ألحقت الهاء بها وقفا و هي غير مجرورة كحديث أبي ذؤيب: " قَدِمْتِ الْمَدِينَةَ وَلَهَا ضَجِيجٌ بِالْبُكَاءِ كَضَجِيجِ الْحَجِيجِ، إِذَا أَهَلُّوا بِالْإِحْرَامِ، فَقُلْتِ: مَهْ؟ فَقَالُوا: قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم" [6] فقوله: (مَه) أي: ما الخبر؟ إلّا أنه حذفت ألفها، ثم ألحقت بها هاءَ السكت للوقفَ.

و هذا ما قرره الزّمخشري في معرض كلامه على" ما" في قوله:" ويصيب ألفها القلب والحذف. فالقلب في الاستفهامية جاء في حديث أبي ذؤيب: قدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء.."[7].

وقد تقترن "ما" بـ " ذا" و يصبح كل منهما جزءا لـ"ماذا" و في هذه الحال لا تحذف ألف " ما" إذا جرت" ماذا" و قد جاء عن العرب: عماذا تسأل؟[8]

---

1 سورة النّبأ ، الآية 1.
2 سورة النّور، الآية 14.
3 الكتاب، 4/ 164.
4 ينظر شرح الرّضيّ، 50/3 .
5 ينظر: ألفيّة ابن مالك ص 72.
6 الرّوض الأنف في تفسير السّيرة النّبويّة، للسّهيليّ، 7/ 592.
7 المفصّل في صنعة الإعراب ، للزّمخشريّ، ص 186.
8 ينظر: الكتاب ، 2/ 417.

ويستفهم بها عن غير العاقل، قال تعالى: " وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ"[1] .

وقد وردت أساليب الاستفهام بـ" ما" في حزب النبأ سبع عشرَة مرة، أخذت فيها" ما" الصور النمطية الآتية:

أ ـ "عَمَّ يتساءلُونَ (1) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ" (سورة النبأ، الآية 1. 2)

حرف جر+ اسم استفهام+ جملةَ فعلية مضارعة

في هذه الآية دخلت " ما" على جملة فعلية فعلها مضارع، وهو قوله: " يتساءلون" و أصل" عم" (عن ما) ثم أدغمت النون بعد قلبها في الميم لاشتراكهما في الغنّة فبقي (عما) ثم حذفت ألف" ما" لاتّصالها بحرف الجر" عن" و بقيت الألف دليلا على الألف المحذوفة[2]و سبق ذكر سبب الحذف ـ

و لفظ " ما " موضوع لطلب ماهيات الأشياء و حقائقها " وَذَلِكَ يَقْتَضِي كَوْنَ ذَلِكَ الْمَطْلُوبِ مَجْهُولًا. ثُمَّ إِنَّ الشَّيْءَ الْعَظِيمَ الَّذِي يَكُونُ لِعِظَمِهِ وَتَفَاقُمِ مَرْتَبَتِهِ وَيَعْجِزُ الْعَقْلُ عَنْ أَنْ يَحِيطَ بِكُنْهِهِ يَبْقَى مَجْهُولًا، فَحَصَلَ بَيْنَ الشَّيْءِ الْمَطْلُوبِ بِلَفْظِ مَا وَبَيْنَ الشَّيْءِ الْعَظِيمِ مُشَابَهَةٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ... فَبِهَذَا الطَّرِيقِ جَعَلَ (مَا) دَلِيلًا عَلَى عِظَمِ حَالِ ذَلِكَ الْمَطْلُوبِ وَعُلُوِّ رُتْبَتِهِ"[3].

و المعنَى : عن أي شيء يتساءل أهل مكّة " قال المفسرون: لما بُعث رسول الله صلّى الله عليه وسلم جعل المشركون يتساءلون بينهم، فيقولون: ما الّذي أتى به؟ ويتجادلون، ويختصمون فيما بعث به، فنزلت هذه الآية"[4].

وفيه أربعة أقوال[5]: أحدها: القرآن، قاله مجاهد و مقا تل و الفراء، و الثّاني: يوم القيامة، قاله ابن زيد، الثّالث: البعث بعد الموت ، قاله قتاده ، و الرابع: عن أمر النبي . صلّى الله عليه و سلّم ـ حكاه الزّجاج.

و في معنى الاستفهام قال الزّجاج: إن اللّفظ لفظ الاستفهام و المعنى تفخيم القصة[6].

---

1 سورة البقرة، الآية219

2 ينظر: المحرّ ر الوجيز، لابن عطيّة، 5/ 423، و الجواهر الحسان، للثّعالبيّ، 5/ 541.

3 التّفسير الكبير، للفخر الرّازيّ، 16/ 5، و ينظر: غرائب القرآن ، للنّيسابوريّ، 6/ 429، و فتح القدير، للشّوكانيّ، 5/ 5/ 438.

4 ينظر : زاد المسير، للجوزيّ،4/ 387.

5 ينظر :المصدر نفسه،4/ 388، و النّكت و العيون، للمارورديّ، 6/ 182.

6 ينظر: معاني القرآن و إعرابه ، للزّجّاج، 5/ 271.

و ذهب الزّمخشري إلى أنّ" معنى هذا الاستفهام: تفخيم الشأن، كأنه قال: عن أى شأن يتساءلون. ونحوه ما في قولك: زيد ما زيد «1» ؟ جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفى عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره، كما تقول: ما الغول وما العنقاء؟"[1].

وتبعه الرازي[2]، و البيضاوي[3]، و أبو السعود[4]، و الشّوكاني[5]، و الألوسي[6].

وذكر ابن عطية أن الاستفهام هو توقيف و تعجب منه[7] ، وقال به الثّعالبي[8].

وقال أبو حيان: " و الاستفهام عن هذا فيه تفخيم وتهويل و تقرير وتعجيب"[9].

وذهب ابن عادل إلى أنه استفهام توبيخ وتعظيم[10].

وذكر ابن عاشور أنه تشويق ثم تهويل لما سيذكره.[11]

ومع إمكان توجيه جميع الآراء، إلّا أن ظاهر الأسلوب الاستفهامي يوافق أن يكون للتعظيم وتفخيم شأن المستفهم عنه ، و يدلّنا على ذلك تبيينه بما يفيد تفخيمه، كأنّه قيل: عن أي شيء يتساءلون، هل أخبركم به، ثم قيل بطريق الجواب: عن النبإ العظيم، على منهاج قوله تعالى:" لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ" [12] [13]

ب - "فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا" (سورة النازعات ، الآية 43)

حرفَ جرَ +اسم استفهام+ مبتدأ

1 الكشّاف ، 4/ 684.
2 ينظر: التّفسير الكبير، 5/16.
3 ينظر: أنوار التّنزيل، للبيضاويّ، 5/ 278.
4 ينظر: إرشاد العقل السّليم، لأبي السّعود، 9/ 84.
5 ينظر: فتح القدير، 5/ 438.
6 ينظر: روح المعاني، للألوسيّ، 5/ 202.
7 ينظر: المحرّر الوجيز، 5/ 423.
8 ينظر : الجواهر الحسان، 5/ 541.
9 البحر المحيط، لأبي حيّان، 8/ 403.
10 ينظر: اللباب، لابن عادل، 20/ 93.
11 ينظر: التّحرير و التّنوير، لابن عاشور 30/ 6.
12 سورة غافر ، الآية16.
13 ينظر: إرشاد العقل السّليم، 9/ 84.

في هذه الآية الكريمة دخلت" ما" على جملة اسمية مثبتة، كانت فيها مع حرف الجر المتّصل بها في محل رفع خبر مقدم، و حذفت منها الألف و بقيت الفتحة دليلا عليها. كما سبق بيانه .

روى الطّبري " عن عائشة، قالت: لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة، حتى أنزل الله عزّ وجل: (فيم أَنْتَ منْ ذكْراها إِلى ربِّك منْتهاها) "[1].

و قال الزمخشري: " فهو على هذا تعجَب مَن كثرة ذكره لها، كأنه قيل: في أى شغل واهتمام أنت من ذكرها والسؤال عنها. والمعنى: أنهم يسألونك عنها، فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها"[2].

و تبعه الرازي[3] والقرطبي[4].

و قال أبو حيان: " والْمعنى: في أَيِّ شَيءٍ أَنْتَ منْ ذكْرِ تحْديدها ووقْتها؟ أَيْ لَسْتَ منْ ذَلكَ في شيء، إِنَّما أَنْتَ منْذر."[5]

وقال أبو السعود: " فيم أَنت من ذكْراها إنكارٌ وردٌّ لسؤال المشركين عنْها"[6].

وتبعه الشّوكاني[7]، و الألوسي[8].

و ذكر ابن عاشور أن الاستفهام للتّعجيب من سؤالهم و توبيخهم[9].

و لأن الساعة مما استأثر المولى ـ سبحانه و تعالى ـ بعلمه، و ليس للنبي ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ من ذكرها و تبيين وقتها لهم في شيء؛ يكون الاستفهام للإنكار و النفي و يتضمن توبيخ المشركين على سؤالهم النبي ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ .

ج - " **وما يُدْريكَ لَعلَّه يزَّكى**" (سورة عبس، الآية 3)

اسم استفهام+ جملة فعلية فعلها مضارع

في هذه الآية دخلت " ما" على جملة فعلية مثبتة فعلها مضارع، جاءت خبرا لها؛ لأنها في محل رفع مبتدأ.

---

1 جامع البيان، للطّبريّ، 24/ 213.
2 الكشّاف، للزّمخشريّ، 4/ 699.
3 ينظر: التّفسير الكبير، 16/ 57.
4 ينظر: الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبيّ 19/ 207.
5 البحر المحيط، 8/ 416.
6 إرشاد العقل السّليم، 9/ 105.
7 ينظر: فتح القدير،5/ 460.
8 ينظر: روح المعاني،15/ 239.
9 ينظر: التحرير و التّنوير، 30/ 95.

وفيها عتاب من الله لنبيه ـ صلّى الله عليه و سلّم . لتولّيه عن عبدالله بن أم مكتوم[1] ، فقد عبس النبي ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ و أعرض بوجهه عنه ، وذلك لانشغاله بمحادثة زعماء الشّرك[2]، فعاتبه الله على ذلك قائلا:" و ما يعلمك و يخبرك يا محمد لعل هذا الأعمى الّذي عبست في وجهه يتطهر من ذنوبه بما يتلقاه عنك من العلم و المعرفة"[3]. المعرفة"[3].

و كان عتاب المولى سبحانه و تعالى بجملة استفهامية مركّبة من " ما" الاستفهامية و فعل الدّراية المقترن بهمزة التّعدية، و المراد بهذا الاستفهام التّوبيخ عند النيسابوري، وذلك في قوله: " ثم يقبل الجاني مواجها بالتّوبيخ"[4]و تبعه أبو الفداء[5].

و قال المظهري : وما يدريك ما نافية او استفهامية للإنكار ومعناه النفي يعنى أنت ما أدريت بحاله وأى شيء يجعلك داريا بحاله" [6]، و تبعه الخطيب في قوله:" والاستفهام هنا هنا يراد به النفي، أي ومن أين لك أنت أن تعلم أن هذا الأعمى لا ينتفع بما يسألك عنه، حتى تعرض عنه؟ أنت لا تعلم"[7].

و ذهب ابن عاشور إلى أن" الاسْتِفْهَام فِي هَذِه التَّرَاكِيب مُرَاد مِنْهُ التَّنْبِيه عَلَى مَغْفُول عَنْه ثُمَّ تَقَع بَعْده جُمْلَة نَحو ما أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَة [الْقَارِعَة: 3] ونَحْو قَوْله هنا: وما يُدْرِيكَ لَعَلَّه يَزَّكَّى والْمَعْنَى أَيُّ شَيْءٍ يَجْعَلُك دَارِيًا. وإِنَّمَا يُسْتَعْمَل مِثْله لِقَصْدِ الْإِجْمَال ثُمَّ التَّفْصِيل"[8].

و الظّاهر من سياق الآيات أنها كانت لعتاب النبي ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ وفي الغيبة في قوله تعالى: "عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ" إظهار لكمال الغيرة و الحمية الإلهية عن هذه الغفلة غير المرضية، وفيها إجلال له ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ، لإيهام أن من صدر منه ذلك غيره؛ لأنه لا يصدر منه مثله[9].

---

1 ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 19/ 210.
2 ينظر: التّفسير الواضح، للحجازيّ 3/ 824.
3 صفوة التّفاسير، للصّابونيّ، 3/ 494.
4 غرائب القرآن، 6/ 446.
5 روح البيان ، 10/ 331.
6 التّفسير المظهريّ ، للمظهريّ، 10/ 197.
7 التّفسير القرآنيّ للقرآن، للخطيب، 16/ 1449.
8 التّحرير و التّنوير ، 30/ 105–106.
9 ينظر: محاسن التأويل، للقاسميّ، 9/ 405.

و التفات المولى سبحانه و تعالى من الغيبة إلى خطاب النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ لأن المشافهة أدخل في العتاب و فيها كمال التّأديب، فهي إنكار للمواجهة أولا ، و إيناس بعد الإيحاش[1].

و على ذلك يكون معنى الاستفهام بتركيب جملته **الإنكار** الّذي أفاده الالتفات[2] ، و و **النّفي** الّذي فيه إيماء إلى العذر في حق النبي ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ فهم لو كان عالما بحال الأعمى لم يعرض عنه مقبلا على غيره [3]، وفي هذا تنبيه على مغفول عنه ، وهو أن هذا الأعمى جاء طالبا الهدايه خائفا من الله، و أما الّذي استغنى عن الإيمان بالله و عن طاعته و طاعة رسوله ، واستغنى بماله و جاهه عن قبول الحق وعن استماع النصيحة فأنت تتعرض له[4].

و **التّوبيخ** ـ أيضا ـ الّذي أفاده إقبال المولى سبحانه و تعالى على نبيه ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ لأنه لا يصدر منه مثل هذا الفعل[5].

د- " **قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ**" (سورة عبس الآية 17)

اسم استفهام+ جملة فعلية فعلها ماض

في هذه الآية دخلت " ما" على جملة فعلية مثبتة فعلها ماض، وفيها وجهان:

أحدهما: التعجب من كفره مع إحسان الله إليه و أياديه عنده، و على هذا الوجه تكون " ما" تعجبية نكرة تامة بمعنى شيء في محل رفع مبتدأ، و الآخر: ما الّذي أكفره، أي: أي شيء أكفره و ها هنا تكون " ما" استفهامية مبتدأ[6].

وذهب القرطبي إلى أن الاستفهام للتّوبيخ[7] ، و تبعه النسفي إلى أن الاستفهام " توبيخ أي: أي شيء حمله على الكفر"[8]، وتبعه الجلالان[9]، و الثّعالبي[10]، و الألوسي[11].

---

1 ينظر: غرائب القرآن، 6/ 446، و روح البيان،لأبي الفداء، 10/ 331، و محاسن التّأويل، 9/ 405.
2 ينظر: غرائب القرآن ، 6/ 446.
3 ينظر:التّفسير المظهريّ، 10/ 197.
4 ينظر: التّفسير الواضح ، 3/ 824.
5 ينظر: غرائب القرآن، 6/ 446، وروح البيان، 10/ 331.
6 ينظر: جامع البيان، 2/ 222، و إعراب القرآن، للنّحّاس،5/ 95، و المحرّر الوجيز، 5/ 438، و الجدول في إعراب إعراب القرآن الكريم، للدكتور محمود صافي، 30/ 2618.
7 ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 19/ 216.
8 ينظر: مدارك التّنزيل، للنّسفيّ، 3/ 602.
9 ينظر: تفسير الجلالين،لجلال الدّين المحلّى و جلال الدّين السّيوطيّ، 1/ 792.
10 الجواهر الحسان، 5/ 553.
11 روح المعاني، 15/ 545.

وقال السمين : إن (ما أكفره) إما تعجيب ، و إما استفهام تعجب[1]، وتبعه ابن عادل بنسبة هذا إلى النحويين[2].

وجوز أبو الفداء أن يكون الاستفهام للتّقريع و التّوبيخ[3].

و ذكر الإمام مكّي أن " ما" استفهام عن طريق التّوبيخ و التّقرير[4].

و إذا ما نظرنا إلى سياق الآية يتبين أن المولى سبحانه و تعالى لما "بدأ بذكر القصة المشتملة على فقراء المسلمين؛ عجب عباده المؤمنين من ذلك فكأنه قيل: و أي سبب في هذا العجب والتّرفّع"[5].

لذلك فالأولى حمل الآية على التّعجب[6] ، و إن حملت على الاستفهام فلا بد من إفادته معنى التّعجب إذ لا داعي لحمله على التّوبيخ؛" لأنه تعجب من إفراطه في كفران النّعمة و لا ترى أسلوبا أغلظ منه ، ولا أخشن مسا، ولا أدل على سخط ، ولا أبعد شوطا في المذمة، مع تقارب طرفيه ، ولا أجمع للأئمة على قصر متنه"[7].

هـ - " يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ" (سورة الانفطار، الآية 6)

اسم استفهام + جمله فعليه فعلها ماض

في هذه الآية دخلت" ما" على جملة فعلية مثبتة فعلها ماض.

قال ابن عباس: الإنسان هو الوليد بن المغيرة[8].

و ذكر الزّمخشري أن الاستفهام للإنكار[9].

و ذكر ابن عطية أنه للتّوبيخ و التّنبيه[10].

1 الدّرّ المصون، للسّمين الحلبي، 20/ 63.
2 اللباب، 20/ 160.
3 روح البيان، 10/ 335.
4 الهداية إلى بلوغ النّهاية، لمكّيّ بن أبي طالب، 12/ 8059.
5 التّفسير الكبير، 16/ 63.
6 ينظر: فتح البيان، للقنوجيّ، 15/ 81.
7 الكشّاف، 4/ 703.
8 ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 19/ 243.
9 ينظر: الكشّاف، 4/ 715.
10 ينظر المحرّر الوجيز،5/ 446.

و قال ابن عاشور: " والاسْتِفْهَامُ مَجَازٌ فِي الْإِنْكَارِ وَالتَّعْجِيبِ مِنَ الْإِشْرَاكِ بِاللَّهِ، أَيْ لَا مُوجِبَ لِلشِّرْكِ وَإِنْكَارِ الْبَعْثِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ غُرُورًا غَرَّهُ عَنَّا كِنَايَةً عَنْ كَوْنِ الشِّرْكِ لَا يَخْطُرُ بِبَالِ الْعَاقِلِ"[1].

ولا تعارض بين الآراء المتقدمة فالاستفهام للإنكار ؛ لأن الله تعالى أنكر على الإنسان الكافر اغتراره بربه الكريم، ووبخه على ذلك، و عجب من حاله حيث قابل نعمة ربه بالكفر و المعصية.

و-" وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ ما أَدْراكَ ما يوم الدِّينِ " (سورة الانفطار، الآية 17، 18)

اسم استفهام + جملة فعلية فعلها ماض+ اسم استفهام+ خبر المبتدأ+ مضاف إليه+ حرف عطف + اسم استفهام + جملة فعلية فعلها ماض+ اسم استفهام+ خبر المبتدأ+ مضاف إليه

في هذه الآية دخلت " ما" على جملة فعلية فعلها ماض(أدراك) ووليها اسم مفرد (يوم) جاء خبرا لها في الموضعين.

وجاء بتركيب" تركيبٌ مركبٌ من ما الاستفهامية وفعل الدارية المعدَّى بالهمزة فصار فاعلُه مفعولًا زائدًا على مفعولَي درى، وهو من قبيل: أَعلَم وأَرى، فالكاف مفعولُه الأَوَّل، وقد عُلِّق على المفعولين الآخرين ب ما الاستفهاميَّة الثانية."[2]

قال الطّبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وما أدراك يا محمد، أي وما أشعرك ما يوم الدين؟ يقول: أيُّ شيء يوم الحساب والمجازاة، معظما شأنه جل ذكره، بقيله ذلك"[3].

و قوله:" ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ" يقول: " ثم أي شيء أشعرك يوم المجازاة والحساب يا محمد، تعظيما لأمره"[4] .

1 التّحرير و التّنوير، 30/ 174.
2 التّحرير و التّنوير، 30/ 183.
3 جامع البيان ، 24/ 272.
4 المصدر نفسه، 24/ 272.

و ذكر الرازي أنّ في المسألة خلافا في الخطاب في قوله " و ما أدراك" فقال بعضهم : هو خطاب للكافر على وجه الزّجر له، و قال الأكثرون: إنّه خطاب للرسول وإنّما خاطبه بذلك ؛ لأنّه ما كان عالما بذلك قبل الوحي[1].

وقال الطّبري: إنّ معنى هذا الاستفهام تعظيم يوم القيامة[2]، و تبعه السمرقندي[3]، والجوزي[4]، و ابن كثير[5]، و الثّعالبي[6]، و الشّوكاني[7].

و ذهب القشيري إلى أن «وما أَدْراكَ ما يوم الدّينِ؟» قالها على جهة التهويل[8].

وقال السمعاني إنها على معنى تفخيم الأمر وَ تعظيمه[9]، و تبعه القاسمي[10].

وقال البيضاوي: " وما أَدْراكَ ما يوم الدّينِ ثُمَّ ما أَدْراكَ ما يوم الدّينِ تعجيب وتفخيم لشأن اليوم، أي كنه أمره بحيث لا تدركه درايَة دار"[11] ، و تبعه الألوسي في أنه تفخيم وتعجيب[12].

و ذهب ابن جزّي إلى أنّه تعظيم له و تهويل[13] ، و تبعه الفيروزآبادي[14]، وابن عاشور[15]، والصابوني[16].

وقال أبو السعود: إنه " تفخيم لشأن يومِ الدينِ الذي يكذبونَ به إثر تفخيمٍ وتهويلَ لأمرِه بعد تهويلٍ ببيانِ أنَّه خارجٌ عن دائرة دراية الخلق"[17]، وتبعه المراغي[18]في أنه تفخيم و تهويل.

---

1 ينظر: التّفسير الكبير، 16/ 90.
2 ينظر: جامع البيان، 24/ 272.
3 ينظر: بحر العلوم ، 3/ 555.
4 ينظر: زاد المسسير، للجوزيّ، 4/ 411.
5 ينظر: تفسير ابن كثير، 8/ 345.
6 ينظر: الجواهر الحسان، 5/ 561.
7 ينظر: فتح القدير، 5/ 480.
8 ينظر: لطائف الإشارات، للقشيري، 3/ 698.
9 ينظر: تفسير السّمعانيّ، 6/ 176.
10 ينظر: محاسن التّأويل، 9/ 426.
11 أنوار التّنزيل، 5/ 293.
12 ينظر: روح المعاني، 15/ 271.
13 ينظر : التّسهيل، 2/ 459.
14 ينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عبّاس، 10/ 404.
15 ينظر: التّحرير و التّنوير، 30/ 183.
16 ينظر: صفوة التّفاسير، 3/ 504.
17 إرشاد العقل السّليم، 9/ 122.
18 تفسير المراغيّ، 30/ 69.

ثم كرر السؤال بقوله: " ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ " تفخيما لشأنه عند الجوزي[1]، و للتّأكيد و التّهويل عند النسفي[2]، و للتّأكيد عند ابن جزّيَ[3]، وتبعه ابن كثير[4]، ولتعظيم ذلك ذلك اليوم و تفخيم شأنه عند الخازن[5]، و تعجيبا لشأنه عند ابن عادل[6]، و لزيادة التّهويل عند البقاعي[7]، و للتّفخيم و التّهويل عند أبي السعود[8].

وكرره تعظيما لقدره و تفخيما لشأنه و تهويلا لأمره عند الشّوكاني[9]، و تبعه الزّحيلي[10] ، و للتّفخيم و التعجيب عند الألوسي[11] ، وزيادة في التّوكيد و التّعظيم عند المراغي[12].

وقال ابن عاشور: إنه " تَكْرِيرٌ لِلتَّهْوِيلِ تَكْرِيرًا يُؤْذِنُ بِزِيَادَتِهِ، أَيِ تجاوزه حَدَّ الْوَصْفِ والتَّعْبِيرِ "[13].

والاستفهام جاء في سياق عرض هذا اليوم على ما هو عليه من هول لا يوصف ولا يعرف كنهه؛ لأنّه شيء لم تره العيون، و لم تحم حوله الظّنون[14].

وجاء بتركيب جرى به المثل فلا يغير لفظه كما في قوله تعالى: " الْقَارِعَةُ (1) ما الْقَارِعَةُ (2) وما أَدْرَاكَ ما الْقَارِعَةُ"[15] و قوله تعالى: " وما أَدْرَاكَ ما الْحَاقَّةُ "[16]و مثله في الحزب موضع البحث قوله تعالى: " وما أَدْرَاكَ ما سِجِّينٌ" [17]و قوله تعالى:" وما أَدْرَاكَ ما عِلِّيُّونَ"[18] و قوله تعالى: " وما أَدْرَاكَ ما الطَّارِقُ "[19].

---

1 ينظر: زاد المسير، 4/ 411.
2 ينظر: مدارك التّنزيل، 3/ 612.
3 ينظر: التّسهيل، 2/ 459.
4 ينظر: تفسير ابن كثير، 8/ 345.
5 ينظر: لباب التّأويل، 4/ 402.
6 ينظر: اللّباب، 20/ 203.
7 ينظر: نظم الدّرر، للبقاعيّ، 21م 308
8 ينظر: إرشاد العقل السّليم، 9/ 122.
9 ينظر: فتح القدير، 5/ 480.
10 ينظر: التّفسير الوسيط، للزّحيليّ، 2836/3.
11 ينظر: روح المعاني، 15/ 271.
12 ينظر : تفسير المراغيّ، 30/ 69.
13 التّحرير و التّنوير، 30/ 184.
14 ينظر: التّفسير القرآنيّ للقرآن، للخطيب، 16/ 1485.
15 سورة القارعة ، الآية 1-3.
16 سورة الحاقّة، الآية 3.
17سورة المطفّفين، الآية 8.
18سورة المطفّفين، الآية 19.
19سورة الطّارق، الآية 2.

وهو تركيب " مألوف في التعبير القرآني. وهو يوقع في الحس أن الأمر أعظم جدا وأهول جدا من أن يحيط به إدراك البشر المحدود. فهو فوق كل تصور وفوق كل توقع وفوق كل مألوف"[1] ، لذلك فجميع المعاني الّتي ذهب إليها المفسرون يمكننا حمل الاستفهام عليها.

نقل ابن عاشور عن الراغب أن:" كُلُّ موضعٍ ذُكر في الْقُرْآنِ وما أَدْراكَ فَقَدْ عُقِّب ببيانه نحوِ وما أَدْراكَ ما هيه نارٌ حاميةٌ [القارعة: 10- 11] ، وما أَدْراكَ ما لَيلَةُ الْقَدْرِ لَيلَةُ الْقَدْرِ خَيرٌ من أَلْف شَهرٍ [الْقدر: 2- 3] ، ثُمَّ ما أَدراكَ ما يومُ الدِّينِ يوم لا تملك نفْس لنفْسٍ شيئاً [الانفطار: 18- 19] ، وما أَدْراكَ ما الْحاقَّةُ كَذَّبتْ ثَمود وعادٌ بِالْقَارِعة [الحاقة: 3- 4] ....ولَم أَر من اللُّغوِيين من وفَّى هذَا التَّركيب حقَّه من الْبيانِ وبعضهم لَم يذكره أصلا"[2].

ز- " فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" (سورة الانشقاق، الآية 20)

اسم استفهام + جَار و مجرور

دخلت " ما" على جار و مجرور جاء خبرا لها، فهي في محل رفع مبتدأ.

وجاءت في مقام رد الشّرك و الدعوة إلى التّوحيد، فالمولى سبحانه و تعالى يخاطب المشركين بلغة الفطرة ،" ويفتح قلوبهم على موحيات الإيمان ودلائله في الأنفس والآفاق. ويستجيش في هذه القلوب مشاعر التقوى والخشوع والطاعة والخضوع لبارئ الوجود"[3]، فيقول تعالى ذكره: " فما لهؤلاء المشركين لا يصدقون بتوحيد الله، ولا يقرون بالبعث بعد الموت، وقد أقسم لهم ربهم بأنهم راكبون طبقا عن طبق مع ما قد عاينوا من حججه بحقيقة توحيده" [4].

1 في ظلال القرآن ، لسيّد قطب،6/ 3852، و ينظر: روح المعاني، 15/ 271، و التّحرير و التّنوير، 30/ 183.
2 التّحرير و التّنوير، 29/ 114.
3 في ظلال القرآن، 6/ 3869.
4 جامع البيان، 24/ 326.

و الاستفهام إنكاري عند البغوي[1]، وتبعه الجوزي[2]، و الخازن[3]، و ابن عادل[4]، وأبو السعود[5]، و الشّوكاني[6]، و الطّنطاوي[7].

و قال ابن عاشور: إنّ هذا الاستفهام للتّعجيب و الإنكار[8].

و ذهب القطّان إلى أنّه استفهام يقصد به التّوبيخ[9]، و تبعه الصابوني[10]

و نظرا للمقام الّذي وردت فيه الآية و ما سبقها من أدلّة قاطعة دالّة على قدرة الله على كل شيء، ومعجزات ظاهرة دالّة على صدق النبي ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ و صدق الوحي القرآني المنزّل[11] ؛ يكون الاستفهام في الآية للإنكار، فأي شيء حدث لهم حتّى يجحدوا قدرة الله، وفيه توبيخ على استبعادهم للبعث؛ لأن كل شيء أمامهم ينادي بباهر قدرته.

أما معنى التّعجب فقد أفادته الفاء؛ لترتيب ما بعدها من الإنكار و التّعجيب على ما قبلها من أحوال يوم القيامة [12].

ح -" فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ" (سورة الطّارق، الاية 5)

حرفَ جر+ اسمَ استفهام+ جملة فعلية فعلها ماض مبني للمجهول.

دخلت" ما" في هذه الآية على فعل و حذفت منها الألف لتقدم حرف الجر ـ كما سبق ذكره ـ

قال الطّبري: إنّ المولى تعالى ذكره يقول: " فلينظر الإنسان المكذّب بالبعث بعد الممات، المنكر قدرة الله على إحيائه بعد مماته، (مِمَّ خُلِقَ) يقول: من أيّ شيءٍ خلقه ربه"[13].

---

1 ينظر: تفسير البغويّ، 5/ 230.
2 ينظر: زاد المسير، 4/ 422.
3 ينظر: لباب التّأويل، 4/ 409.
4 ينظر: اللّباب ، 20/ 241.
5 ينظر: إرشاد العقل السّليم، 9/ 133.
6 ينظر: فتح القدير، 5/ 495.
7 ينظر: التّفسير الوسيط، 15/ 388.
8 ينظر: التّحرير و التّنوير، 30/ 231.
9 ينظر: تيسير التّفسير ، للقطّان، 3/ 420.
10 ينظر: صفوة التّفاسير ، 3/ 512.
11 ينظر: التّفسير الوسيط، للزّحيليّ، 3/ 2849.
12 ينظر: إرشاد العقل السّليم، 9/ 133، و فتح القدير، 5/ 495.
13 جامع البيان،24/ 353.

فهو بذلك توقيف لمنكري البعث على أصل الخلقة [1]، قال ابن كثير:" وقولُه: {فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ} تنبيهٌ للإنسان على ضعف أصله الذي خُلق منه، وإرشادٌ له إلى الاعتراف بالمعاد"[2].

و ذهب ابن عاشور إلى أن" والاستفهام مستعملٌ في الإيقاظ والتنبيه إلى ما يجب علمه" [3].

وذكر الطّنطاوي أن المقصود بالاستفهام الحثّ و الحض على التّفكير والتّدبر[4].

و الجدير بالملاحظة أن المعاني السابقة يستجلبها تركيب الآية ، فالفاء أفادت التّنبيه" على أنَّ ما بين من أن كلَّ نفسٍ عليها حافظٌ يحصي عليها كلَّ ما يصدر عنها من قول وفعل مستوجب على الإنسان أن يتفكر في مبدأ فطرته حق التفكر "[5]ليتّعظ و يستدل على إمكان المعاد.

و " ما " الاستفهامية علّقت فعل النظر العقلي عن العمل؛ لتوقظه إلى ما يجب علمه، وهو قضية إعادة البعث[6].

2ـ (أيّ):

و هي اسم للسؤال عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعمهما[7]، و يستفهم بها عن العاقل و غير العاقل، و تلزم الإضافة معنى فإذا أضيفت إلى معرفة أضيفت إلى مثنى أو مجموع، نحو: أي الطّالبين أخوك؟ و أي الطّلّاب ابنك؟ و لم تضف إلى مفرد إلّا مكررة، كقول العرب: أي و أيك كان شرا فأخزاه الله، والمعنى: أينا كان شرا فأخزاه الله ، أو ينوى به الأجزاء، نحو: أي محمد حسن؟ أي: أي أجزائه حسن، ليصح فيه معنى البعضية.[8]

و إذا أضيفت إلى نكرة جاز أن يكون المضاف إليه مفردا أو مثنى أو مجموعا، نحو: أي طالب نجح؟ و أي طالبين نجحا؟ و أي طلّاب نجحوا؟ ذلك أنها إذا أضيفت إلى

1 ينظر: المحرر الوجيز، 5/ 465.
2 تفسير ابن كثير ، 3/ 875.
3 التّحرير و التّنوير، 30/ 261.
4 ينظر: التّفسير الوسيط، 15/ 354.
5 إرشاد العقل السّليم، 9/ 141، و ينظر: التفسير الوسيط ،للزّحيليّ، 3/ 2859.
6 ينظر: التّحرير و التّنوير، 30/ 261.
7 ينظر : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علم البلاغة ، لعبدالمتعال الصّعيديّ ، 2/ 258.
8 ينظر: المفصّل في صنعة الإعراب ، ص 118، و شرح المفصّل ، 4/ 31، وشرح الرّضيّ، 3/ 59.

نكرة كانت ككل، و كل ما وقعت عليه فتفسيره يكون بهمزة الاستفهام و" أم" فنحو : أي الطّالبين أخوك؟ تفسيره: أهذا أخوك أم هذا؟[1]

و يقول الدكتور فاضل السامرائي: إنّ (أي) تكون " بحسب ما تضاف إليه، فإن أضيفت إلى مكان كانت مكانا، و إن أضيفت إلى زمان كانت زمانا، و غن أضيفت إلى غيرهما كانت بحسب ما أضيفت إليه، و ذلك نحو قوله تعالى: " أيكم زادته هذه إيمانا"[2] وقوله: " و ما تدري نفس بأي أرض تموت"[3] و قوله: " و سيعلم الّذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"[4] و نحو: أي يوم سافر خالد، وما إلى ذلك" [5].

وقد وردت أساليب " أي" في حزب النبأ مرتين أخذت فيها " أي" الصور النمطية الآتية:

أ - " مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ" (سورة عبس، الآية 18)

حرف جر+ اسم استفهام+ مضاف إليه+ جملة فعلية

في هذه الآية أضيفت " أي" إلى اسم نكرة، وهو استفهام مجازي ورد في مقام الاستدلال على إبطال إحالتهم البعث، وهو استفهام صوري جيء به بصورة سؤال و جواب في قوله: " مِن نُطْفَةٍ خَلَقَهُ". [6]

والمعنى" مِنْ أَيِّ شَيْءٍ مسترذل مستنزل خَلَقَهُ وأوجده سبحانه حسب قدرته مِنْ نُطْفَةٍ مهينة خبيثة خَلَقَه فقَدَّره أى هيأ آلاته وأعضاءه منها فعدله وسوى هيكله كل ذلك ليعرفً مبدأه ومعاده"[7].

1 ينظر: شرح المفصّل، 4/ 31 ، و همع الهوامع، للسّيوطيّ، 2/ 517. .
2 سورة التّوبة، الآية 124.
3 سورة لقمان، الآية 34.
4 سورة الشّعراء،227.
5 معاني النّحو، للدكتور فاضل السّامرّائيّ، 4م 221. .
6 ينظر: التّحرير و التّنوير، 30/ 122.
7 الفواتح الإلهية، 2/ 485، و فتح البيان، 15/ 82.

قـال الواحـدي: الاسـتفهام معنـاه التّقريـر [1]، و تبعـه البغـوي[2]، و ابـن عطيـة[3]، والنسفي[4]، و الخازن[5]، و الجلالان[6]، و الثّعالبي[7]، و الشّوكاني[8].

وقال البيضاوي الاستفهام للتّحقير، ولذلك أجاب عنه بقوله:" مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ"[9]، وتبعه أبو السعود[10]، و الألوسي[11]، و المراغي[12].

أما ابن عادل فانفرد بقوله: إنه استفهام توبيخ[13].

وذكر النيسابوري أنه لزيادة التّقرير في التّحقير[14]، وتبعه البقاعي في قوله: " والاستفهام للتقرير مع التحقير"[15] .

ولا تضاد بين هذه الآراء " والاستفهام للتقرير أو تحقير له والأول أظهر، لأن الاستفهام ذكروا من معانيه التقرير، لكن التحقير أخص بالمقام، وجمع بعضهم بينهما فقال الاستفهام هنا لتقرير التحقير، قال الشهاب ولو قيل أنه للتقرير والتحقير مستفاد من شيء المنكر لكان له وجه" [16].

ب - " بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ " (سورة التّكوير، الآية 9)

حرف جَر+اسم اَستفهام+مضاف إليه+فعل ماض مبني للمجهول.

دخلت " أي" في هذه الآية على اسم نكرة في سؤال تعريضي وجه للموؤودة؛ لتسليتها و إظهار كمال الغيظ و السخط لوائدها و إسقاطه عن درجة الخطاب.

1 ينظر: الوجيز، 1/ 1174.
2 ينظر: تفسير البغويّ، 5/ 211.
3 ينظر: المحرّر الوجيز، 5/ 438.
4 ينظر: مدارك التّنزيل، 3/ 603.
5 ينظر: لباب التّأويل، للخازن، 4/ 395.
6 ينظر: تفسير الجلالين، 1/ 792.
7 ينظر: الجواهر الحسان، 5/ 553.
8 ينظر: فتح القدير، 5/ 464.
9 ينظر: أنوار التّنزيل، 5/ 287.
10 ينظر: إرشاد العقل السّليم، 9/ 110.
11 ينظر: روح المعاني، 15/ 246.
12 ينظر: تفسير المراغيّ، 30/ 44.
13 ينظر: اللباب، 20/ 161.
14 ينظر: غرائب القرآن، 6/ 448.
15 نظم الدّرر، 21/ 260.
16 فتح البيان ، 15/ 82.

قال السمرقندي: " إنما يكون السؤال على وجه التوبيخ لقائلها يوم القيامة لأن جوابها قتلت بغير ذنب" [1] ، و تبعه في ذلك الماروديّ[2]، و الواحديّ[3]، و السمعانيّ[4]، و البغويّ[5] ، و ابن عطية[6]، و الخازن[7]، و ابن عادل[8]، و الثّعالبيّ[9]، و البقاعيّ[10]، والشّوكانيّ[11]، والصابونيّ[12]، ومكّيّ[13].

و ذهب النيسابوري إلى أن "ومعنى هذا السؤال تبكيت قاتلها كما يخاطب عيسى بقوله أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ [المائدة: 116]"[14]و تبعه البقاعي[15]، و أضاف الطّنطاوي أنه على سبيل التّبكيت و التّقريع لمن قتلها[16]، و أضاف الحجازي على التّبكيت التّوبيخ[17].

وذكر ابن عاشور أن " الاسْتِفْهَام فِي بِأَيِّ ذَنْبٍ تَقْرِيرِيٌّ، وإِنَّمَا سئلت عَنْ تعيين الذَّنْبِ الْمُوجِبِ قَتْلَهَا دُونَ أَنْ تُسْأَلَ عَنِ قَاتِلِهَا لِزِيَادَةِ التَّهْدِيدِ لِأَنَّ السُّؤَالَ عَنْ تَعْيِينِ الذَّنْبِ مع تحقق الْوَائِدِ الَّذِي يسمع ذَلِكَ السُّؤَالَ أَنْ لَا ذَنْبَ لَهَا إِشْعَارٌ لِلْوَائِدِ بِأَنَّهُ غير معذورٍ فيما صنع بِهَا" [18].

وذهب القاسمي إلى أن الفائدة من سؤال الموؤودة عن ذلك لها وجهان:" أحدهما أن يكون المراد أن قاتلها طولب بالحجة في قتلها، وسئل عن قتله لها بأي ذنب كان، على سبيل التوبيخ والتعنيف وإقامة الحجة. فالقتلة هاهنا هم المسؤولون على الحقيقة، لا

1 بحر العلوم، 3/ 551.
2 ينظر: النّكت و العيون ،6/ 214
3 ينظر:الوجيز، للواحديّ 1/ 1178.
4 ينظر: تفسير السّمعانيّ،6/ 166
5 ينظر: تفسير البغويّ،5/ 216.
6 ينظر: المحرّر الوجيز، 5/ 442.
7 ينظر: لباب التّأويل، 4/ 398.
8 ينظر:اللّباب،20/ 183.
9 ينظر: الجواهر الحسان،5/ 556.
10 ينظر: نظم الدّرر، 21/ 280.
11 ينظر: فتح القدير، 5/ 471.
12 ينظر: صفوة التّفاسير، للصّابونيّ، 3/ 499.
13 ينظر: الهداية إلى بلوغ النّهاية، 12/ 8082.
14 ينظر: غرائب القرآن، 453/6.
15 ينظر: نظم الدّرر،21/ 280.
16 ينظر: التّفسير الوسيط، 15/ 299.
17 ينظر: التّفسير الواضح، 3/ 829.
18 التّحرير و التّنوير، 30/ 146.

المقتولـة، وإنمـا المقتولـة مسؤول عنهـا.. . والوجـه الآخـر أن يكـون السؤال توجـه إليهـا علـى الحقيقة، على سبيل التوبيخ له، والتقريع له، والتنبيه له، على أنه لا حجة له في قتلها. [1]".

و بالنظر إلى التركيب و المقام الّذي وردت فيه الآية يتّضح أن المراد من السؤال هو التّوبيخ ؛ فالمقام لتوبيخ الكفرة و المشركين و تهديدهم على خبائثهم.

والتّبكيت إنما كان في توجيه السؤال للموؤودة دون الوائد مع أن الذّنب له دونها، إذ لا حجة لـه فـي قتلها[2]، فالمجنى " عليه إذا سئل بمحضر من الجاني ونسب اليه الجناية دون الجاني كان ذلك بعثا للجانى على التفكر فى حال نفسه وحال المجنى عليه فيعثر على براءة ساحة صاحبه وعلى أنه هو المستحق لكل نكال فيفحم"[3].

3ـ(**أين**):

و هي اسم للسؤال عن المكان[4]، قال سيبويه:" وأين: أي مكان؟"[5]و قال أيضا:" ولا ولا يكون أَيْنَ إلاّ للأَماكن، كما لا يكون متى إلاّ للأَيام والليالى"[6].

" سواء كان الاستفهام حقيقيا، نحو: أين أخوك؟ أم مجازيا، نحو:قوله تعالى:" **أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ**"[7] فإنه لا يسأل عن مكانهم حقيقة و إنما هو لتبكيتهم"[8].

و قد وردت أساليب (أي) مرة واحدة في الحزب موضع البحث ، و أخذت الصورة النمطية الآتية:

" **فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ**" (سورة التّكوير، الآية 26)

اسم استفهام+ جملة فعلية مضارعة

دخلت(أين) في هذه الآية على جملة فعلية فعلها مضارع .

روى الطّبري عن قتادة أنه قال: فأين تعدلون عن كتابي و طاعتي[9].

1 محاسن التّأويل، 9/ 413-414

2 ينظر: إرشاد العقل السّليم، 9/ 115، وروح البيان، 10/ 346، و فتح القدير، 471/5، و روح المعاني، 15/ 257.

3 ينظر: روح البيان،10/ 346.

4 ينظر:حروف المعاني، للزّجّاجيّ، ص 34، و اللّمع في العربيّة ، لابن جنّي، ص 228.

5 الكتاب، 4/ 233.

6 المصدر نفسه، 1/ 219- 220.

7 سورة القصص ، الآية 62.

8 معاني النّحو،4/ 221.

9 ينظر: جامع البيان، 24/ 262– 263.

و ذكر الفراء أن العرب تقول: إلى أين تذهب ، و أين تذهب، و أجازوا في هذا الفعل إسقاط " إلى" لكثرة الاستعمال[1].

و قال الزمخشري: " استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا أو ذهابا في بنيات الطريق : أين تذهب، مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل"[2].

الباطل"[2].

و تبعه الرازي[3]، و أبو حيان[4]، و البيضاوي[5]، وأبو السعود[6]، و الألوسي[7].

و قال ابن عطية: "فأين تذْهبون توقيف وتقرير على معنى: أين المذهب لأحد عن هذه الحقائق"[8].

وقال ابن عاشور:" وهو اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ عَنْ مَكَانِ ذَهَابِهِمْ، أَيْ طَرِيقِ ضَلَالِهِمْ"[9].

اجتمعت الآراء السابقة في أن المقصود الإنكار على المشركين عدولهم عن الحق في شأن القرآن الكريم ، و النبي الأمين ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ و لمقام (أين) و هي في الأصل اسم ا ستفهام عن المكان نستطيع أن نقول: إن الاستفهام للاستضلال و الإنكار أي: بعد أن بين الله تعالى أن القرآن الكريم وحي مبين ، أنزله على رسوله الأمين، أنكر على المشركين عدولهم و ضلالهم عن الحق و انتهاجهم سخف القول و باطله في شأنهما.

4ـ أيّان:

و هي اسم يستفهم به عن الزّمان المستقبل بمعنى(متى)[10] وهي مركّبة من (أي) و(أوان) فحذفت الياء الأخيرة من (أي) و الهمزة من (أوان) ثم قلبت الواو ياء و أدغمت في الياء، فصارت (أيان)[11] ، و قيل: هي مركّبة من (أي) و (آن) أي: أي حين،

1 ينظر: معاني القرآن، للفرّاء، 3/ 243.
2 الكشّاف ، 4/ 714.
3 ينظر : التّفسير الكبير، 16/ 79.
4 ينظر : البحر المحيط، 8/ 426.
5 ينظر:أنوار التّنزيل، 5/ 291.
6 ينظر: إرشاد العقل السّليم،9/ 119.
7 ينظر: روح المعاني، 15/ 266.
8 ينظر: المحرّر الوجيز، 5/ 445.
9 التّحرير و التّنوير،30/ 164.
10 ينظر: الكتاب،4/ 235، و المقتضب، 1/ 52، و حروف المعاني، ص12.
11 ينظر: الصّاحبيّ في فقه اللّغة ، لابن فارس، ص 101.

فحـذفت همـزة الأخيـرة، فصـارت الكلمـة ان: بعـد الاتّصـال (أيـان) ورد الرضـي هـذا القـول استنادا إلى أن (آن) لا يستعمل بغير لام التّعريف، و أن (أيا) لا تضاف إلى معرفة[1].

وتختلف (متى) و (أيان) مع اتّحادهما في أمور منها[2]:

1 ـ أن (متى) تستعمل للماضي و المستقبل ، و (أيان) تختص بالاستقبال ، يقال: متى قدمت؟ و لا يقال: أيان قدمت؟

2 ـ أن (متى) تستعمل في كل أمر، و أما (أيان) فتختص بالأمور المعظّمة المفخمة، جاء في شرح ابن يعيش: "و أيان لا تستعمل إلّا فيما يراد تفخيم أمره و تعظيمه، نحو قوله تعالى: " **أَيَّانَ مرساها**"[3]أي: متى مرساها، و قال تعالى :" **يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ**"[4]"[5] و بهذا فلا فلا يقال: أيان نمت.

وورد لـ(أيان) أسلوب واحد في مجال البحث جاء على الصورة النمطية الآتية:

" **أَيَّانَ مرساها**" (سورة النازعات، الآية 42)

اسم استفهام+ مبتدأ

دخلت (أيان) على اسم جاء مبتدأ خبره اسم الاستفهام (أيان).

واستعمل لفظ(أيان) لتعظيم ما بعده، فأيان مرساها:" منتهاها و مستقرها كما أَنَّ مرسى السَّفينة ومستقرَّها حيثُ تنتهي إليه"[6] ، وفيه إشعار بثقل اليوم و عظمه، ألا تراهم لا يستعملون الإرساء إلّا فيما ثقل كمرسى السفينة و إرساء الجبال[7].

قال سيد قطب: " يرتد السياق الّذي وردت فيه الآية إلى المكذّبين بهذه الساعة الّذين يسألون الرسول ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ عن موعدها. يرتد إليهم بإيقاع يزيد من روعة الساعة و هولها في الحس و ضخامتها"[8].

وذكر ابن عاشور أن الاستفهام مستعمل في الاستبعاد كناية عن الاستحالة، فقد" كان سؤالهم استهزاء واستخفافا لأنّهم عقدوا قلوبهم على استحالة وقوع السّاعة"[9].

1 ينظر: شرح الكافية، 3/ 205.
2 ينظر: شرح المفصّل ، 4/ 168–169، و شرح الرّضيّ ، 3/ 205 ، و همع الهوامع،546/2.
3 سورة االنّازعات، الآية 42.
4 سورة القيامة، الآية6.
5 شرح المفصّل، 4-169.
6 البحر المحيط: 8/ 416.
7 ينظر: الكشّاف، في الهامش، 4/ 699.
8 في ظلال القرآن، 6/ 3812.
9 التّحرير و التّنوير، 30/ 94–95.

و نقل الصابوني أن المفسرين قالوا: " كان المشركون يسمعون أنباء القيامة، ووصفها بالأوصاف الهائلة مثل «طامة، وصاخة، وقارعة» فيقولون على سبيل الاستهزاء: متى يوجدها الله ويقيمها، ومتى تحدث وتقع؟"[1] و تبعه في ذلك الحجازي[2]، و الزحيلي[3].

وورد في تنوير المقباس: " {أَيَّان مرساها} متى قيامها إنكار منهم لها"[4] و تبعه في في إفهام الإنكار البقاعي[5]، و الخطيب[6]، والحجازي[7].

ولا تعارض بين ما ذكر فالسؤال كان استهزاء بالساعة، قصد به إنكار الوقوع فهم يستبعدون الساعة، أي: البعث الآخر.

الخاتمة:

بعد تناول أسماء الاستفهام الواردة في حزب النبأ بالدراسة و التحليل يمكن الخلوص إلى النتائج الآتية:

1 ـ بلغت أساليب الاستفهام في حزب النبأ إحدى و عشرون أسلوبا، فلـ(ما) سبعة عشر أسلوبا، و لـ(أي) أسلوبان، و لـ(أين) أسلوب، و كذا لـ(أيان) أسلوب واحد.

2 ـ اتضح أن جميع الأساليب الواردة أفادت معاني بلاغية.

3 ـ تجلى مما تضمنه البحث من أساليب أن (ما) أكثر أدوات الاستفهام ورودا في حزب النبأ، و قد اختصت بحذف ألفها إذا وقعت مجرورة.

4ـ ثبت مما تقدم دخول أسماء الاستفهام على الاسم أو شبه الجملة في كثير من أساليبها الواردة في البحث، فقد دخلت (ما) على الاسم في سبعة مواضع ، و(أيان) في موضع ، وهذا ينقض ما قرره النحاة من أن أدوات الاستفهام ما عدا الهمزة تختص بالفعل.

5ـ كما ظهر من أنماط أساليب الاستفهام اختلاف مؤانستها للأسماء و الأفعال و شبه الجملة، فـ(ما) وليها الاسم في سبعة مواضع و الفعل في تسعة مواضع و أنست بالفعل الماضي أكثر من المضارع فقد وليها في سبعة مواضع، و (أين) وليها الفعل المضارع، و (أيان) وليها الاسم.

---

1 صفوة التّفاسير، 3/ 491.
2 ينظر، التّفسير الواضح، 3/ 821.
33 ينظر: المنير ، 30/ 52.
4 1/ 501.
5 ينظر: نظم الدّرر، 2/ 245.
6 ينظر: التّفسير القرآنيّ للقرآن، 16/ 1444.
7 ينظر: التّفسير الواضح، 3/ 821.

6أفادت أساليب الأسماء الاستفهامية في حزب النبأ معاني مختلفة عرض البحث آراء من تيسر من المفسرين حول المعنى البلاغي لكل أسلوب، ثم عقّب بما كان أليق بالنظم القرآني، وبمراجعة تلك الأساليب يتبين لنا أنها أفادت في معظمها معنى الإنكار مع معنى أو معاني أخرى ، مع ملاحظة تكرار تركيب(ماأدراك) الّذي أفاد في مواضعه جميعا معنى التّفخيم و التّعظيم، و أتى بعده بيان و توصيف للمهول أو المعظّم.

7ـ بالوقوف على الموضع الذي وردت فيه (أيان) يتّضح لنا أن ما تقدم عن النحاة والبلاغيين من أن(أيان) تختص بالأمور المفخمة المعظّمة، إنما يتوجه حسب الأصل والواقع، لا حسب اعتقاد السائل، لأن المشركين الّذين سألوا عن يوم الدين على وجه التّكذيب ، لا يعظّمونه، و إن كان في نفسه و لدى المسلمين معظّما مفخما.

المصادر و المراجع:

1 ـ ارتشاف الضرب، لأبي حيان، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبدالتّواب، مكتبة الخانجي: القاهرة، ط1، 1418هـ . 1998م.

2. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،لأبي السعود ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، لاط، لات.

3. الأزهية في علم الحروف، للهروي ، تحقيق: عبدالمعين الملوحي، ط2، 1413هـ ـ 1993م.

3. أسرار العربية، للأنباري ، دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة: الأولى 1420هـ- 1999م.

4. الأشباه و النظائر في النحو، للسيوطي، دار الحديث، ط3، 1998م.

5ـ الأصول في النحو، لابن السراج ، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت، لاط، لات.

6ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشّنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، لاط، 1415 هـ – 1995 م.

7ـ إعراب القرآن وبيانه، المؤلف : محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت) الطبعة : الرابعة ، 1415 هـ.

8. ألفية ابن مالك، لابن مالك ،الناشر: دار التعاون، لاط، لات.

9 . الأمالي، لابن الشّجري، تحقيق و دراسة: محمود محمد الطّناحي، مكتبة الخانجي: القاهرة، ط1، 1991م.

10ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1418 هـ.

11ـ أوضح التفاسير، المؤلف: محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة: السادسة، رمضان 1383 هـ – فبراير 1964 م.

12. إيجاز البيان عن معاني القرآن، للنّيسابوري ، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1415 هـ.

13 ـ الإيضاح، للخطيب القزويني، تحقيق: محمد عبدالقادر الفاضلي، المكتبة العصرية: صيدا. بيروت، لاط، 1434هـ .2013م.

14ـ بحر العلوم، للسمرقندي، تحقيق و تعليق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والدكتور/ زكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية_ بيروت . لبنان، ط: الأولى، 1413هـ _ 1993م.

15ـ البحر المحيط ، لأبي حيان ، دراسة و تحقيق و تعليق: الشّيخ عادل أحمد عبدالموجود، و الشّيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الثّالثة، 2010م.

16ـ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة ، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية 1423 هـ – 2002م.

17ـ بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، المؤلف: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر، 1426هـ–2005م.

18ـ التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، النّاشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه، لاط ، لات.

19. التحرير والتنوير،لابن عاشور ،الدار التونسية للنشر – تونس،لاط، 1984 هـ.

20. التسهيل لعلوم التنزيل ، لابن جزي ، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – 1416 هـ.

21. التعريفات، المؤلف: للشّريف الجرجاني، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ –1983م.

22. تفسير الجلالين، المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى.

23ـ التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول] المؤلف: دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: 1383 هـ.

24. تفسير الشعراوي – الخواطر، المؤلف: محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.

25ـ تفسير القرآن العظيم،لأبي الفداء ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1420هـ – 1999 م.

26ـ تفسير القرآن، المؤلف: للسمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ– 1997م.

27. التفسير القرآني للقرآن، للخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة، لاط، لات.

28ـ تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ – 1946 م.

29. التفسير المظهري، المؤلف: المظهري، محمد ثناء الله، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية – الباكستان، الطبعة: 1412 هـ.

30ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، 1418 هـ.

31ـ التفسير الواضح، المؤلف: الحجازي، محمد محمود، دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة – 1413 هـ.

32. التفسير الوسيط للزحيلي، المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر – دمشق، الطبعة : الأولى – 1422 هـ.

33. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1998م.

34. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، دار الكتب العلمية – لبنان ، لاط، لات.

35. جامع البيان في تأويل القرآن، للطّبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

36 . جامع الدروس العربية، للشّيخ مصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية: صيدا- بيروت، ط28، 1414هـ .1993م.

37. الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م.

38. الجدول في إعراب القرآن الكريم، المؤلف: محمود بن عبد الرحيم صافي، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، 1418 هـ.

39. الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي، تحقيق: د فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1992 م.

40. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثّعالبي، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة : الأولى - 1418هـ.

41. حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، المؤلف: أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى 1417 هـ -1997م.

42. حروف المعاني والصفات، للزّجاجي أبو القاسم، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، 1984م.

43 . الخليل معجم مصطلحات النّحو العربي، لجورج متري، عبدالمسيح و هاني جورنايري، مكتبة لبنان، بيروت، لاط، 1410هـ . 1990م.

44. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، لاط، لات.

45 . رصف المباني، للإمام المالقي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللّغة العربية: دمشق، لاط، لات.

46. روح البيان، لأبي الفداء ، دار الفكر – بيروت، لاط، لات.

47ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.

48ـ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، للسهيلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1412 هـ

49ـ زاد المسير في علم التفسير، للجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422 هـ.

50 ـ شرح ابن عقيل، تحقيق: الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر: دمشق، ط2، 1985م.

51ـ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، للأشموني، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان،الطبعة: الأولى 1419هـ– 1998م.

52 . شرح الرضي على الكافية، للرضي الإستربادي، تصحيح و تعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس: بنغازي، ط2، 1996م.

53 ـ شرح المفصل، لابن يعيش، تحقيق: الدكتور. إبراهيم محمد عبدالله ، مكتبة العلوم: القاهرة، ط1، 1434هـ ـ 2013م.

54ـ الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لابن فارس، الطبعة: الأولى، 1418هـ–1997م.

55ـ صفوة التفاسير، المؤلف: محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1417 هـ – 1997 م.

56 . عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، المطبوعة مع الأوضح، المؤلّف: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية: صيدا. بيروت، لاط، 1427هـ ـ 2006م.

57 . علم المعاني، للدكتور: عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية: بيروت ـ لبنان . لاط، 1405هـ . 1985م.

57ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – 1416 هـ.

58، فتح البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: للقنَّوجي، عِني بطبعه وقدّم له وراجعه: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصريَّة للطباعة والنشر، صيداَ – بيروت، لاط ، 1412 هـ – 1992 م.

59. فتح القدير، المؤلف: للشّوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – 1414 هـ.

60. الفروق اللغوية، للعسكري ، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر،لاط، لات.

61. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، للشّيخ علوان، دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ – 1999 م.

62. في ظلال القرآن، المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر – 1412 هـ.

63 . القواعد التّحويلية في الجملة العربية، عبد الحليم عيسى، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2011م.

64. الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 1408 هـ – 1988 م.

65. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزَمخشري جار الله، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1407 هـ.

66. لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1415 هـ.

67. اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ،الطبعة: الأولى، 1419 هـ –1998م.

68. لسان العرب، لابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ.

69. لطائف الإشارات ، للقشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر،الطبعة: الثالثة.

70ـ اللغة العربية معناها ومبناها، المؤلف: تمام حسان عمر، عالم الكتب، الطبعة: الخامسة 1427هـ-2006م.

71. اللمع في العربية، المؤلف: لابن جنّي، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية – الكويت، لاط ، لات.

72ـ محاسن التأويل، للقاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – 1418 هـ.

73. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422 هـ.

74. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ – 1998 م.

75ـ معالم التنزيل في تفسير القرآن ، للبغوي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، 1420 هـ.

76. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى 1408 هـ – 1988 م.

77ـ معاني القرآن، للفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، و محمد علي النجار، و عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى، لات.

78 ـ معاني النحو، المؤلّف: فاضل صالح السامرائي، دارالفكر: عمان . الأردن، ط5، جديدة ومنقّحة، 1432هـ . 2011م.

79. المعجم المفصل في علو م البلاغة (البديع و البيان و المعاني) ،لإنعام فوال عكاوي، مراجعة أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان، ط2، 1417هـ . 1996م.

80ـ معجم دقائق العربية جامع أسرار اللّغة خصائصها، لأمين آل ناصر الدين، عني بمراقبة أصوله، نديم آل ناصر الدين، لبنان ، بيروت، ط1، 1997م.

82. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام ، تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، الطبعة: السادسة، 1985م.

83ـ مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، للفخر الرازي ، تحقيق: سيد عمران، دار الحديث: القاهرة، لاط – 1433 هـ .2012م.

84. مفتاح العلوم، للسكّاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 1407 هـ – 1987 م.

85. المفصل في صنعة الإعراب، للزمخشري جار الله، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى، 1993م.

86 ـ المقتصد في شرح الإيضاح، للجرجاني، تحقيق: الشّربيني شريدة ، دار الحديث ك القاهرة، 1430هـ . 2009م.

87. المقتضب، للمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب. – بيروت، لاط، لات.

88. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، لاط، لات.

89ـ النكت والعيون ، للماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

91. الهداية إلى بلوغ النهاية ، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ – 2008 م.

92. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية – مصر، لاط، لات.

93ـ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ .1995.

إدارة الجودة الشاملة

في التعليم

ا.عبد الناصر علي المرهاق
قسم التربية وعلم النفس /كلية الآداب
جامعة طرابلس.

المقـدمة

إن من أهم وظائف النظام التعليمي الحديث امداد المجتمع بالقوى العاملة المدربة والمؤهلة في مختلف المجالات والقطاعات الفكرية والعلمية والانتاجية من خلال إعداد أفراد يملكون أدوات البحث عن المعرفة واشتقاقها من مصادرها وكيفية التعامل مع ما تحويه من معلومات وكيفية فهمها ونقدها من خلال ما يملكون من مهارات التعلم الذاتي والتعلم المستمر والتعليم التعاوني والتفكير العلمي والقدرة على الإبداع والابتكار، ولكي تتحقق مثل هذه الوظيفة أصبح مبدأ تطبيق الجودة الشاملة في النظام التعليمي من أهم التحديات التي تواجه دول العالم النامي بما فيها الدول العربية ويرى بعض المتخصصين في المجال" ان الجودة الشاملة هي الشيء المفقود من أجل تحسين التعليم ، حيث يعمل التعليم جاهداً من أجل تحقيق مستوى معيشي مرتفع للأفراد والمجتمعات من خلال استخدام معايير الجودة الشاملة في التعليم ، وما لم تبذل الجهود وتوضع السياسات الخطط وترصد الموارد من أجل تحقيق ذلك فإن المسألة سوف تصبح صعبة للغاية ، فالمطلوب ليس معجزة بقدر ما هو إعادة تقييم و تقويم لما هو موجود في الموؤسسات التعليمية بكل عناصرها ومكوناتها من خلال معايير الجودة الشاملة و اعادة تصميمها وانتاجها وتطبيقها في معظم العناصر التعليمية مثل إعداد المعلم وصياغة الأهداف التعليمية والمناخ المدرسي والادارة التعليمية ...الخ.

وتعد إدارة الجودة الشاملة Total Quality Managementمن المفاهيم الإدارية الحديثة والتي ظهرت نتيجة للمنافسة العالمية الشديدة بين مؤسسات الإنتاج اليابانية

والأمريكيـة والأوروبيـة ، إذ تمكنـت اليابـان بفضـل جـودة منتجاتهـا مـن اكتسـاح الأسـواق العالميـة والفـوز برضـا المسـتهلكين حـول العـالم جـراء اسـتخدام إدارة الجـودة الشـاملة فـي المؤسسات الاقتصادية والصناعية والتكنولوجية والتجارية ، وترجع فلسفة ادارة الجودة إلي العالم الأمريكي ديمنج "Edward Deeming " والذي يعد ابرز رواد هذا المجال في الادارة ، حيث اعتمد توزيعا لتحسين الجودة من خلال تطبيقات الرقابة الإحصائية ، وزاد التنافس بين معظم المؤسسات في تطبيق هذا الأسلوب الإداري في كافة الدول المتقدمة وبعض الدول النامية التي بدأت تستخدم هذا الأسلوب في مؤسساتها المختلفة بما فيها التربوية ، وتحاول بعض الدول العربية استخدام هذا الأسلوب في مدارسها ، وأصبحت تخضع برامجها التربوية لمعايير الجودة الشاملة ، وأصبح من أهم المعايير للحكم علي نجاح المؤسسات التربوية هو نوعية الطالب الذي يتخرج من هذه المؤسسات التربوية وقدرته علي خدمة مجتمعه وتطويره والرقي به وعلاقة المؤسسة التعلمية بالمجتمع وارتباطها بسوق العمل ومواكبة عجلة التطور العلمي والتقني السريع والمستمر .

مشكلة البحث وأسئلته :

رغم ازدياد أهمية التعليم لدى جميع دول العالم بصفة عامة، ودولة ليبيا بصفة خاصة، ورغم رصد المبالغ الطائلة من ميزانياتها لترفع من شأن مواطنيها من خلال برامج التدريب والتعليم بمستوياته المختلفة، إلا أن هناك الكثير من الانتقادات التي توجه إلى تدني جودة ونوعية المخرجات التعليمية وعدم مواءمتها لمتطلبات سوق العمل وخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وارتفاع تكلفة التعليم في ضوء معدلات التضخم العالية وشح او عدم كفاءة مصادر التمويل وطرق الانفاق التربوي وزيادة الهدر التربوي في جميع مراحل التعليم .

وقد أكد إعلان بيروت للتعليم العالي في الدول العربية على أهمية جودة مخرجات التعليم، وطلب من "جميع أنظمة ومؤسسات التعليم أن تعطي الأولوية لضمان جودة البرامج والتدريس والمخرجات والإجراءات والمقاييس اللازمة لضمان النوعية، لكي تتمش مع

المتطلبات العالمية دون الإخلال بالخصوصية لكل قطر أو مؤسسة أو برنامج"(Unesco, 1998).

ولأهمية تطوير التعليم بمدخلاته المتنوعة وعملياته ومخرجاته أصبح اللازم قبول مبدأ التقويم الشامل لعناصر النظام التعليمي المختلفة وعملياته و برامجه والدفع به إلى تحقيق أهدافه المنشودة من جهة وتحقيق للاستثمار الأمثل للموارد المختلفة المخصصة للإنفاق على التعليم وترشيده وزيادة فاعلية وكفاءة هذا الانفاق .

وأدى ذلك إلى ظهور توجه نوعي يهدف للسعي الجاد للارتقاء بكفاءة النظام التعليمي على المستويين الداخلي والخارجي، من خلال تحسين الجودة الشاملة لمخرجات النظام التعليمي، وضبط تلك الجودة باستخدام معايير ونظم الجودة الشاملة المختلفة، وفي ضوء ذلك يمكن صياغة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي: ماهي الاسس والمعايير اللازمة لتطبيق ادارة الجودة الشاملة في التعليم و ما مدى إمكانية التطبيق في المؤسسات التعليمية ؟ ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس عدة أسئلة فرعية تجيب عنها الدراسة وهي:

1- ما مفهوم الجودة الشاملة في التعليم ؟

2- ما أسس ومعايير الجودة الشاملة في التعليم؟

3- ما مبررات تطبق الجودة الشاملة في النظام التعليمي ؟

4- ما الفوائد التي يمكن تحقيقها من تطبيق إدارة الجودة الشاملة في التعليم العام والجامعي؟

5- ما متطلبات تطبيق نظام الجودة الشاملة في الموؤسسات التعليمية ؟

6- كيف يمكن تطبيق مفاهيم الجودة الشاملة في التعليم العالي ؟

7- ما معيقات تطبيق إدارة الجودة في التعليم .

أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

1- التعريف بمفهوم الجودة الشاملة في التعليم .

2- تحديد اسس و معايير الجودة الشاملة في التعليم.

3- التعرف علي إمكانية تطبيق الجودة الشاملة في التعليم مجال التعليم الجامعي.

4- التعرف على الفوائد التي يمكن تحقيقها من تطبيق إدارة الجودة الشاملة في التعليم العام والجامعي .

5- التعرف على متطلبات تطبيق نظام الجودة الشاملة في الموؤسسات التعليمية .

6- التعرف على إمكانية تطبيق مفاهيم الجودة الشاملة في التعليم العالي .

7- التعرف على معيقات تطبيق ادارة الجودة في التعليم .

8- التوصل لتوصيات تسهم في تفعيل تطبيق الجودة الشاملة في مؤوسسات التعليم العالي في ليبيا .

أهمية البحث :

تكمن أهمية هذا البحث في إلقاء الضوء على مفهوم حديث أصبح واسع الانتشار ومثير للاهتمام للمسؤولين عن التربية والتعليم والمستفيدين من برامجها وخدماتها منذ ظهور هذا الاتجاه في الولايات المتحدة الأمريكية وهو مفهوم الجودة الشاملة في التعليم، خاصة أن ضمان الجودة في التعليم أصبح وسيلة للتأكد من تحقيق النظام التعليمي لأهدافه المرسومة، ومن مصداقية جهود المؤسسات التعليمية وارتباطها برسالتها وغاياتها، واكتساب ثقة المستفيدين من الخدمة التعليمية والممولين لها والتأكد من رضاهم عنها.

وتنبثق أهمية الدراسة الحالية من كونها تلقي الضوء على بعض الأساليب الإدارية الحديثة وأبرزها إدارة الجودة الشاملة باعتبارها إحدى الفلسفات الإدارية الحديثة التي تهتم بالتركيز على الجودة والإتقان باعتبارهما ضروريين للوصول إلى التميز في الأداء للإدارة التربوية والعملية التعليمية ويمكن تلخيص أهمية هذا البحث في النقاط الاتية :

1-التعريف بإدارة الجودة و دورها في تحسين وتطوير النظام التعليمي الجامعي ليتلاءم مع مفهوم إدارة الجودة الشاملة .

2- يبرز البحث أهمية مدخل إدارة الجودة الشاملة كأسلوب في تحسين النظام التعليمي الجامعي وتطويره .

3- يفيد هذا البحث صانعي القرارات بالمؤسسات التعليمية بكيفية تطبيق اساليب واليات إدارة الجودة الشاملة أثناء ممارسة أعمالهم الإدارية والفنية لخدمة الطلاب والمجتمع .

5- يسهم هذا البحث في لفت النظر لأهمية المدخلات التعليمية واستغلالها بشكل يتناسب مع حجم الأهداف والمخرجات المطلوبة من الجامعات وملاءمتها لسوق العمل ومتطلبات التنمية المستدامة .

6- تطوير وتحسين البرامج التعليمية حتى تواكب التغييرات والتطورات العالمية الحديثة في المجالات المختلفة .

منهجية البحث :

اعتمد الباحث المنهج الوصفي النظري الذي يعتمد علي تحليل مفهوم الجودة الشاملة واتجاهاته الحديثة ، ومتطلبات استخدامه بالتعليم الجامعي ، والعوامل المؤثرة به وواقع الجامعات الليبية لإمكانية تطبيقه لتحسين المخرجات التعليمية التي ستنعكس علي تنمية المجتمع، ومعوقات استخدامه ، ثم وضع تصور لتطوير التعليم الجامعي في ضوء مفاهيم إدارة الجودة الشاملة .

وللإجابة عن أسئلة البحث استخدمت الباحث الجانب التحليلي النظري لمفهوم إدارة الجودة الشاملة والنجاحات التي حققتها في المنظمات التعليمية للاستفادة منها في تطوير وتحسين التعليم الجامعي الليبي.

خطة البحث :

اعتمد الباحث في خطه البحث في هذا الموضوع علي تقسيم البحث إلي ثمان مجالات رئيسة وهي:

1. مفهوم الجودة الشاملة وخصائصها و مرتكزاتها الفكرية في التعليم .
2. أسس و معايير الجودة الشاملة في التعليم.
3. مبررات تطبيق الجودة الشاملة في النظام التعليمي .
4. الفوائد التي يمكن تحقيقها من تطبيق إدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي .

5. متطلبات تطبيق نظام الجودة الشاملة في الموؤسسات التعليمية .
6. إمكانية تطبيق مفاهيم الجودة الشاملة في التعليم العالي .
7. معيقات تطبيق إدارة الجودة في التعليم .
8. توصيات بشان تطبيق الجودة الشاملة في موؤسسات التعليم العالي في ليبيا .

اولاً : مفهوم ادارة الجودة الشاملة وخصائصها و مرتكزاتها الفكرية في التعليم .

1 – **مفهـوم ادارة الجـودة الشـاملة** : إن مصـطلح الجـودة هـو بالأسـاس مصـطلح اقتصـادي ظهر بناء علي التنافس الصناعي والتكنولوجي بين الدول الصناعية المتقدمة بهدف مراقبة جودة الإنتاج وكسب ثقة السوق والمشتري ، وبالتالي تتركز الجودة علي التفوق والامتياز لنوعية المنتج في أي مجال ، وتعرف الجودة ضمن مفهوم إدارة الجودة الشاملة (TQM) بأنها " مقابلة وتجاوز توقعات المستفيد " (Barton,Joan,1991) ، وبالتالي يقوم المستفيد بتحديد ماهية الجودة المطلوبة والتي تلبي رغباته وتحقق رضاه ، وهنا يكمن التحدي والصعوبة في إرضاء جميع المستفيدين والذين تختلف أهواءهم ورغباتهم ولهم شخصيات مختلفة وينتمون لطبقات اجتماعية مختلفة .

ولقد ظهر مفهوم إدارة الجودة الشاملة (TQM) بعد الأزمة التي حدثت في الاقتصاد الياباني بعد الحرب العالمية الثانية مما اضطر زعماء الصناعة اليابانية إلي إحداث الجودة بمساعدة ديمنج (Deeming) الأمريكي الذي يسمي بأبي الجودة ، والذي قام بتعليم المنتجين اليابانيين علي كيفية تحويل السلع الرخيصة والرديئة إلي سلع ذات جودة عالية ، حيث تم بالفعل تسجيل أفضلية للسلع اليابانية علي المنتجات الأمريكية ، وعندما سأل ديمنج عن سبب نجاح إدارة الجودة الشاملة في اليابان بدرجة أكبر من الولايات المتحدة قال: الفرق هو بعملية التنفيذ أي تجسيد إدارة الجودة الشاملة وتطبيقاتها .

أما مفهوم الجودة في التعليم يتعلق بكافة السمات والخواص التي تتعلق بالمجال التعليمي والتي تظهر مدي التفوق والإنجاز للنتائج المراد تحقيقها ، " وهي ترجمة احتياجات توقعات الطلاب إلي خصائص محددة تكون أساساً لتعميم الخدمة التعليمية وتقديمها للطلاب بما يوافق تطلعاتهم " (الرشيد : 1995) ، وبالتالي تسعي الجودة الشاملة إلي إعداد الطلاب بسمات معينة تجعلهم قادرين علي معايشة غزارة المعلومات

وعمليات التغيير المستمرة، والتقدم التكنولوجي الهائل ، لذلك فإن هذه المرحلة تتطلب "إنسانا ذو مواصفات معينة لاستيعاب كل ما هو جديد ومتسارع والتعامل معها بفعالية " (أبو ملوح : 2001) ، وهذا يتطلب تحول كبير في دور المعلم والمشرف الأكاديمي بأي مؤسسة تعليمية ، فهو مدرب وموجه وعليه توفير مناخ تعليمي يسمح بحرية التعبير والمناقشة ومساعدة الطلاب علي التعلم الذاتي والتعاوني .

إن عملية تطبيق إدارة الجودة الشاملة في التعليم تحتاج إلي توفير قياديين مؤهلين قادرين علي فهم معاني الجودة الشاملة وتطبيقاتها ودورها في تحسين المنتج والمخرجات التعليمية بعيدا عن الخوف والتردد لدي هذه القيادات ، وهذا يتطلب تشجيع هذه القيادات علي إبداء آرائهم بحرية نحو التغيير والتحسين والابتكار، ويعني مفهوم إدارة الجودة الشاملة بأنه " أسلوب متكامل يطبق في جميع فروع ومستويات المنظمة التعليمية ليوفر للأفراد وفرق العمل الفرصة لإرضاء الطلاب والمستفيدين من عملية التعلم ، أو "هي فعالية تحقيق أفضل خدمات تعليمية بحثية واستشارية بأكفأ أساليب وأقل تكاليف وأعلي جودة ممكنة " (النجار : 1999) ، بينما يري (Joblanski Joseph: 1994)، أن إدارة الجودة الشاملة هي" فلسفة للإدارة أو أنها مجموعة من المبادئ الإرشادية التي تسمح لشخص أن يدير بشكل أفضل وهي تصنيف لأدوات القياس الإحصائية المتقدمة التي يستخدمها عدد قليل من الأفراد وتتطلب العملية التكامل بين الشكلين" .

بينما يري آخرون أن إدارة الجودة الشاملة هي "مدخل استراتيجي لإنتاج أفضل منتج أو خدمة من خلال الابتكار المنتج (فيليب انكستون : 1995) .

وعرفها معهد الجودة الفيدرالي الأمريكي بأنها " تأدية العمل الصحيح علي نحو صحيح من الوهلة الأولي مع الاعتماد علي تقويم المستفيد في معرفة مدي تحسن الأداء "

أما في القطاع التربوي فإن إدارة الجودة الشاملة تعرف بأنها " عملية استراتيجية إدارية ترتكز علي مجموعة من القيم وتستمد طاقة حركتها من المعلومات التي نتمكن في إطارها توظيف مواهب العاملين واستثمار قدراتهم الفكرية في مختلف مستويات التنظيم علي نحو إبداعي لتحقيق التحسن المستمر للمنظمة " ، ويركز هذا التعريف علي مفهوم إدارة النظم الذي يربط بين المدخلات والعمليات والمخرجات للعملية التعليمية ، وبالتالي يتطلب هذا المفهوم النظر إلي كل من الطلاب المستفيدين بصورة مباشرة من هذا الأسلوب وكيفية

الإعداد لهم لتحقيق حاجاتهم ورغباتهم الحالية والمستقبلية الأمر الذي سينعكس علي المجتمع بمؤسساته المختلفة ، وكذلك المعلمين والإداريين والعاملين الذين هم بحاجة إلي تدريب وتطوير لمهاراتهم وكفاياتهم لاستيعاب فلسفة ومفاهيم الجودة الشاملة وتطبيقاتها وفقا لمبادئ الجودة الشاملة لديمنج وغيره مثل جوران (juran) ، وهذا يتطلب فحص الهيكل التنظيمي للنظام التربوي في أي مؤسسة تعليمية حتى يتوافق مع فلسفة إدارة الجودة الشاملة مع توفر مناهج توفر متطلبات الحياة العصرية .

يعرفها رودس (Rhodes، 1992) أنها عملية استراتيجية إدارية ترتكز على مجموعة من القيم وتستمد طاقة حركتها من المعلومات التي نتمكن في إطارها من توظيف مواهب العاملين واستثمار قدراتهم الفكرية في مختلف مستويات التنظيم على نحو إبداعي لتحقيق التحسن المستمر للمنظمة.

إن تعريف رودس يمثل إطاراً مرجعياً لتطبيق نموذج الجودة الشاملة في التربية. فالمدخلات هم (الطلبة) والعمليات (ما يدور في داخل المدرسة) والمخرجات الطلبة المتخرجون. إن الالتزام الكلي بتطبيق الجودة الشاملة في المؤسسة التربوية يستدعي إعادة النظر في رسالة هذه المؤسسة وأهدافها واستراتيجيات تعاملها مع العمل التربوي ومعاييرها وإجراءات التقويم المتبعة فيها–ويجب التعرف على حاجات المستفيدين (الطلبة) أي ما هي نوعية التعليم والإعداد التي يرون أنها تحقق حاجاتهم وتلبي رغباهم.

وتشير الجودة الشاملة (Total Quality) في المجال التربوي إلى مجموعة من المعايير والإجراءات يهدف تنفيذها إلى التحسين المستمر في المنتج التعليمي ، وتشير إلى المواصفات والخصائص المتوقعة في الخدمة التعليمية وفي العمليات والأنشطة التي تتحقق من خلالها تلك المواصفات ، والجودة الشاملة توفر أدوات وأساليب متكاملة تساعد المؤسسات التعليمية على تحقيق نتائج مرضية (كنعان ،2005م) .

وانطلاقا من هذه التعريفات فإن إدارة الجودة الشاملة في إطار المؤسسة التربوية الجامعية تضم مجموعة من المفاهيم أهمها (الدراكة ، 2002: 50) .

1- اعتماد أسلوب العمل الجماعي التعاوني ، ومقدار ما يمتلكه العنصر البشري في المؤسسة من قدرات ومواهب وخبرات .
2- الحرص علي استمرار التحسين والتطوير لتحسين الجودة .

3- تقليل الأخطاء من منطلق أداء العمل الصحيح من أول مرة ، الأمر الذي يؤدي إلي تقليل التكلفة في الحد الأدنى مع الحصول علي رضي المستفيدين من العملية التعليمية

4- الحرص علي حساب تكلفة الجودة داخل المؤسسة لتشمل كافة الأعمال المتعلقة بالخدمة المقدمة مثل تكاليف الفرص الضائعة ، تكلفة الأخطاء ، عمليات التقويم ، سمعة المؤسسة

5- النهج الشمولي لكافة المجالات في النظام التعليمي الجامعي كالأهداف والهيكل التنظيمي وأساليب العمل والدافعية والتحفيز والإجراءات .

مهما كانت التعريفات التي تعرضت إلي مفهوم إدارة الجودة الشاملة إلا أنها تشترك في العديد من العناصر أهمها :

أ. التركيز علي تحسين المنتج وهو المخرج النهائي لأي نظام .

ب. تعد فلسفة واستراتيجية طويلة الأمد تحتاج إلي مجهود كبير ومدة طويلة للحكم علي مدي نجاحها في تحقيق الأهداف .

ج. توفر قيادات فعالية قادرة علي الابتكار والتطبيق الفعال بثقة ودون تردد .

د. تحتاج إلي استخدام أساليب ابتكاريه وتوليد أفكار والتخطيط الأمثل للوصول للحل الأمثل

هـ. تحتاج إلي تدريب مستمر لحل المشكلات بأسلوب علمي كالعصف الذهني .

و. تحتاج إلي المزيد من الجهد والمنافسة الشديدة بين المنظمات للوصول إلي أفضل منتج بأقل التكاليف للحصول علي رضي المستهلك .

ز. تحتاج إلي توفر هيكلية ومناهج ملائمة لعملية التطبيق والتنفيذ .

ولقد وضع ديمنج برنامجاً لتحسين وتطبيق الجودة الشاملة تصلح لجميع المنظمات الإدارية بما فيها النظام التعليمي الجامعي ، ويتكون هذا البرنامج من 14 نقطة وهي :

1- خلق حاجة مستمرة للتعليم وتحسين الإنتاج والخدمة.

2- تبني فلسفة جديدة للتطوير

3- تطبيق فلسفة التحسينات المستمرة .

4- عدم بناء القرارات علي أساس التكاليف فقط .

5- منع الحاجة إلي التفتيش .

6- الاهتمام بالتدريب المستمر .
7- توفير قيادة ديمقراطية واعية .
8- القضاء علي الخوف لدي القيادات .
9- إلغاء الحواجز في الاتصالات .
10- منعه الشعارات التي تركز علي الإنجازات والحقائق .
11- منع استخدام الحدود القصوى للأداء .
12- تشجيع التعبير عن الشعور بالاعتزاز بالثقة .
13- تطبيق برنامج التحسينات المستمرة .
14- التعرف علي جوانب العمل من خلال دورة ديمنج .

ويؤكد العديد من الباحثين الذين عملوا في ميدان الجودة الشاملة أن هذه المبادئ لديمنج لابد أن تدخل في تصميم أي منهج للجودة الشاملة التي سيطبق في أي مؤسسة تعليمية ، وهي تعد من المتطلبات الأساسية لتطبيق مفهوم إدارة الجودة الشاملة في النظام التعليمي.

2 - **خصائص الجودة الشاملة في العملية التعليمية :**

يرى بونستنك (BONSTING ، 1992) ان هناك عدة خصائص للجودة الشاملة وهي:

أ- التربية عملية مستمرة على طول مدى الحياة.

ب- إن النمط القيادي الإداري لا بد أن يكون تشاركياً وفقاً لأفكار ديمنج وجوران وغيرهما من منظري إدارة الجودة.

ج- إن التفاهم بين العاملين لا بد أن يحظى بالاهتمام مع تطبيق نظرية السيطرة Control Theory.

د- يجب معاملة جميع العاملين في المدرسة على أنهم ماهرون في تأدية العمل.

هـ- التحسين المستمر لمخرجات العملية التعليمية.

و- الاستخدام الأمثل للموارد المادية والبشرية المتاحة.

ز- تقديم الخدمات بما يشبع حاجات المستفيد الداخلي والخارجي.

ح- توفير معنويات أفضل لجميع العاملين.

ط- توفير أدوات ومعايير لقياس الأداء.

ي–تخفيض التكلفة مع تحقيق الأهداف التربوية في الطلب الاجتماعي.

3 – المرتكزات الفكرية للجودة الشاملة في العملية التربوية .

إن الهدف الرئيسي في الجودة الشاملة هو رضا جميع المستفيدين من العملية التربوية وفي مقدمتهم الطلبة الذين يمثلون المستفيد الداخلي وكذلك المعلمون والجهاز الإداري والمستفيد الخارجي الذي يمثله أولياء الأمور والمجتمع المحلي وسوق العمل.

تتمثل المرتكزات الفكرية :

أ– فلسفة إدارة الجودة.

ب–ثقافة إدارة الجودة.

ج– تحديد الأهداف بشكل واضح ودقيق.

د– انعكاس الأهداف على المناهج

هـ–استراتيجيات التعلم المناسبة.

و– متطلبات سوق العمل.

ز– استمرارية التطوير والتحسين.

ثانيا : أسس و معايير إدارة الجودة الشاملة في التعليم :

1 - أسس إدارة الجودة الشاملة في التعليم :

يتكون نظام إدارة الجودة من عشرة محكات تصف خصائص نظام إدارة المؤسسات التعليمية بصورة شاملة. وفيما يلي شرح موجز لكل محك.

أ. الإدارة الاستراتيجية Strategic Management**:**

تختص الإدارة الاستراتيجية في رسم السياسة العامة للمؤسسة التعليمية (المدرسة) وبناء الخطط التي تحدد الاتجاه العام للمؤسسة. وتعتبر الوثيقة الرئيسية في هذا المؤشر هي خطة العمل كما يطلق عليها أيضاً الخطة الاستراتيجية ، أو الخطة التطويرية، أو الخطة التشاركية.

توضع هذه الخطة مع بداية كل عام دراسي مع الأخذ بنظر الاعتبار البعد الاستراتيجي لها (التفكير الاستراتيجي) المبني على الأسئلة الثلاث التالية:

1. أين نحن الآن ؟
2. إلى أين نريد أن نصل ؟

3. كيف نصل إلى ما نريد؟

وينبغي أن تتضمن رؤية ورسالة ، والأهداف المراد تحقيقها، ومؤشرات الأداء بجانب الأولويات والمصادر المطلوبة لتنفيذ الخطة، والعنصر الأساسي في بناء الخطة، هو حاجات المتعلمين، كما يتوجب أن تشمل خطة العمل جميع المؤشرات التي يتألف منها نظام الجودة الشاملة.

ب. نوعية إدارة الجودة Quality Management.

ويختص هذا المؤشر بمدى قدرة المؤسسة التعليمية على توفير الخدمة التي تحقق توقعات المستفيدين من المؤسسة التعليمية (المتعلمين، والمعلمين، سوق العمل...الخ).

ج. التسويق ورعاية العميل Marketing & Customer care.

يسعى هذا المؤشر إلى تحديد حاجات سوق العمل والمتعلمين بغرض تقديم تدريب وتعليم فعالين بما يرضي حاجات المتعلمين وسوق العمل.

د. تطوير الموارد البشرية Human Resources Development.

يضمن هذا المؤشر التدريب المستمر للموارد البشرية بما يجعل جميع العاملين قادرين على أداء عملهم بفاعلية وإنتاجية عالية. بمعنى أن يصبح جميع العاملين لديهم الكفاية الكاملة لأداء أعمالهم بصورة صحيحة.

ه. تكافؤ الفرص Equal Opportunity.

ضمان تكافؤ الفرص لجميع المتعلمين، والعاملين في المؤسسة التعليمية وسوق العمل بما يعزز الشعور بالرضا مما يؤدي إلى تحسين الإنتاجية.

و. الصحة والسلامة Health & Safety.

ضمان وجود بيئة صحية آمنة لجميع المتعلمين، والعاملين في المؤسسة التعليمية.

ز. الاتصال والإدارة Communication & Administration.

وينص هذا المؤشر على أن إدارة المؤسسة التعليمية تسعى إلى تحقيق احتياجات المتعلمين والعاملين بها وانتقال المعلومات بصورة انسيابية على المستويين الأفقي والعمودي.

ح. خدمات الإرشاد Guidance Services.

يركز هذا المؤشر على تحديد حاجات المتعلمين المختلفة (النفسية، والأكاديمية، والاجتماعية والعمل على تحقيقها).

ط. تصميم البرنامج وتنفيذه Program Design And Delivery.

ويختص هذا المؤشر ببناء البرامج الدراسية والمواد التعليمية. وينبغي أن تبنى نواتج التعلم للبرامج الدراسية على متطلبات سوق العمل، كما يعني هذا المؤشر أيضاً بتنفيذ البرامج الدراسية واختيار طرائق التدريس المناسبة فضلاً عن التركيز على الأنشطة واحتياجات المتعلمين.

ي. التقييم لمنح الشهادات Assessment for Certification.

يؤكد هذا المؤشر على أن المتعلم الذي حقق مؤشرات متطلبات منح المؤهل يحصل على المؤهل العلمي.

2 - **معايير الجودة الشاملة في التعليم** .

جاء في المعجم الوجيز " العيار" ما اتخذ أساساً للمقارنة والتقدير ، وعيار النقود مقدار ما فيها من معدن خالص ، ومنها " المعايرة " أي التقدير بالحجم بمحاليل قياسية ومعروفة قوتها ، والمعيار في الفلسفة نموذج متحقق أو متصور لما يكون عليه الشيء ، إذن المعيار مقياس للمقارنة والتقدير وجمعها معايير . أما المعيار في الاصطلاح فمعناه المقياس أو المحك الذي يمكن الرجوع إليه أو استخدامه أساساً للمقارنة أو التقدير (المعجم الوجيز ، 2002م) .

تعرف نادية حسن علي (2002 م) معايير الجودة الشاملة في التعليم : بأنها تلك المواصفات والشروط التي ينبغي توافرها في نظام التعليم والتي تتمثل في جودة الإدارة – سياسة القبول – البرامج التعليمية من حيث (أهدافها – طرق التدريس المتبعة – نظام التقويم والامتحانات) جودة المعلمين – الأبنية والتجهيزات المادية ، بحيث تؤدي إلى مخرجات تتصف بالجودة وتعمل على تلبية احتياجات المستفيدين (علي ، 2002م)

ويمكن تعريف معايير الجودة الشاملة في التعليم في هذه الدراسة : بأنها مجموعة من المواصفات والخصائص المطلوبة والتي ينبغي توافرها لتحقيق الجودة الشاملة وتتضمن: تهيئة المناخ والبيئة المناسبة ، تحديد الخصائص المثالية التعليمية ، تحديد احتياجات

ومتطلبات المستفيدين ، التخطيط الاستراتيجي (التخطيط لجودة الإدارة ، التخطيط لجودة الأهداف ، التخطيط لجودة سياسة القبول والتسجيل ، التخطيط لجودة الخطط ومحتوى البرامج والمقررات الدراسية ، التخطيط لجودة طرق التدريس والتقنيات التعليمية ، التخطيط لجودة المعلمين ، التخطيط لجودة المباني المدرسية والتجهيزات المادية) .

وفي التقرير المقدم من مدير برنامج الجودة المحلية ببريدج هاري هرتز " Harry S.Hertz " بعنوان :" تحدي بريدج " يقول فيه : تشهد البيئة المحلية في هذه الآونة إدخال معايير تعليمية جديدة لمساعدة المنظمات لتلبية حاجات المتعلمين وتحقيق أهداف التعليم من خلال دعم المناهج وتطوير طرق التدريس وإعادة تنظيم الهيكل التعليمي وتفعيل دور الإنترنت وغيرها ، ويرى هاري هرتز إن استخدام معايير لقياس معدل الأداء هو صلب موضوع الجودة من خلال وضع مؤشرات لتلك الجودة في عناصر العملية التعليمية ، على سبيل المثال تعلم الدارسين ، ورضا العملاء ، تصميم التعليم ، التمويل ، التنمية المهنية للمعلمين ، وغيرها من العمليات التي تتم داخل النظام التعليمي ، كما يشمل أيضاً التقويم الذاتي من قبل القائمين على العملية التعليمية في ضوء المعايير الموجودة وتقويم العملية التعليمية ، وهذا من أجل تحقيق الأهداف التعليمية بكفاءة وبدون هدر ، ويرى أن هناك معياراً رئيساً للجودة يتمثل في معرفة : هل حققنا تقدماً في العملية التعليمية في ضوء الأهداف المنشودة؟ وهذا السؤال لابد أن يجيب عنه المعلمون والقادة والعاملون ويعطونه اهتمامهم ، مما يتطلب وجود تغذية راجعة في تحقيق كل هدف من الأهداف وفي تحقيق أي تقدم لضمان الاستمرار والنجاح وبالتالي نضمن أداء متميز.

ومن العوامل المؤثرة على المعلمين وبيئة العمل المعايير والتقييم ، فهذه المعايير تتطلب تعديل في المناهج ، وإعادة تنظيم الوقت ، ولأن المعلمين يسعون باستمرار لإحلال الممارسات الجديدة محل القديمة ، وهذه الممارسة لا تثري أو تعزز مكان العمل بالحيوية والنشاط فقط بل على مستوى المدارس والإدارات التعليمية ، إضافة إلى تزويد المعلمين المحتاجين إلى تعلم مهارات جديدة , كما أن المعلمون بحاجة إلى دراسة محتويات هذه المعايير والوسائل التكنولوجية لتطبيقها ومناقشتها وطرح الأفكار والمشاكل حولها . (Harry S.Hertz, 2001 : 195)

وهناك محاولات عديدة لوضع معايير للجودة الشاملة في التعليم : منها ما قام به برون ورايز "BROWN,S&RACE,PH" في كتابهما " معايير لتقويم جودة التعليم " حيث قاما بوضع معايير للمعلم والطالب والمادة التعليمية ومعايير للمهارات والخصائص المهنية والشخصية التي ينبغي أن يتسم بها العاملون في مجال العملية التعليمية مثل : التدريس الفريقي (التدريس في مجموعات) ، الزميل المتعاون جداً ، الإشراف على زملاء جدد ، تقدير أعمال هيئة التدريس الداعمة ...الخ وقاما بوضع مجموعة من الشروط لكل معيار من هذه المعايير (براون ، 1997م) ، وهناك العديد من المعايير والمؤشرات التي يتم استخدامها في مجال الجودة في التعليم ، ومنها:

1- معايير مرتبطة بالطالب : من حيث الانتقاء ، ونسبة عدد الطلاب إلى المعلمين ومتوسط تكلفة الطالب والخدمات التي تقدم له ودافعية الطلاب واستعدادهم للتعليم .

2- معايير مرتبطة بالمعلمين : من حيث حجم الهيئة التدريسية وكفايتهم المهنية ومدى مساهمة المعلمين في خدمة المجتمع واحترام المعلمين لطلابهم .

3- معايير مرتبطة بالمناهج الدراسية : من حيث أصالة المناهج وجودة مستواها ومحتواها والطريقة والأسلوب ومدى ارتباطها بالواقع .

4- معايير مرتبطة بالإدارة المدرسية : من حيث التزام القيادات بالجودة والعلاقات الإنسانية الجيدة واختيار الإداريين وتدريبهم .

5- معايير مرتبطة بالإدارة التعليمية :من حيث التزام القيادات التعليمية بالجودة وتفويض السلطات و اللامركزية.

6- معايير مرتبطة بالإمكانات المادية : من حيث مرونة المبنى المدرسي وقدرته على تحقيق الأهداف ومدى استفادة الطلاب من المكتبة والأجهزة والأدوات وحجم الاعتماد المالية .

7- معايير مرتبطة بالعلاقة بين المدرسة والمجتمع : من حيث مدى وفاء المدرسة باحتياجات المجتمع المحيط والمشاركة في حل مشكلاته " (أحمد ،1998 : 132-134) .

ولكل معيار من هذه المعايير مميزاته وعيوبه حيث إنه لا يوجد معيار مطلق متفق عليه من الجميع ، كما أكدت اليونسكو على إنه لا يوجد معيار مطلق متفق عليه من الجميع ولكل معيار من المعايير مميزاته وعيوبه وذلك بقولها " يندر أن يكون هناك معيار مطلق يتفق عليه الجميع ، وهذا الأمر موضح بشكل جيد في أوروبا مثلاً إذ أنه من بين ثمانية أقطار ذات اقتصاديات متشابهة وأنظمة تربوية ذات كفاءة بشكل متماثل ، نجد أن المخطط عند تحديد المعايير لا يسعى لتحقيق حالة من الكمال الخيالي بل إنه يقرر أنسب الأمور لوضع بلاده " (اليونسكو ، 1998م) .

وأخيراً تجدر الإشارة إلى انه لا يوجد نموذج واحد ينصح بتطبيقه في مجال معايير الجودة الشاملة, ولكن توجد العديد من المعايير يمكن الاستفادة منها ، وتركز الدراسة الحالية على معايير الجودة الشاملة في مجال المعلم والذي يشمل : مجال التخطيط ، مجال استراتيجيات التعلم وإدارة الفصل ، مجال المادة العلمية ، مجال التقويم ، مجال مهنية المعلم .

ويعتبر التعرف على مدى تقبل المعلمين لمعايير الجودة الشاملة في التعليم من الخطوات الضرورية في تحقيق الجودة الشاملة، حيث يصعب تحقيق النجاح دون التعرف على مدى تقبل المـ عنيين كون آرائهم واتجاهاتهم تمثل ركيزة أساسية في هذه العملية التعليمية التربوية .

ثالثا : مبررات تطبق الجودة الشاملة في النظام التعليمي:

إن تطبيق إدارة الجودة الشاملة في العديد من الدول المتقدمة كأمريكا واليابان والعديد من الدول الأوروبية وبعض الدول النامية وما تلي هذا التطبيق من نجاحات للمؤسسات التي تبنت هذا الأسلوب علي مستوي تحسين المنتج وزيادة الطلب علي هذه المنتجات في المجال الاقتصادي والصناعي والتكنولوجي أوجد مبررا قويا وميلا شديدا لتطبيق هذا الأسلوب بالنظام والمؤسسات التعليمية في العديد من الدول ، وذلك للتفوق الكبير الذي أحرزه هذا المفهوم في هذه المؤسسات ، حيث تزايد عدد المؤسسات التربوية التي تخضع لنظام الجودة الشاملة ، ونظراً للنجاحات الهائلة التي حققتها المدارس الثانوية والإعدادية في العديد من الولايات والمناطق بأمريكا بعد تطبيق إدارة الجودة الشاملة في كل من مدينة نيوتاون بولاية كاناتيك الأمريكية (Newton School in Connecticut) عام 1990م

بنـاء علـي مفـاهيم الجـودة الشـاملة لـديمنج ، وكـذلك تجربـة مدينـة ديترويـت (Detroit) التعليمية عام 1993م بعد تدريب الكوادر الإدارية المناسبة في مدارسها ، ومدارس مت جيكومب الثانوية في مدينة ستيكا بولاية آلسكا (MT. Edgecombe High School in Stica) عام 1998 م ، والتي أصبح نظام الجودة الشاملة نظاما وطرق حياة لكل من الطـلاب والمعلمـين والعـاملين ، وأوجـد النجـاح الكبيـر للمـدارس الأمريكيـة والأوروبيـة فـي تطبيقه مبررا التطبيق هذا النهج الجديد في مجال التعليم .

إن غالبية الدول النامية أخذت باستراتيجية الكم لاستيعاب تدفق الأطفال من السكان إلى الجهاز التعليمي، إن هذه الاستراتيجية كانت على حساب نوعية العملية التربوية.

تحسين مخرجات العملية التربوية.

إن الثورة التكنولوجية الشاملة والقائمة على التدفق العلمي والمعرفي يمثل تحدياً للعقل البشري مما جعل المجتمعات تتنافس في الارتقاء بالمستوى النوعي لنظمها التربوية.

بمـا أن الطالـب هدف ومحـور العمليـة فيجـب إرضـائه كزبـون أساسـي فـي العمليـة التربوية.

ضرورة إجراء التحسينات في العملية التربوية بطريقة منظمة من خلال تحليل البيانات باستمرار .

استثمار إمكانيات وطاقات جميع الأفراد العاملين في العملية التربوية.

طريقـة لنقل السلطة إلـى العـاملين بالمؤسسـة مـع الاحتفـاظ فـي نفس الوقت بـالإدارة المركزية.

خلق الاتصال الفعال على المستويين الأفقي والعمودي.

للجودة الشاملة ثقافة إدارية خاصة وهذا يقتضـي تغيير نمط الثقافة التنظيمية الإدارية في المؤسسة التعليمية وهذا يعني تغيير القيم والسلوك السائد بما يساعد على تحقيق الجودة الشاملة.

تغيير النمط الإداري إلى الإدارة التشاركية (أحمد ،1997) .

رابعا : الفوائد التي يمكن تحقيقها من تطبيق إدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي :

1- ضبط وتطوير النظام الإداري في أي مؤسسة تعليمية نتيجة لوضوح الأدوار وتحديد المسئوليات بدقة .

2- الارتقاء بمستوي الطلاب في جميع الجوانب الجسمية والعقلية والاجتماعية والنفسية والروحية

3- زيادة كفايات الإداريين و المعلمين والعاملين بالمؤسسات التعليمية التربوية ورفع مستوي أدائهم .

4- زيادة الثقة والتعاون بين المؤسسات التعليمية والتربوية والمجتمع ,

5- توفير جو من التفاهم والتعاون والعلاقات الإنسانية السليمة بين جميع العاملين بالمؤسسة التعليمية مهما كان حجمها ونوعها .

6- الترابط والتكامل بين جميع الإداريين والعاملين بالمؤسسة التعليمية للعمل بروح الفريق .

7- يمنح تطبيق نظام الجودة الشاملة المؤسسة المزيد من الاحترام والتقدير المحلي والاعتراف العالمي .

8- تحديد مجالات التنمية المجتمعية بشكل عملي تطبيقي بعيدا عن الكلام النظري حتى تستطيع تقبل هذه المفاهيم بصورة سليمة قابلة للتطبيق العملي.

9- تحسين العملية التربوية ومخرجاتها بصورة مستمرة.

10- تقليل الأخطاء.

11- تطوير المهارات القيادية والإدارية لقادة المؤسسة المدرسية.

12- تنمية مهارات ومعارف واتجاهات العاملين.

13- التركيز على تطوير العمليات أكثر من تحديد المسؤوليات.

14- العمل المستمر من أجل التحسين وتقليل الإهدار الناتج عن ترك المدرسة أو الرسوب.

15- تحقيق رضا المستفيدين (الطلبة، أولياء الأمور، المعلمون، المجتمع).

خامسا : متطلبات تطبيق نظام الجودة الشاملة في الموؤسسات التعليمية .

1- دعم وتأييد الإدارة العليا لنظام إدارة الجودة الشاملة .

2- ترسيخ ثقافة الجودة الشاملة بين جميع الأفراد العاملين في الموؤسسات التعليمية كأحد الخطوات الرئيسة لتبني إدارة الجودة الشاملة ، حيث إن تغيير المبادئ والقيم والمعتقدات التنظيمية السائدة بين أفراد المؤسسة الواحدة يجعلهم ينتمون إلي ثقافة

تنظيميـة جديـدة ، يلعـب دورا بـارزا فـي خدمـة التوجيهـات الجديـدة فـي التطـوير والتجويد لدي المؤسسات التربوية (مصطفي : 2002: 50-57).

3- تنمية الموارد البشرية كالمعلمين أو المشرفين الأكاديميين وتطوير وتحديث المناهج وتبني أساليب التقويم المتطورة وتحديث الهياكل التنظيمية لإحداث التجديد التربوي المطلوب .

4- مشاركة جميع العاملين في الجهود المبذولة لتحسين مستوي الأداء .

5- التعليم والتدريب المستمر لكافة الأفراد .

6- التعرف علي احتياجات المستفيدين الداخليين وهم الطلاب والعاملين والخارجيين هم عناصر المجتمع المحلي ، وإخضاع هذه الاحتياجات لمعايير لقياس الأداء والجودة .

7- تعويد المؤسسة التربوية بصورة فاعلة علي ممارسة التقويم الذاتي للأداء .

8- تطوير نظام للمعلومات لجمع الحقائق من أجل اتخاذ قرارات سليمة بشأن أي مشكلة ما .

9- تفويض الصلاحيات يعد من الجوانب المهمة في إدارة الجودة الشاملة وهو من مضامين العمل الجماعي والتعاوني بعيدا عن المركزية في اتخاذ القرارات .

10- المشاركة الحقيقية لجميع المعنيين بالمؤسسة في صياغة الخطط والأهداف اللازمة لجودة عملها من خلال تحديد أدوار الجميع وتوحيد الجهود ورفع الروح المعنوية في بيئة العمل في كافة المراحل والمستويات. (عقيلي ،2001 :58) .

11- استخدام أساليب كمية في اتخاذ القرارات وذلك لزيادة الموضوعية وبعيدا عن الذاتية .

12- المهارات الأساسية التي يجب ان تتوفر في في مدير الجودة الشاملة والعاملين معه .

يرى (شميدث وفانجا ، 1998) , إن تطبيق إدارة الجودة الشاملة تتطلب توفر مهارات أساسية في مدير الجودة الشاملة والعاملين معه وهي :

1- وضع أهداف قابلة للقياس والاهتمام بالتخطيط الاستراتيجي .

2- تدعيم العمل الجماعي علي اعتبار أنه الأساس داخل التنظيمات .

3- الاهتمام بالتقدير والمكافآت عند إنجاز العمال بفعالية .

4- وضع معايير للرقابة وضرورة استخدام أدوات وعمليات الجودة والاعتماد علي دورة "ديمنج" لتحسين الأداء .

5- حث الأفراد العاملين علي التعلم من الأخطاء .

6- القدرة علي توفير العلاقات الإنسانية وما يتبعها من تفويض للسلطة .

وفيما يتعلق بتطبيق إدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي فيتطلب :

رسم سياسة الجودة الشاملة من حيث :

أ- تحديد المسئول عن إقامة الجودة الشاملة وإدارتها - تحديد كيفية مراقبة ومراجعة النظام من قبل الإدارة – تحديد المهمات المطلوبة والإجراءات المحددة لكل مهمة – تحديد كيفية مراقبة تلك الإجراءات – تحديد كيفية تصحيح الإخفاق في تنفيذ الإجراءات .

ب- وضع الإجراءات : وتشمل المهمات التالية :

ج- تخطيط المنهج - عمليات التقويم – مواد التعليم – اختيار وتعيين العاملين – تطوير العاملين .

د- تحديد تعليمات العمل : يجب أن تكون تعليمات العمل واضحة و مفهومة وقابلة للتطبيق

هـ- المراجعة : وهي الوسيلة التي يمكن للمؤسسة أن تتأكد من تنفيذ الإجراءات .

و- الإجراء التصحيحي : هو تصحيح ما تم إغفاله أو ما تم عمله بطريقة غير صحيحة .

ز- الخطوات الإجرائية : وضع معايير لتطبيق إدارة الجودة الشاملة مثل نظام الايزو ISO9002 في الميدان التربوي ، وهو يعني مدي التطابق للمواصفات القياسية ، هي إحدى المؤسسات العالمية التي تهدف إلي وضع أنماط ومقاييس عالمية للعمل علي تحسين كفاءة العملية الإنتاجية وتخفيض التكاليف ، ولقد تم تطوير نظام الايزو 9000 ليتوافق مع الميدان التربوي ، فظهر ما يسمي ايزو 9002 ، ويتضمن (19) بندا تمثل مجموعة متكاملة من المتطلبات الواجب توافرها في نظام الجودة المطبق في المؤسسات التعليمية للوصول إلي خدمة تعليمية عالية وهي : (مسئولية الإدارة العليا- نظام الجودة – مراجعة العقود – ضبط الوثائق والبيانات – الشراء- التحقق من

الخدمات والمعلومات المقدمة من الطالب أو ولي أمره – تمييز وتتبع العملية التعليمية للطـلاب – ضـبط ومراقبـة العمليـة التعليميـة – التفتـيش والاختيـار – ضـبط وتقـويم الطـلاب – حالـة التفتيش والاختبار – حـالات عدم المطابقة – الإجراءات التصـحيحية والوقايـة – التنـاول والتخـزين والحفـظ والنقـل – ضـبط السـجلات – المراجعـة الداخليـة للجودة – التدريب – الخدمة – الأساليب الإحصائية) .

ومـن هـذا المنظـور فجـودة التعلـيم الجـامعي إداريـا تتطلـب عـدة أمـور نـذكر منهـا : (جوهر،2001 : 427-430) .

1- التركيز علي تحسين الأداء التعليمي والأداء الإداري .

2-العمل الحثيث علي التقليل من تكلفة التعليم ، مع زيادة عوائده المتوقعة .

3-تحقيق مبدأ المساءلة بين عناصر مؤسسات التعليم العالي والمجتمع .

4-الانفتاح علي المجتمع ، مع تحقيق أقصي مشاركة له في تحقيق الجودة المرغوب فيه

5- القضاء علي كل احتمالات عدم رضا المجتمع عن برامج المدرسة وأنشطتها التربوية .

6-السعي الحثيث نحو الإقلال من الرقابة الإدارية، وتنمية روح الرقابة الذاتية في نفوس العاملين بها .

7-تطوير الثقافة المؤسسية التعليمية إلي ثقافة تؤمن بالجودة والتميز .

8-شيوع حالة من الرضا في نفوس الطلاب تجاه المؤسسة التعليمية .

9-شيوع اتجاهات طيبة نحو المؤسسات التعليمية من جانب أساتذة الجامعات والعاملين والطلاب وعناصر المجتمع .

10- انتشار ثقافة الجودة الشاملة بين كافة العناصر المجتمعية باستخدام وسائل الإعلام لتهيئة أفراد المجتمع لتفهم أهمية تطبيق الجودة الشاملة لمصلحة المجتمع.

11- تخفيف الأعباء الإدارية و الأكاديمية لأساتذة الجامعات من اجل تفرغهم للبحث العلمي.

12- زيادة الدعم المادي والمعنوي لأساتذة الجامعات من اجل التركيز وزيادة الدافعية نحو الخدمة والعمل البحثي.

هذه المتطلبات المطروحة سابقا وغيرها والتي يتمتع الكثير من المؤسسات التعليمية بها تحتم علي إدارة المؤسسات التعليمية للتحول نحو مفاهيم إدارة الجودة الشاملة ، وهذا يتطلب الجرأة من قبل القيادة العليا في هذه المؤسسات نحو التغيير للأفضل بعيدا عن التعليم التقليدي .

سادسا : إمكانية تطبيق مفاهيم الجودة الشاملة في التعليم العالي .

يحتاج تطبيق إدارة الجودة الشاملة بالإضافة إلي متطلبات التطبيق السابقة إلي تدعيم اللامركزية حتى يتم تحقيق فاعلية أكبر في أداء المهمات – إدارة الوقت بشكل علمي سليم – المشاركة في الإدارة باعتباره أسلوب إداري لتحقيق – تدريب مستمر من أجل إتقان خطوات التدريب ، ويعرض (جوزيف جوران ، 1991) , منهج تطبيقي علي شكل مراحل لإدارة الجودة الشاملة يتعلم فيها المشاركون مهارات أساسية تمكنهم من العمل فعالية وهذه المراحل :

1- **المرحلة الصفرية :** وفي هذه المرحلة يقرر المديرون في هذه المرحلة إذا كانوا سيستفيدون من التحسينات الشاملة من تطبيق إدارة الجودة الشاملة أم لا ، وهذه مرحلة اتخاذ القرار لتطبيق إدارة الجودة الشاملة .

2- **المرحلة الأولي :** التخطيط والصياغة : وفيها يتم صياغة رؤية النظام التعليمي وأهدافه المنشودة والاستراتيجيات والسياسات المقترحة ، ويتطلب هذه المرحلة نشر روح ومفاهيم الجودة الشاملة علي كل المستويات داخل النظام ، واختيار بعض الأعضاء للمشاركة في عمليات التطوير وتحويل هيراركية النظام إلي روح الفريق .

3- **المرحلة الثانية :** التقويم والتقدير : وهي تشتمل علي التقويم الذاتي لأداء الأفراد والتقدير التنظيمي لنظام مع إجراء المسح الشامل لإرضاء العملاء المستفيدين وهم الطلاب بالدرجة الأولي والجامعة بشكل عام والبيئة المحلية .

4- **المرحلة الثالثة :** التطبيق : وهي مرحلة تنفيذ فلسفة إدارة الجودة الشاملة داخل النظام علي كافة المستويات الإدارية ، ويصحب ذلك مبادرات تدريبية محددة بشكل مناسب

لكل الأفراد وبدعم من الإدارة العليا حتى يتم تحسين عمليات أو مجالات الجودة المرغوبة .

5- **المرحلة الرابعة :** تبادل ونشر الخبرات : وهي تعتمد علي نشر الخبرات عند النجاح في تطبيق إدارة الجودة الشاملة. ويفترض خبراء الجودة الشاملة أن الجدول الزمني اللازم لتطبيق برنامج الجودة الشاملة يتراوح بين (9 – 15) شهراً . (جوهر ، 2001) .

وللحكم علي نجاح تطبيق إدارة الجودة في المنظمات المختلفة تم وضع جوائز للمنظمات التي تنجح برامجها في تحسين الجودة الشاملة كمعايير لنجاح التطبيق والتنفيذ تمنح المؤسسات شهادات دولية بذلك ، حيث ركزت هذه الجوائز علي النجاح في الرقابة الإحصائية كوسيلة لتحسين الجودة ، ومن هذه الجوائز :

1- جائزة ديمنج والتي منحت أول مرة عام 1951م .

2- الأيزو 9000 : ISO 9000 . (مصطفي ، 1998 : 113- 156)

ومن اجل نجاح تطبيق وتنفيذ الجودة الشاملة لابد من تصميم وحدة متكاملة جديدة لإدارة الجودة قادرة علي مواجهة التحديات ، وهذه الوحدة تحتوي علي عناصر أساسية تشكل قاعدة وهرم للتطبيق الصحيح ، وهذه العناصر هي:

– الالتزام الكامل من قبل الإدارة العليا بنمط قيادي سليم –التركيز علي المنتج (العميل) وهو الطالب –التركيز علي الحقائق – الاهتمام بالتحسينات بشكل مستمر –المشاركة الجماعية في العمل.

ويعتمد التقويم الخارجي للمؤسسات التي تتبني الجودة الشاملة علي حصولها علي النجاح والتطبيق الفعال للبرامج التعليمية التي تطبقها المؤسسات التعليمية كالجامعات من خلال مقارنة الواقع الفعلي للجامعات بالمعايير والمؤشرات التي تتبناها وزارة التعليم العالي في الحكم علي مدي نجاح الجامعات في التطبيق لمبادئ الجودة الشاملة ، وحصولها علي معيار ضمان الاعتماد والجودة التي تتبناه وزارة التعليم العالي الفلسطيني ، والتي من خلاله يمكن الحكم علي قدرة الجامعات علي التطوير وتبني نظام الجودة بنجاح ، حيث يتم تقويم الجامعات مرة كل خمس سنوات من خلال فريق ضمان الاعتماد التابع للوزارة للوقوف علي مدي التطور والتقدم في هذه الجامعات . (خليل ، 2001 : 245).

سابعا : معيقات تطبيق ادارة الجودة في التعليم .

رغم السمات والمميزات لإدارة الجودة الشاملة في المجال التعليمي إلا أن تطبيقها يصادف العديد من المعيقات والصعوبات أهمها :

1- المركزية في اتخاذ القرار التربوي : فإدارة الجودة الشاملة بحاجة إلي نظام لامركزي يسمح بالمزيد من الحريات والابتكار في العمل بعيدا عن الروتين والتعقيدات الإدارية التي تضعف العمل والأداء .

2- استمرارية اعتماد نظام المعلومات في المجال التربوي علي الأساليب التقليدية .

3- ضعف الكوادر المدربة والمؤهلة في مجال إدارة الجودة الشاملة في المجال التربوي والقادرة علي تحمل المسئولية والابتكار.

4- يحتاج تطبيق إدارة الجودة الشاملة إلي ميزانية كافية غير عادية .

5- عدم تقبل الإداريين والعاملين أساليب التطوير والتحسين لأنها تتطلب منهم مهارات وكفايات لا يستطيعون تحملها ، وتسبب لهم ضعف سلطتهم الإدارية .

6- الإرث الثقافي والاجتماعي الذي يرفض تقبل ما هو جديد ومتطور .

7- ضعف الأنماط القيادية لدي العاملين والإداريين أصحاب القرار في الميدان التربوي

8- ضعف العلاقة بين المؤسسات التعليمية والمجتمع المحلي ،وضعف عمليات المشاركة في اتخاذ القرارات .

ثامنا : توصيات بشان تطبيق الجودة الشاملة في مؤوسسات التعليم العالي فى دولة ليبيا .

1- من اجل تحسين جودة التعليم ومخرجاته في كليات التربية والتي هي هدف وزارة التعليم العالي والمؤسسات التعليمية التابعة لها ، وفي ضوء التحليل النظري لهذه الدراسة فإن الباحث يوصي بما يلي :

2- زيادة اهتمام القيادة التعليمية العليا سواء كانت في امانة التعليم أو الجامعات بقضية التحسين والتطوير المستمر لعملية التعليم بكليات التربية بطريقة تواكب التغيرات والتطورات الحديثة لكون كليات التربية تركز بصورة مباشرة علي إعداد الطاقات البشرية .

3- أن تتصف مؤسساتنا التعليمية المختلفة بالمرونة وقابلية التجديد في برامجها وأهدافها وبنيتها التنظيمية وعملياتها الإدارية لاستيعاب أي متغير جديد يؤثر في عملية للتطور المجتمعي .

4- تعديل الهيكل التنظيمي التعليمي لكليات التربية بطريقة تحدد وظائف ومسئولية جهاز إدارة الجودة الشاملة ، وطريقة ونوعية وأساليب التدريب المطلوب للفريق تسهل عمليات التطوير والتحديث .

5- تكوين ادارة متخصص لإدارة الجودة الشاملة في المدارس أولا ثم الجامعات ، تكون قادر علي التطبيق والتنفيذ والتقويم للمخرجات التعليمية المطلوبة وبشكل مستمر ، مع تحديد وظيفة كل فرد في هذا الفريق ، حتي يكون التطوير الجامعي في الجامعات أكثر سهولة .

6- إتاحة الفرصة للمزيد من الديمقراطية في العمل والابتعاد عن المركزية المفرطة والروتين الذي يضعف أداء أعضاء هيئة التدريس في كليات التربية .

7- تهيئة الجو العام في المؤسسات التعليمية وخارجها علي ثقافة الجودة الشاملة وأثرها في تحسين نوعية التعليم وتقبل المجتمع ومؤسساته لهذا التغير واستيعابه.

8- التركيز علي النوعية أكثر من الكمية بالنسبة لطلبة الجامعات.

9- زيادة نطاق المشاركة في المؤسسات التعليمية ومع المجتمع في تحديد نوعية التعليم المطلوب ، وبأسلوب يسهم بصورة مباشرة في تحسين نوعية التعليم .

10-العمل علي نيل رضي المجتمع المحلي علي أداء موؤسسات التعليم من خلال تلبية احتياجات المجتمع الأساسية وبصورة فعالة.

11-زيادة تمويل المؤسسات التعليمية وبرامجها التعليمية التي تعتمد علي الجودة الشاملة والتي تقدم خدمات ملموسة للمجتمع .

12- تفعيل مركز ضمان جودة التعليم التابع لأمانة اللجنة الشعبية للتعليم يقوم بعمليات التطوير والتنفيذ والتقويم وإمداد المؤسسات التعليمية بالخبرة المطلوبة لمساعدة المجتمع ومؤسساته ومتابعة الأداء من اجل ضمان حدوث الجودة في التعليم.

13- منح جوائز مادية ومعنوية للجامعات وا لكليات والأفراد الذين يسهمون في تطبق الجودة الشاملة ضمن المعايير التي يتم الاتفاق عليها .

14-عقد اللقاءات والندوات عن ثقافة الجودة الشاملة ودورها في تنمية المجتمع سواء في وسائل الإعلام والمساجد و المؤسسات الأخرى ذات العلاقة ، وإقامة المزيد من المؤتمرات حول هذا المفهوم الجديد .

15- زيادة المدخلات المادية والبشرية والمعنوية وتحسين العمليات الإدارية المختلفة وخاصة التخطيط بحيث يعتمد علي التخطيط الاستراتيجي .

16-تبني مفهوم الجودة الشاملة في مراحل مبكرة وذلك في المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية حتى تزاد الخبرة والوعي لدي الطلاب في كيفية الاستفادة من تطبيقه في مراحل لاحقة .

17-التقويم والتصحيح المستمر لخطوات تطبيق الجودة الشاملة ومراقبة عملية الإنتاج التعليمي بما يحقق جودة أفضل .

18-استخدام الجودة الشاملة في تحسين المنهاج – الإدارة التعليمية العليا – المشرفين الأكاديميين – العمليات الإدارية – الوسائل التعليمية – المدخلات – نمو الطالب وتحسينه – أدوات التقويم وسائله الهياكل التنظيمية والأبنية التعليمية – عناصر المجتمع المحلي وغيرها من الأمور التعليمية ضمن معايير ضمان الاعتماد والجودة.

19-الاستفادة من الخبرات العالمية السابقة في كافة الدول التي تبنت إدارة الجودة الشاملة والتي ثبت نجاحها بشكل كبير علي النمو الاقتصادي والتعليمي والاجتماعي .

20-الاستمرارية في تقويم الجامعات الليبية بناء علي قدرتها في التطوير الذاتي والمجتمعي بناء علي معايير ومؤشرات الجودة ، من أجل المنافسة بين هذه الجامعات للحصول علي رخصة النجاح وتطبيق نظام الاعتماد والجودة .

المراجـــــــع:

1- أحمد سيد مصطفى , "إدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي لمواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين، من بحوث مؤتمر إدارة الجودة الشاملة في تطوير التعليم الجامعي، المنعقد في كلية التجارة ببنها 11-12 مايو 1997.

2- أحمد سيد مصطفي ، إدارة الجودة الشاملة والأيزو 9000 ، مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة , 1998 .

3- جوزيف جابلونسكي ، تطبيق إدارة الجودة الشاملة ، ترجمة عبد الفتاح النحاس ، دار الفكر العربي .

4- حسن الببلاوي , (إدارة الجودة الشاملة في التعليم بمصر، ورقة عمل مقدمة في مؤتمر: التعليم العالي في مصر وتحديات القرن الحادي والعشرين، مركز إعداد القادة ، الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة، القاهرة، 20-21 مايو 1996.

5- خليل أحمد السيد ، وإبراهيم عباس الزهري ، إدارة الجودة الشاملة في التعليم : خبرات تعليمية وإمكانية الإفادة منها في مصر ، الجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية ، المؤتمر السنوي التاسع ، دار الفكر العربي,2001.

6- صلاح الدين جوهر ، أساليب تقنيات الادارة التربوية في ضوء ثورة الاتصال المعلومات ، المؤتمر السنوي التاسع ، دار الفكر العربي ، القاهرة ,2001 .

7- عبدالفتاح جلال ,"جودة مؤسسات التعليم العالي وفعاليتها: استراتيجيات تحقيق الكفاية والتقويم المستمر"، العلوم التربوية، معهد الدراسات التربوية بجامعة القاهرة، المجلد (الأول)، العدد (الأول) 1993.

8- عصام الدين نوفل عبدالجواد , "ضبط الجودة الكلية وتطبيقاتها في مجال التربية"، مجلة التربية، مركز البحوث التربوية والمناهج بوزارة التربية الكويتية، السنة (9)، العدد (30) , 2000 .

9- عصام الدين نوفل عبدالجواد , "ضبط الجودة: المفهوم، المنهج، الآليات والتطبيقات التربوية"، مجلة التربية، قطاع البحوث التربوية والمناهج بوزارة التربية بدولة الكويت، السنة (10)، العدد (33) , 2000.

10- عمر وصفي عقيلي، المنهجية المتكاملة لإدارة الجودة الشاملة ، دار وائل.، عمان , 2001.

11- فريد راغب النجار , "إدارة الجودة الشاملة للجامعات: رؤية التنمية المتواصلة"، دراسة من بحوث مؤتمر إدارة الجودة الشاملة في تطوير التعليم الجامعي، المنعقد في كلية التجارة ببنها خلال الفترة 11-21 مايو 1997 .

12- فريد راغب النجار ، إدارة الجامعات بالجودة الشاملة ، أميرال للنشر والتوزيع ، القاهرة , 1999.

13- فيليب أتكنسون، إدارة الجودة الشاملة: الأساس الصحيح لإدارة الجودة الشاملة، ترجمة عبدالفتاح النعماني، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة ,1996 .

14- فيليب انكستون ، التغيير الثقافي في الأساس الصحيح لإدارة الجودة الشاملة ، ترجمة عبد الفتاح السيد النعمان ،الدار اللبنانية المصرية , 1995 .

15- مأمون الداركة وطارق الشبلي ، الجودة في المنظمات الحديثة ، دار صفاء للنشر ، عمان , 2002 .

16- محمد أبوملوح الجودة الشاملة في التعلم الصفي ، مركز القطان للبحث والتطوير ، غزة , 2000 .

17- - مصطفي أحمد و محمد الأنصاري ، برنامج إدارة الجودة الشاملة وتطبيقاتها في المجال التربوي ، قطر ، المركز العربي للتدريب التربوي لدول الخليج , 2002.

18- وارين شميث و جيروم فانجا ، مدير الجودة الشاملة ، ترجمة محمود عبد الحميد مرسي ، دار آفاق للإبداع العالمية للنشر والإعلام ، الرياض , 1997 .

أدوات الشّرْط غير الجازمة

دراسة لغويّة تداوُليّة في (فقه السيرة النبوية)

د. محمد عبد الله محمد سلامة
قسم اللغة العربية/ كلية الآداب
جامعة طرابلس

مقدِّمـــــــــــة:

المذهب اللساني يدرس أثر وعلاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، وسياق ومقام هذا الخطاب، وحال المتلقي، وكذا البحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة، والبحث في أسباب الفشل في هذا التواصل؛ كل ما سبق يطلق عليه (التداولية)، التي هي دراسة السياقات المختلفة، والوسائل المستخدمة لغويًّا للتعبير عن عمل معين، إذن التداولية هي دراسة اللغة في الاستعمال أو التواصل، وسيأتي تعريف لها أشمل.

أقسام اللغة متنوعة ومتعددة، أهمها قسم النحو، فهو الركيزة والأساس لجل اللغات الإنسانية، وفي مقدمتها العربية والإنجليزية، وأبواب النحو كثيرة، منها باب الشرط، موضع ومحل الوقوف في هذه الدراسة، وإذا سألت: لم كان أسلوب الشرط؟ وما علاقة الشرط بالتداولية؟. العلاقة تكمن في أن النحو رافدٌ ومؤيِدٌ للنظرية التداولية، وأجيب عن التساؤل الأول فأقول:

لما كانت الدراسة تتناول النص السردي، وكان من دلالة الشرط ووظائفه التفصيل والبسط والتطويل والاستقبال، فوجد أن الأسلوب الشرطي مركزٌ ضبطي لملامح وأسس النص السردي، كما أن له أكثر من بعد، منها البعد الوظيفي النحوي، والبعد الدلالي، والأسلوبي، والتداولي، وهو أهمها، ومن هذه الأبعاد تلح الحاجة إلى إنجاز دراسات لغوية تكاملية

مكملة، توقفنا على ثمرة القواعد النظرية؛ إذ قواعد النحو لا ينبغي تفسيرها منفصلة عن السياق والكلام، كما أن الوقوف على هذه الأبعاد تنقل الاهتمام من اللغة المجردة إلى اللغة المستعملة من قبل المتكلم (الكاتب)؛ ليتحول الدرس اللساني إلى درسٍ للإنجاز اللغوي.

ميدان الدراسة: كتاب (فقه السيرة النبوية) للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، هو حقل الدراسة والتطبيق والإجراء، وقد قمت في أبحاثي السابقة بترجمة للمؤلف، والتعريف بكتاب (فقه السيرة النبوية)[1].

وأمّا سبب اختيار هذا الموضوع فقد كانت لي دراستان حول كتاب (فقه السيرة النبوية) للبوطي، فالأولى معجمية دلالية، عنونتها بـ(الدلالة الذاتية والإيحائية في فقه السيرة النبوية)، والثانية دراسة أسلوبية هي (دلالة أدوات العطف وبلاغتها في النص السردي)، وهي قائمة على هذا الكتاب أيضا، والأسلوبية تتقاطع –كما قيل– مع التداولية في أنهما يدرسان اللغة في حال حيويتها؛ في حال الكلام؛ في الاستعمال، ولما رأيت دسامة الكتاب أكملت ما اختطته وعزمت عليه، وهو إسقاط النظرية الدلالية والأسلوبية والتداولية على نصوص ومادة الكتاب، فأتيت على آخر وأحدث النظريات اللغوية؛ لأنهي بها اهتمامي اللساني، وهي النظرية التداولية؛ التي هي امتدادٌ للدرس اللغوي الدلالي في مباحثه وأسسه ومواضعه وأهدافه، وتلتقي مع الأسلوبية في المجال والهدف أيضا.

عملي ومنهجي في البحث: اتبعت المنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي، والتحليلي، فكان منهجي تكامليًّا؛ من وصف وتحليل مبنيان على استقراء، فاجتزأت نصوصا مختلفة المواضع من الكتاب، ولكي يمكننا الوصول إلى فهم دلالة الشرط في النص السردي فقد وقفت على الأدوات الشرطية غير الجازمة، فكان التعويل عليها؛ لأنها مع مدخولها تعتبر أفعالًا كلامية –وهي من أهم نظريات التداولية– تحمل مقاصد وغايات، والشرط وأدواته إحدى وسائل التواصل والوصول إلى تلك الغايات، ولعل وقوفي على نصوص هذا الكتاب ستبين كيفية تناول الإمام البوطي –رحمه الله– واستعماله اللغوي لأسس وقواعد الشرط في العبارات والتراكيب، التي كوَّنت نصًّا لديه، ومدى اطّرادها من عدمه، ودلالتها المشهورة وغير المشهورة، وقد استعنت في بحثي بمصادر أثبتُّها في نهاية البحث، مع خاتمة احتوت

[1]- انظر: (الدلالة الذاتية والإيحائية) للباحث، مجلة اللسان المبين، العدد الثالث عشر، سنة 2018م.

على نتائج.

دراسات سابقة مشابهة: باب الشرط له خاصية نحوية ودلالية، فهو يرتبط بالمفردات والجمل، وله دلالتان هما الماضي والمستقبل؛ فلا يدل على الحال؛ لذا وغيره كان الشرط محل اهتمام كثيرٍ من الدراسات والأبحاث، فاختلفت في ميدان الدراسة؛ أي في الجانب التطبيقي، وتشابهت واتحدت في الجانب النظري، ومن هذه الدراسات:

- تحليل جملة الشرط وبيان أثرها على المعنى التفسيري. دراسة تطبيقية على سور: (الأعراف، الأنفال، التوبة)، رسالة ماجستير، تقديم: أحمد محمد البيك، الجامعة الإسلامية بغزة–فلسطين، 1435 هـ– 2014 م.
- أسلوب الشرط في ديوان الهذليين، تقديم: أحمد بشارة سليمان، أطروحة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية – السودان، 2007 م.
- أسلوبا الشرط والقسم بين لغة الشعر الجاهلي ولغة الحديث الشريف، رسالة ماجستير، تقديم: جملة داوود عياش، جامعة الشرق الأوسط– لبنان، مايو 2010م.
- أسلوب الشرط ودلالته في الحديث الشريف، رسالة ماجستير، تقديم: دالية حسن خليل حسين، الجامعة الأردنية– عمان، 2002 م.
- دلالة الارتباط في أسلوب الشرط، بحث مقدم من الأستاذ: أبو بكر زروقي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بجامعة محمد خيضرة. بسكرة– الجزائر، العدد السادس لسنة: 2010 م.
- أسلوب الشرط في الحديث النبوي الشريف. دراسة تطبيقية على نماذج من صحيح البخاري، تقديم: فاطمة محمد علي عمر.

تعليقٌ على ما سبق من دراسات: إن هذه الأبحاث متنوعة في مادّتها وحقولها، متقاربة في قواعدها النحوية النظرية، وما يخالف دراستي هذه وتلك الدراسات؛ الكاتب والنص والعصر؛ وإلا فإن الدراسات اللغوية جميعها تكاد تكون متقاربة؛ بل متّحدة.

- **التداوُليّة وقواعد النحو وبلاغة النّصّ:** من قبيل التذكير والربط والإيفاء بما سبق؛ فقد عرَّف علماؤنا التداولية بأنها: ((علم لغوي يختص بتحليل عمليات الكلام، ووظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل))[2]. تركّز التداولية والبلاغة في رأي اللغويين[3] على الاستعمال اللغوي الحاذق، وهذا الحذق لا يكون إلا بإجادة الكاتب أو المتكلّم وتفنُّنه في استخدام القواعد النظرية النحوية، ومنها قواعد أسلوب الشرط بجميع أركانه؛ فيلتزم بقاعدة المعيارية، ومستوى إدراكه وتطبيقه وإجادته وبلاغته يقاس بمدى دلالة المقول دلالة وافية، وصولاً إلى التواصل اللغوي ، فيقتنع القارئ بما سمع أو قرأ، فالنحو معين ومساعد؛ بل هو أساس ثابت من أسس التداولية؛ فالعلاقة تكمن في أن قواعد النحو رافدٌ ومؤيِدٌ للنظرية التداولية[4]. إن من أولويات التداولية واهتمامها التواصل؟! وكيف يكون تواصل بطريق وبوسيلة مشوشة؟! فالاهتمام بالشكل لا يقل عن الاهتمام بالمضمون، وهذا يتضمن دراسة المنطوق اللغوي دراسة تحليلية، البلاغة تبين جمال اللغة من خلال التحليل؛ فالمراد والمعنى ومعنى المعنى من أسس البلاغة، و(لكل مقام مقال) و(مراعاة مقتضى الحال) من مفاتيح البلاغة، وهذه أيضا أسس تهتم بها التداولية، والنحو والبلاغة مرتبطان وملتصقان ببعضهما ، وانظر إلى كتاب (دلائل الإعجاز) للشيخ عبد القاهر الجرجاني ترى الالتحام والتوأمة بينهما. إن التداولية مرحلة لاحقة تأتي بعد المرحلتين: التركيبية، ثم المعجمية والدلالية، وإننا لنلحظ اتساع مجالات البحث في التداولية في الآونة الأخيرة، فالتداولية تعرض للمعنى الاستعمالي؛ فالبحث والتحليل من السياق، مع مراعاة المتكلّم والمتلّقي؛ أي دراسة المتكلم وكل ما يتصل به، ومعرفة العناصر الأخرى التي تؤثّر في فهم المعنى، وما هدف الكاتب؟ ومن مخاطَبه؟ وما علاقته بالمتكلّم؟ كلها من عناصر التداولية، وبمقارنة مختصرة محدودة بين أسس وعايير التداولية والبلاغة؛ تبين أنهما يراعيان وينظران إلى:

- مدى قدرة وبراعة استعمال الكاتب للغة وفق الأسس والقواعد النظرية النحوية.
- السياق الوارد فيه هذا الاستعمال.
- نوع المادة المقام عليها التحليل.

---

[2]- انظر: بلاغة الخطاب وعلم النص ص: 23.
[3]- انظر: بلاغة الخطاب وعلم النص ص: 123، وما بعدها.
[4]- انظر: في اللسانيات التداولية ص: 126، وما بعدها.

- فحوى المادة وهدفها الاجتماعي.
- الخصائص والأسس للنص؛ سواء أكان سرديًّا أم غيره.
- مراعاة مقتضى الحال، وأن لكل مقام مقالاً.
- نفخ الروح في القواعد النظرية النحوية؛ بغية إحيائها ونمائها وتطويرها، تطويرا لا يخرج عن المطّرد والمقيس والمجمع عليه.
- النظر في العلاقة بين النص وقارئه.

مما ذكر نخلص إلى أن: ((البلاغة والتداولية البرجماتية تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي؛ على أساس أن النص اللغوي في جملته إنما هو نصٌّ في موقف))[5]، ويستمر الدكتور صلاح فضل في كلامه إلى أن يقول: ((أنه من المناسب تضييق مجال دلالة البلاغة باعتبارها أداة ذرائعية...التداولية قاسم مشترك بين أبنية الاتصال النحوية والدلالية والبلاغية))[6].

أسلوب البوطيّ: أخي القارئ العزيز إنّك إذا ما قرأت وتمعنت بما سطّره كاتبنا في هذا السفر العظيم (فقه السيرة النبوية) رأيت لغويًّا متميزا، ليس مؤسَّسا فقط؛ بل هو متّبع ومستن بما خطّه السابقون وصاغوه من قواعد نحوية وبلاغية، يأتي في مقدمتها علم المعاني، لقد كان الإمام البوطي –رحمه الله– يقصد ويومئ إلى دلالات ومعان أكثر مما هو ملفوظ ومكتوب، يصبو إلى تفاعل من القارئ، فيريد منه أن يصل إلى الفكرة التي من ورائها كان القصد إلى التأليف في هذا المجال، مجال تأريخ السيرة النبوية؛ وصولاً إقناعيًّا مصحوبا بإمتاع، بعيدا عن الجفاف المنتج جفاء لدى القارئ، فأبلغ البوطي مخطابه على نحو غير مباشر بفكرته، اعتمادا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم (الكاتب) بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال؛ إضافة إلى مخزونه اللغوي النحوي النظري، الملقّم بالمخزون البلاغي؛ لأن الكتابة عندما تتحلّى بحلّة الأدب والبلاغة، تكتسب جمالا ظاهريًّا وضمنيًّا، فالكتاب أو القصة ما هي إلا كلمات، وفقرات، ثم نصوص،

[5]- بلاغة الخطاب وعلم النص ص: 124.
[6]- بلاغة الخطاب وعلم النص ص: 124.

فهي تخضع لاختبار مسبق، فالجمل تخضع لأسلوب ترتيبي تركيبي معيَّن، والفقرات تتبع ترتيبا محددا، يعطي للسياق معناه، وللنص دلالته الخاصة به، وهكذا كان نتاج البوطي الفكري في هذا الكتاب، مصبوب في قالب أدبي وبلاغي و لغوي رفيع، يقوم على أساليب معينة يستخدمها باطّراد؛ لأنها تؤدّي غرضه من كتابته، ومنها أسلوب الشرط، الذي اتخذه البوطي مطية في نصوص الكتاَب، فدافع به عن كثير من القضايا، وأوصل به فكرته، وقصده.

النصّ السرديّ: إنّ النص وحدة متكاملة، قد يكون جملة واحدة، أو ترابط جمل مع بعضها البعض، وتناسق عبارات بأكملها؛ مكونة نصًّا، يؤدي بمجموعه معنى عامًّا، يمكن لهذا المعنى العام أن يجزَّأ لمعرفة خصائص مجموعه الذي ينتمي إليه، فتفكيكه ضروري لدراسته وتحليله، إذن نحن ندرس استعمال الكاتب اللغوي في نصه السردي، ومن يمثّل الكاتب هنا هو الإمام البوطي. الاستعمال يجعل هذا العلم يضم مجموعة كبيرة وهامة من علوم اللغة العربية؛ كعلم البلاغة والنحو والصرف والأدب وعلوم أخرى ليست من فروع العربية، ولكنها وثيقة الصلة بها كعلم التربية وعلم النفس وعلم اللغة الاجتماعي؛ لأن هذه العلوم تشتغل بالنصوص من أجل غايات تختلف باختلاف وجهات النظر الخاصة بالدارسين[7]. وأما السرد– لغةً– فالتتابع، ومجيء الشيء بعضه إثْر بعض في تناسق؛ فسرد فلانٌ قصته: حكاها متواصلة دون انقطاع ولا تلكؤ، وسرد الحديث يسرده سردا: إذا تابعه[8]، وأما النص السردي في الأدب فهو: «نصٌّ يقوم على التتابع المنطقي والتسلسل للأحداث؛ مرحلة مرحلة))[9]،وقد توسع مفهوم السرد مما جعل منه مجالًا خصبا تلتقي فيه جميع الاختصاصات، وتتقاطع معه، وبخاصة مع تطوُّر البحوث البلاغيَة الحديثة، فهو يتقاطع مع الكثير من المجالات بشكل أو بآخر، ويتداخل معها، ومن هذه المجالات (التداولية)، وذلك من خلال أنّ الخطاب السردي يخضع لشروط القول والتلقّي، والمقام للمقال؛ فيراعي القصدية والتأثير في السامعين والقراء المتلقين، كل ذلك يعتبر أركانا في العملية النصية؛

[7] - انظر: علم لغة النص ص: 94.
[8] - انظر: لسان العرب (سرد).
[9] - النص والخطاب والإجراء ص: 415.

سواء أكانت سردية أم غيرها من النصوص، كالنص الحجاجي[10].

وقد رأيت أن من الملامح اللغوية للنص السردي في كتاب (فقه السيرة النبوية) اطّراد أُسلوب الشرط، كعلامة مميزة وأساس فيه، والأمثلة المدلّل بها على ذلك كثيرة، فكاتبنا يرغب في إيصال فكرته إلى القارئ، وهذا لا يكون إلا باستخدام دقيق للّغة، إفرادا وتركيبا، وهذا المكتوب ليس كسائر المكاتيب، أو قصة كغيرها من القصص، فهو يحمل رسالة سامية مفادها أن سيرة النبي ﷺ عطرة، ومحصَّنة بعيدة عن كثيرٍ من الشبهات والأدران التي علقت بها وبصاحبها ﷺ؛ ولا تتضح هذه النكات اللغوية والنحوية والبلاغية إلا بالتحليل؛ إذ التحليل النصي يقدم المادة الخام للمناهج النقدية المختلفة، فالقراءة والتحليل يعتبران اشتغالاً للمعنى، وكتابة وإنتاجا للنص من جديد، هما إرجاع النص إلى صورته الأولية الخالصة من أية ضغوط للكاتب أو القاص، وتعتبر تحريرا للقارئ أيضا.

أسلوب الشرط: أو الجملة الشرطية، وهي من أقسام الجملة الفعلية المركّبة، وليست قسماً مستقلاً، كالجمل الاسميّة، أو الفعليّة، وإن عدّها بعضهم جملةً مستقلّة منفردة، مختلفة عَن بقية الجمل الأخرى[11]، قال ابن هشام: ((انقسام الْجملَة إلى اسمية وفعلية وظرفية: فالاسمية هي الَّتي صدرها اسم...والفعلية هي الَّتي صدرها فعل...والظرفيّة هي المصدَّرة بظرف أَو مجرور...وزاد الزَّمخشري وغيره الْجملَة الشّرطيَّة، والصَّواب أَنَّهَا من قبيل الفعلية))[12]. إن أحكام الشرط متنوعة ومختلفة، وأدواته كثيرة، قال المبرد: ((وهي تدخل للشّرط، ومعنى الشّرط وقُوع الشّيء لوقُوع غيره؛ فمن عواملها من الظروف أَين ومتى وأنّى وحيثما، ومن الْأَسماء من وما وأي ومهما، ومن الْحُروف الَّتي جاءت لمعنى إنْ وإذما، وإنَّما اشتركت فيها الْحُروف والظروف والأسماء؛ لاشتمال هَذَا الْمعنى على جميعها))[13]. واعلم أن جميع الأدوات مع اختلاف وظائفها تدخل على الجمل فقط، آخذة منها شرطا وجزاء، فمنها ما يجزم الجزأين، ومنها ما لا يجزم البتّة، وأسلوب أو الجملة الشرطية مكونة من ركنين أساسين: الأول الشرط، أو جملة الشرط، وهي لا تكون إلا فعلية، والركن الثاني

[10] - انظر: التحليل التداوليّ ص: 58.
[11]- انظر: مغني اللبيب بحاشية الأمير 43/2.
[12]- مغني اللبيب ص: 492.
[13]- المقتضب 2/ 46.

يسمى جملة الجزاء، أو جواب الشرط؛ وتأتي فعلية، أو اسمية، ولا معنى للجملة الشرطية، ولا دلالة لها دون جملتيها، وما جاء موهما أن الجملة الشرطية مكونة من جملة واحدة؛ فالأمر على خلافه؛ بمعنى أن إحدى الجملتين محذوفة اختصارا وإيجازا؛ لوجود ما يدل على المحذوف، وخوفاً من التّكرار وتوطئة لما سيأتي من حذف مطّرد للجواب والجزاء في كثيرٍ من النصوص والتراكيب النثرية في كتاب (فقه السيرة النّبوية)، أقول: يستغنى عن بعض أركان الشرط كالجواب؛ متى دل دليل على هذا الحذف؛ فإن وجدنا قبل الأداة الشرطية وفعلها ما يوقع في لبس، إلى درجة اليقين والجزم بأنه هو الجواب والجزاء، حكمنا على هذا المتقدم بأنه الرخصة والإجازة التي أباحت حذف الجزاء، وليس جزاء ولا جوابا؛ لما تقدّم وتقرّر من اتّفاق جمهور النُّحاة؛ على أن الجزاء لا يتقدم على الشرط؛ فيجوز حذف جواب الشرط، كَما يجوز حذف الشرط نفسه؛ إذا دل على ذلك دليل لفظي، أو معنوي، فالدليل اللفظي كأن يكون هناك ذكر للجواب في جملة شرط سابقة؛ تحتوي على نفس المعنى، وتأخذ نفس الحكم؛ أو يذكر الجواب بمعناه متقدّما على شرطه، وقد يكون بلفظه، فيحذف جزاء الشرط؛ لدلالة ما ذكر عليه. تقول: إذا أتاك محمد فأكرمه، وإذا أتاك أبوه. والتقدير: وإذا أتاك أبوه فأكرمه أيضا، ومن أمثلة ما قد يتقدم على الأداة والشرط ما يفيد الجواب؛ فتقدر الجواب من ذلك المتقدّم؛ ما جاء من تعليق البوطي على رحلة النبي ﷺ إلى الشام، وكدحه في سبيل تحصيل رزقه، يقول: ((إن صاحب أي دعوة لن تقوم لدعوته أي قيمة في الناس إذا ما كان كسبه ورزقه من وراء دعوته أو على أساس من عطايا الناس وصدقاتهم))[14]. وما علّل به النحاة من عدم جواز تقديم الجواب على فعل الشرط وأداته؛ أن أدوات الشرط لها صدارة الجملة، كأسماء الاستفهام، وقد ورد حذف الجزاء كثيرا في آيات القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: ﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلّما في السماء فتأتيهم بآية﴾ [الأنعام: 35]. يقول ابن مالك (ت 672 هـ) في ألفيته:

والشرط يغني عن جواب قد علم

والعكس قد يأتي إن المعنى فهم

[14]- فقه السيرة ص: 78.

أي: تحذف جملة جواب الشرط، ويغني عنها شرطها، إن دل دليل على المحذوف، وكذا تحذف جملة الشرط، ويغني عنها جوابها، إن دل دليل على ذلك[15]. وسنرى أن أسلوب الشرط أسلوب لغوي نحوي له تداول مطّرد مرتبط بالسياق في نصوص كتاب (فقه السيرة النبوية)، كما له تأثير جلي في تأسيس النص السردي؛ لذا كان موضع اختياري من بين بقية الأساليب والتراكيب النحوية الأخرى.

الإجراء والتطبيق: يجب الخروج من نحو الجملة النظرية التقعيدية إلى نحو النص التطبيقي السياقي الاستعمالي، وهنا أنبه إلى أن المتتبع لمخرجاتنا العلمية المكتوبة المتمثّلة في بحوث التخرُّج ورسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه والبحوث المنشورة؛ يلحظ العزوف البين في اقتحام منهج تحليل النص الأدبي شعرا أم نثرا، بجميع صوره، والخوض في هذا المجال لم يطرق إلا متأخّرا، ولهذا ما يبرره، فهو علم تأطيره ومنهجيته قام بها علماء الغرب؛ مستشرقون، وغيرهم من القارين في بلاد الغرب، ناهيك أن هناك تحفُّظا حول تحليل بعض النصوص بالنظر إلى زمن النصوص، وقائليها، واتجاهاتهم، وعقيدتهم، ومنهجهم، ولعل هذا أحد أسباب عزوف البحاث وتأخُّرهم في ولوج الجانب التحليلي والتطبيقي؛ فالملاحظ أن: «اللسانيات تأخرت في الشروع في تحليل ما يطلق عليه إميل بانفنيست اسم الذاتية في اللغة؛ أي الانتقال من تحليل المقولات إلى تحليل العلاقات بين هذه المقولات، والأطراف المنتجة لها، وهي ما نسميه –حاليًّا– عملية القول))[16]، وهذا التحليل للمقول له فائدة لغوية توقفنا على الجمال اللغوي بما فيه من جمال بلاغي، وقد يرد سؤال: لم الإجراء والتطبيق على مثل هذه النصوص النثرية الحديثة؟ وما جدوى ذلك؟. قلت: الشعر بحث، ومازال عليه وبه تقوم الدراسات اللغوية، والنثر التراثي لقي عناية كبيرة قاربت عناية اللغويين بالشعر، وأما المادة النثرية الحديثة والمعاصرة فالإقبال عليها يلفه الخجل العلمي، والخوف من أن المادة قد لا ترقى لأن تكون محل استقراء وتحليل، ولقد كان من أهم أهداف الإجراء والتطبيق على النصوص الاتصال النصي، الذي هو: ((تبادل كلامي بين المتكلم الذي ينتج ملفوظًا أو قولاً موجَّها نحو متكلّم إلى آخر))[17]، كما يهتم بدراسة سياق الموقف

[15]- انظر: شرح ابن عقيل 348/1، التصريح 2/ 252.
[16]- مبادئ تحليل النصّ الأدبيّ ص: 242.
[17]- اللغة والتواصل ص: 78.

والثقافة، وملاحظة ظروف إنتاج الكتاب نصَّه؛ لفهم النص فهما مناسبا، وهذا النص هو حصيلة الكفاءة اللغوية لمؤلف بعينه، وقد عني علم اللغة النصي بتوصيف النص من الناحية الاتّصالية، وفي (فقه السيرة النبوية) –مجال البحث– نجد البوطي لا يخاطب مرسلاً بعينه، بل هو ينقل رسالته إلى مستقبلين نقلاً مباشرا وغير مباشر، وسنلحظ أن اتصاله وجه إلى غير معروفين للمؤلف، كما سنجد أن هذا النص الذي أنتجه المؤلف لم يكن اعتباطيًّا؛ بل له قصد يرتبط بالمخاطب؛ أي الطرف المستقبل، لا بوصفه طرفاً منتجاً أساسيًّا، بل مراعى في العملية التواصلية؛ لأننا إذ نتكلّم لا ننظر إلى الآخرين باعتبارهم طرفاً مستهلكاً، مفعولاً سلبيًّا؛ بل طرفاً فاعلاً، وبهذه القراءة والتطبيق على نصوص الكتاب نجد أن التداولية فيه متناولة بمفاهيمها المتعددة، التي من أهمها وأساسها السياق، وهو الذي سنركّز عليه في دراستنا التطبيقية، كما أن غرض المتكلم، وإفادة السامع، ومراعاة العلاقة بين أطراف الخطاب، محل اهتمام، فنحن فيما سنقوم به لا بد من ملاحظة محور التواصل الذي يقوم به المرسل، وهو الإمام البوطي في هذا المقام، والمرسل إليه، وهو المتلقي، أيًّا كان، ونحن من هذا المتلقّي. لقد تبادلنا في تحليلنا مع الكاتب بيانات أو معلومات وقصصا وحكايات سردها علينا؛ فالبوطي أحاطنا علما بفكرة ما، وهو ما جعلنا نرى بعدا تواصليا فيما يقوله البوطي في هذا الكتاب، ولا ننسى أن في فحوى هذه النصوص معلومات وأفكارا، تمثل عملية معرفية غُلّفت في خطاب سردي، كان من وسائله التي ركّزنا عليها هنا أسلوب الشرط، وقد أعقب الإرسال والتواصل القبول والاقتناع بما في فحوى تلك النصوص من أفكار، وإضافة إلى ما ذكر يجب التأكيد على ارتباط المتكلّم بالسياق الخارجي؛ ارتباطاً وثيقاً مؤثّرا في تحديد المعنى الذي يقصده الإمام البوطي[18]. وقد رأيت أن من الملامح اللغوية للنص السردي في كتاب (فقه السيرة النبوية) اطّراد أُسلوب الشرط، كعلامة مميزة وأساس فيها، والأمثلة المـ دلّل بها على ذلك كثيرة، فكاتبنا يرغب في إيصال فكرته إلى القارئ، وهذا لا يكون إلا باستخدام دقيق للّغة، إفرادا وتركيبا، وهذا المكتوب ليس كسائر المكاتيب، أو قصة كغيرها من القصص، فهو يحمل رسالة سامية مفادها أن سيرة النبي ﷺ عطرة، ومحصَّنة وبعيدة عن كثيرٍ من الشبهات والأدران التي علقت بها وبصاحبها ﷺ؛ ولا

[18]- بلاغة الخطاب وعلم النص ص: 408.

تتضح هذه النكات اللغوية والنحوية والبلاغية إلا بالتحليل؛ إذ التحليل النصي يقدم المادة الخام للمناهج النقدية المختلفة، فالقراءة والتحليل يعتبران اشتغالاً للمعنى، وكتابة وإنتاجا للنص من جديد، هما إرجاع النص إلى صورته الأولية الخالصة من أية ضغوط للكاتب أو القاص، وتعتبر تحريرا للقارئ أيضا. أقول إن منتجي النص السردي –من وجهة نظري واجتهادي واستنتاجي– يرون: « أن الأسلوب قوة ضاغطة تتسلّط على حساسية القارئ بواسطة إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام، وحمل القارئ على الانتباه إليها؛ بحيث إن غفل عنها تشوه النص، وإذا حلّلها وجد لها دلالات تتميز به، خاصة بما يسمح بتقرير أن الكلام يعبر، والأسلوب يبرز، وهكذا فالمهم في الدراسة الأسلوبية هو ملاحظة ما يتولّد عن الرسالة أو النص من ردود فعل لدى القارئ المتلقّي))[19]. وابتعادا وخوفا من التكرار المعقب الإطالة ثم السآمة؛ فإن أحكام الشرط وأدواته سأوردها حسب ما جاء منها في النصوص المختارة، ومن أدوات الشّرط التي صدّرت بها الجمل الشرطية:

1– **إذا:** اسم شرط غير جازم، وهي أُم الأدوات الشرطية غير الجازمة، وإن ورد الجزم بها فهو على الشذوذ، أو خاص بالنظم؛ فلا ينقاس، وهي لا تدخل إلا على الجمل الفعلية؛ أي جملة الشرط لا تكون إلا فعلاً، والأغلب فيه أن يكون ماضيا، وقد يأتي مضارعا، وهذا الفعل – أعني فعل الشرط– محلّه الإعرابي الجر بها، وأما (إذا) فهي منصوبة بالجواب الذي قد يتصل بالفاء أو بـ(إذا) الفجائية؛ إذا لم يصلح هذا الجزاء لأن يكون شرطًا، كأن يكون فعلاً مضارعا منفيًّا بغير (ما) و(لا) [20].

أما معانيها فمنها: الظرفية في الزمن المستقبل، والدلالة على تعلق الجواب بالجزاء، معناه وقُوع الشّيء لوقُوع غيره، كما أن مدخولها وجملتيها عامة تصبح في حكم المتيقّن حصوله والمجزوم به؛ فجعل ذلك من وظائفها المعنوية وتداولياتها، وقد تأتي وتدخل على التركيب فيكون الأمر مظنونا ومشكوكا في حصوله[21].

ولنقف على الأمثلة الدالّة والمطبقة على ما قيل من قواعد نظرية؛ فمن مواطن الاستشهاد لوظيفة (إذا) ودلالتها على الشرط وتعلقه بالجزاء ما جاء في العبر والعظات

[19]- الأسلوبية للدكتور أبو العدوس ص: 37.
[20]- انظر: شرح التسهيل لابن مالك 4/ 81.
[21]- انظر: المقتضب 2/ 46، النحو الوافي 4/ 431.

جرّاء قرار هدم مسجد الضّرار، عقب رجوع النبي ﷺ من غزوة تبوك: ((إنك إذا تأملت في خطوات هذا الكيد المتلصص من المنافقين، وكيفيته، ووسائله؛ علمت أن طبيعة النفاق واحدة في كل عصر وزمان، وأن وسيلة المنافقين لا تتبدل، ولا تختلف...إلى أن يقول: حتّى إذا انفتلوا إلى بني قومهم من المسلمين المؤمنين؛ تظاهروا بالإسلام، واصطنعوا مظهر الإعجاب به، والدعوة إليه، فإذا أمكنتهم الفرصة من خنق حقيقة من حقائق هذا الدين، والقضاء على بعض دعاته؛ أعلنوا أنهم يقومون برسالة تطويره))[22]. ففعل الشرط ماض ودلالته نقلت إلى المستقبل بواسطة (إذا)، فتأملك في سلوكهم وكيدهم واقع مستقبلاً لا ماضيا، كذا في التركيب الثاني، وهو رجوعهم إلى قومهم، يقع بعد حين، فلها فضل وظيفي وآخر دلالي تداولي، في التراكيب السالفة الذكر، فدخول إذا على الماضي مظهر تداولي لها، كما أن دلالة (إذا) في النص السابق متنوعة، فدخلت في آخر النص على أمر مظنون فيه، ومشكوك في حصوله؛ ألا وهو إمكانية خنق حقيقة من حقائق هذا الدين، فقال: فإذا أمكنتهم الفرصة...وهو أمر غير محقق، على عكس قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر:1].

وزيادة على دلالة الاستقبال لـ(إذا) الشرطية فلها دلالات هامشية يجب أن توضع في الذهن عند القراءة والتحليل، فهي: ((إذا كانت للشرطية؛ فإنها لا تدل على التكرار؛ في مثل: إذا خرجت أخرج معك، يتحقّق المراد بالخروج مرة واحدة، وهي أيضا لا تفيد الشمول والتعميم في الرأي الشائع، فلو حلف رجل على أن يتصدق بمائة –مثلاً– إذا رجع ابنٌ من أبنائه الغائبين؛ فرجع ثلاثة، لم يجب عليه إلا مائة، وتسقط عنه اليمين بعدها))[23].

ومن ورود الجزاء جملة اسمية فاقترنت بالفاء قوله: ((ومعنى هذا أنه إذا اختلفت الأحوال وقامت عثرات الصدّ والعناد دون سبيل الدعوة، فإن الحكمة حينئذ إنما هي إعداد العدة للجهاد والتضحية بالنفس والمال))[24]. حيث كان الشرط بـ(إذا)، الداخلة على الفعل الماضي لفظًا، والجزاء كان جملة اسمية؛ فصدّرت بالفاء، التي دلّت هنا على الربط وإتباع الجزاء للشرط، وتعلّقه به دون مهلة ولا قطعَ، ولا فاصل كثير، قال ابن جني: ((ومن ذلك فاء

[22]- فقه السيرة ص: 458.
[23]- النحو الوافي 2/ 279.
[24]- فقه السيرة ص: 128.

العطف فيها معنيان: العطف، فإذا استعملت في جواب الشرط خلعت عنها دلالة العطف وخلصت للإتباع، وذلك قولك: إن تقم فأنا أقوم، ونحو ذلك))[25]، ومدخول (إذا) هنا غير مقطوع الوقوع، وقطعه يكون بدخول (إذا) وما أحدثته من دلالة.

وقد تحمل (إذا) تداولاً غير الاستقبال الموجود في الشرط؛ فتدل على الزمن، وتكون اسم زمان بعيدا عن الشرط والجزاء، ومن هذا التركيب قول الإمام البوطي: ((والحقيقة أن الاهتمام بهذه المدرسة في كتابة السيرة وفهمها، والحماسة التي ظهرت يوما ما لدى البعض في الأخذ بها– إنما كان منعطفا تاريخيًّا ومر.. وعذر أولئك الذين كتب عليهم أن يمروا بذلك المنعطف أو يمر هو بهم، أنهم كانوا– كما قلنا– يفتحون أعينهم إذ ذاك على خبر النهضة العلمية في أوربا، بعد طول غفلة وإغماض، وإنه لأمر طبيعي أن تنبهر العين عند أو ل لقياها مع الضياء، فلا تتبين حقائق الأشياء، ولا تتميز الأشباه عن بعضها، حتى إذا مر وقت، واستراحت العين إلى الضياء، أخذت الأشياء تتمايز، وبدت الحقائق واضحة جلية لا لبس فيها ولا غموض)) [26]، وأيضا قوله في موضع آخر: ((أقول إن المنطق يقضي بأن ندرس ذلك كلّه، ولكن على أن نتّخذ منه سلّما للوصول إلى نهاية من البحث والدرس، نتأكد فيها من نبوته، ونتبين فيها حقيقة الوحي في حياته، حتى إذا تجلّى لنا ذلك بعد البحث الموضوعي المتجرد عن أي هوى أو عصبية، أدركنا أنه ﷺ لم يخترع لنا من عنده شرعة وأحكاما))[27]، ولكن غياب الشرط في هذا النص عنها أراه مستبعدا؛ خلافا لما ذكره الأخفش في تفسير قول الحق ﷻ: ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتّحت أبوابها﴾[الزمر: 71]. وأيضا ما جاء عن بعضهم من أنها تجردت وتمحضت للزمن؛ فتكون مجرَّدة من الشرط، كما في قوله تعالى: ﴿والليل إذا يغشى﴾ [الليل: 1][28].

وقد يحذف جواب (إذا) إذا دل عليه دليل، كقول البوطي: ((يجب المسالمة أو الإسرار بالدعوة إذا كان الجهر أو القتال يضر بها، ولا يجوز الإسرار في الدعوة إذا أمكن الجهر بها، وكان ذلك مفيدا، ولا يجوز المسالمة مع الظالمين والمتربصين بها إذا توفرت

[25]- الخصائص 2/ 196.
[26]- فقه السيرة ص: 36، 37.
[27]- فقه السيرة ص: 41.
[28]- انظر: العدّة في إعراب العمدة 1/ 59.

أسباب القوة والدفاع عنها، ولا يجوز القعود عن جهاد الكافرين في عقر دورهم إذا ما توفرت وسائل ذلك وأسبابه))[29]. وما سوغ حذفه هو الدليل اللفظي؛ حيث تقدم ما يومئ إلى الجزاء، وهو: ((يجب المسالمة، لا يجوز الإسرار، لا يجوز المسالة، لا يجوز القعود))، وهذا تداول آخر لـ(إذا) وهو يحمل وراءه الإيجاز بالحذف.

وإحاطة وإتيانا وإلمام ا بجميع دلالات (إذا) أقول أنها تدخل على محقق الوقوع لتدل على التعلق بين الشرط وجزائه، ((فكان هؤلاء يلتقون بالنبي ﷺ سرا، وكان أحدهم إذا أراد ممارسة عبادة من العبادات ذهب إلى شعاب مكة يستخفي فيها عن أنظار قريش))[30]. فدخول (إذا) هنا على نية أصحابه رضوان الله عليهم عبادة ربهم عبادة لا تضر بأمر المحافظة على سر دعوة نبيهم ﷺ، وكذا في قوله: ((وإذا أمعنا في منبع هذه النظرية عن رسول الله ﷺ نجد أنها في الأصل فكرة بعض المستشرقين والباحثين الأجانب من أمثال غوستاف لوبون، وأوجست كونت، وهيوم، وجولد زيهر، وغيرهم، وأساس هذه النظرية عندهم وسببها؛ هو عدم الإيمان بخالق المعجزات أولاً؛ ذلك لأن الإيمان بالله ﷻ إذا استقر في النفس سهل الإيمان بكل شيء بعد ذلك، ولم يبق شيء في الدنيا يستحق أن يسمى في الحقيقة معجزة))[31]، فهنا تدل (إذا) على تعلق الجواب والجزاء وارتباطه بفعل الشرط في وقت وزمن، بواسطتها هي، قال الأستاذ عباس حسن: ((كما تستعمل (إذا) الظرفية الشرطية في التعليق إذا كان الشرط محقّق الوقوع، نحو: إذا أقبل الشتاء أقيم عندكم))[32]. ويبقى لـ(إذا) تداول في تسليط الفعل الإنجازي الإمعان، وتحميله إذا مع مدخولها تداولاً استعماليًّا تهكميًّا فيه سخرية، وهو مظهر تداولي آخر لها.

أما: حرف شرط وتفصيل؛ أدت دورين في الجملة الشرطية عامة: دور الأداة، فهي حرف غير جازم يستدعي جملتين؛ الشرط والجزاء، وتقوم (أما) بمهمة دور جملة الشرط أيضا؛ إذ تقديرها: مهما يكن من شيء فـ...، ولا بد لجزائها من أن يتّصل بفاء الجزاء؛ سواء أكان فعلاً أم اسما، وهذه الفاء تتّصل بصدر الجملة الواقعة جزاء، لا عجزها، وإذا تتبعت النصوص وجدت الفاء الرابطة للجزاء مع الشرط موجودة، ولعدم صحة وقوع الجملة

[29]- فقه السيرة ص: 108.
[30]- فقه السيرة ص: 106.
[31]- فقه السيرة ص: 162.
[32]- النحو الوافي 2/ 279.

الاسمية شرطًا فقد دخلت عليها الفاء، وكذلك الفاء تدخل في جزائها عامة، فما بالك إذا كان هذا الجزاء جملة اسمية، والفاء متّصلة في هذه الجمل بالخبر، وليس بالمبتدأ، وإن كان ظاهرها يوحي بأنها متصلة بالمبتدأ، ولكنها متصلة بالخبر؛ إذ مبتدؤها محذوف، ويمكن تقديره من السياق؛ كل مثال على حدة، فلما حذف المبتدأ، وبعدت المسافة بين الشرط (أما)، والجزاء بهذا المحذوف؛ فقد اتصل بالخبر، ولم يستقبح هذا الاتصال؛ لبعدهما عن بعضهما؛ أعني الشرط وصدر الجزاء، وفي جمل أخرى غير هذا الموضع تجد أن الفاء لا تدخل على المبتدأ؛ الذي هو صدر الجزاء، وإنما على خبره، والمبتدأ مذكور، كما جاء في قول البوطي في مقدمة كتابه: ((**أما** عملية استنباط النتائج والأحكام والمبادئ والمعاني من هذه الأخبار (بعد القبول التام لها) فعمل علمي آخر، لا شأن له بالتاريخ))[33]، فـ(عملية) مبتدأ، و(عمل) خبره، والأولى أن يكون التركيب هكذا: أما فعملية استنباط النتائج عمل علمي ، ولكنَّ العرب استقبحوا ذلك، وساروا مع (أمَّا) في اتصال جزائها بالفاء سيرة مغايرة لأخواتها، ولهذا التأخير سبب، ليس من ناحية القواعد النحوية، وإنما من الناحية الظاهرية الشكلية؛ حتى يعلم من يظن أن العربية لا تهتم بمظهرها الخارجي؛ أن الأمر على خلاف ما اعتقده؛ فالمظهر الخارجي في تنسيق الجمل والتراكيب أعاره العرب اهتمامهم؛ ((فرارا من قبحه – أي اتصال الفاء مع صدر الجملة الجزائية – لكونه في صورة معطوف بلا معطوف عليه؛ ففصلوا بين (أما) والفاء بجزء من الجواب))[34]. وهو المبتدأ (عملية استنباط) في المثال النصي السابق.

تداولية أمّا: استعمالها باطّراد أكثر من غيرها مظهر تداولي، إن صدارة أداة الشّرط (أما) فيه تفصيل، وفيه رائحة التوكيد أيضا، ولنتأمل هذه الجمل، ونستمع إلى كلام الإمام البوطي تطبيقًا لما ذكر من قواعد نظرية، قال البوطي: ((**أما** كتابة حياة رسول الله ﷺ ومغازيه بصورة عامّة، فقد جاء ذلك متأخّرًا عن البدء بكتابة السُّنة، وإن كان الصحابة يهتمون بنقل سيرته ومغازيه شفاها))[35]، وفي موضع آخر من الكتاب يقول: ((الرواة الذين اهتموا بسيرة النبي ﷺ وحياته عموما، وقد كان في الصحابة الكثير ممن اهتم بذلك، بل ما

[33]- فقه السيرة النبوية ص: 29.
[34]- التصريح 2 / 262. وانظر حكم (أمّا) في المصدر نفسه 260/2 - 262.
[35]- فقه السيرة النبوية ص: 26.

من صحابي كان مع رسول الله ﷺ في مشهد من مشاهد سيرته إلا ورواه لسائر الصحابة ولمن بعده أكثر من مرة، ولكن دون أن يهتم واحدٌ منهم في بادئ الأمر بجمع هذه السيرة وتدوينها، وأُحب أن ألفت النظر هنا إلى الفرق بين عموم ما يسمى كتابة وتقييدا، وخصوصا ما يسمى تأليفا أو تدوينا، **أما** الأول فقد كان موجودا بالنسبة للسنة في حياة رسول الله ﷺ كما ذكرنا آنفا، و**أما** الثاني –ويراد به الجمع والتنسيق بين دفتين– فقد ظهر فيما بعد، عندما ظهرت الحاجة إلى ذلك)) [36]. إذا قرأت ووقفت على النص علمت أن ذلك موجود ثابت؛ فهو أمر محتّم، حقٌّ لا شك فيه، وأنه حاصل يقينا، وهو ((كان موجودا بالنسبة للسنة...فقد ظهر))، وإذا قرأت وتأملت بقية جمل ونصوص الكتاب المستشهد بها أحسست بما قلته و وقفت عليه، وأريت أنه يحمل توكيدا بين طياته. يقول الزمخشري (ت 538 هـ) في صورة من صور تداولية (أما) وهي التوكيد في الآية الكريمة: ﴿فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من رَّبهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً﴾[البقرة: 26]: ((وأما حرف فيه معنى الشرط، ولذلك يجاب بالفاء، وفائدته في الكلام أن يعطيه فضل توكيد، تقول: زيدٌ ذاهب، فإذا قصدت توكيد ذاك، وأنه لا محالة ذاهب، وأنه بصدد الذهاب، وأنه منه عزيمة، قلت: أما زيد فذاهب، ولذلك قال سيبويه في تفسيره: مهما يكن من شيء فزيدٌ ذاهب، وهذا التفسير ما دل لفائدتين: بيان كونه توكيدا، وأنه في معنى الشرط، ففي إيراد الجملتين مصدرتين به، وإن لم يقل: فالذين آمنوا يعلمون، والذين كفروا يقولون، إحماد عظيم لأمر المؤمنين، واعتدادٌ بعلمهم أنه الحق، ونعي على الكافرين إغفالهم حظّهم، وعنادهم، ورميهم بالكلمة الحمقاء))[37].

وتلحظ أن استعمال (أما) مقارنة بغيرها من الأدوات شائع الاستعمال في نصوص الكتاب، خاصة في مواطن التفصيل والتحليل لكثير من النصوص المجملة والحوادث الجليلة التي أجملت في كثير من مصادر التأريخ الإسلامي، من ذلك ما جاء في تعليل البوطي لسبب وعلة اختيار الجزيرة العربية والقومية العربية لأن تكونا محل وأهل هذا الدين؛ حيث قال: ((**أما** فارس فقد كانت حقْلاً لوساوس دينية فلسفية متصارعة مختلفة، كان فيها الزرادشتية التي اعتنقها ذوو السلطة الحاكمون، و**أما** الرومان، فقد كانت تسيطر عليها

[36]- فقه السيرة ص: 27، 28.
[37]- تفسير الكشاف 1/ 117.

الروح الاستعمارية، وكانت منهمكة في خلاف ديني بينها من جهة وبين نصارى الشام ومصر من جهة أخرى، وكانت تعتمد على قوتها...**أما** اليونان فقد كانت غارقةً في هوسات من خرافاتها وأساطيرها الكلامية التي مزيت بها دون أن ترقى منها إلى ثمرة أو نتيجة مفيدة، و**أما** الهند، فقد كانت – كما قال عنها الأستاذ أبو الحسن الندوي–: إنه قد اتفقت كلمة المؤلّفين في تاريخها أنَّ أَحطّ أدوارها ديانةً وخُلُقًا واجتماعا ذلك العهد الذي يبتدئ من مستهل القَرن السادس عشر الميلادي ، فقد ساهمت الهند مع جاراتها وشقيقاتها في التدهور الأخلاقي والاجتماعي))[38].

وعندما كان الأمر متعلّقًا بسبب رئيس من أسباب تأليفه هذا الكتاب، وهو الرد على المتطاولين عن صاحب السيرةﷺ ، الباحثين عن الثغرات، اللاهثين وراء السراب، يقول البوطي لهم؛ فيفصّل حالهم، ويشرح طريقتهم في التناول والكتابة: ((**أما** الذين لا يزالون يعيشون في فترة البحث والتنقيب، لا ينكرون جهلهم، ولا يدعون ما لم يؤتوه من مدنية وعلم وحضارة، فهم أطوع للعلاج والتوجيه– نقول ليست هذه هي الحكمة؛ لأن مثل هذا التحليل يصدق بالنسبة لمن كانت قدرته محدودة، وطاقته مخلوقة؛ فهو يفرق بين ما هو سهل وصعب عليه، فيفضل الأول، ويتهرب من الثاني؛ طمعا في الراحة، وكراهيةً للنَّصب))[39] إلى أن يصل تصوير صلة هذا الدين بما قبله من الشرائع فيقول: ((**أما** دعوته ﷺ وعلاقتها بدعوات الأنبياء السابقين؛ فقائمة على أساس التأكيد والتتميم))[40].

ولعل من أجل مواطن التفصيل في سيرة النبي ﷺ هو نسبه وحياته الاجتماعية التي هي من أكثر المواضع والمواطن التي يطعن فيها وبها أهل الكفر والإلحاد المتنطّعين، ومن كان نصيرا لهم، فيقول –رحمه الله– في ذلك: ((**أما** نسبه ﷺ فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، ويدعى شيبة الحمد، ابن هاشم بن عبد مناف واسمه المغيرة، ابن قصي ويسمى زيدا...فهذا القدر المتفق عليه من نسبه الشريف ﷺ **أما** ما فوق ذلك فمختلف فيه، لا يعتمد عليه في شيء)) [41]. إن من مواطن الطعن والهمز في النسب الشريف البحث فيما بعد

[38]- فقه السيرة ص: 44، 45.
[39]- فقه السيرة ص: 47، 48.
[40]- فقه السيرة ص: 51.
[41]- فقه السيرة ص: 69.

عدنان، وهو من الأمور المنهي عن الخوض والبحث فيها؛ لذا كان من الواجب على الكاتب أن يؤكد على هذا الأمر فقال: ((أما ما فوق ذلك فمختلف فيه)). وهنا نلحظ استعمال (أما) والتي نعتبرها مع أخواتها حروف معانٍ لها دلالات أصيلة ومطّردة، ولها دلالات فرعية أو هامشية(تداوليات لها)، هي محل البحث والتحليل، وهي مدار الاستعمال اللغوي لها، وتؤدي لنا مقاصد ومعاني من خلال إدراجها في النص النثري مع تراكيب صالحة للدخول عليها، فتصبح لـ(أما) ميزة عن بقية الأدوات والروابط واللواصق الموجودة في النص، أصبحت لها وظيفة ليست لغوية فحسب بل وظيفة كبرى فاقت المنظور اللغوي، وتعدته إلى العالم الخارجي الاجتماعي، رمت (أما) أو لنقل: رمى الكاتب إلى: ((إنجازات وأغراض تواصلية ترمي إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعية أو مؤسساتية أو فردية بالكلمات والتأثير في المخاطب بحمله على))[42] تنزيه نسب هذا النبيﷺ الطاهر الأب والأم، والاكتفاء بالنسب القريب، والابتعاد عن الخوض فيما بعد الجد عدنان.

وقد لاحظت أن استعمال (أما) في نصوص الكتاب يبعد من الإحصاء، فلو تتبعت وكانت الدراسة إحصائية فقط لكفت وحدها مادة علمية لغوية؛ ليقوم عليها بحث، ولتجاوزت صفحات البحث العدد المسموح به في أغلب المجلات.

كما أن لـ(أما) تداول سياقي مختلف عما سبق ذكره، هو التعليل، وهو ما أرجحه في هذا التركيب الآتي المتعلق بالوحي إلى نبينا ﷺ؛ مع ثبات دلالة التفصيل أيضا، حيث قال البوطي: ((**أما** انقطاع الوحي بعد ذلك، وتلبثه ستة أشهر أو أكثر، على الخلاف المعروف فيه، فينطوي على مثل المعجزة الإلهية الرائعة؛ إذ في ذلك أبلغ الرد على ما يفسر به محترفو الغزو الفكري الوحي النبوي من أنه الإشراق النفسي المنبعث لديه من طول التأمُّل والتكرار، وأنه أمر داخلي منبعث من ذاته نفسها))[43]، كما أن (أما) قد يكون أسلوبها الشرطي مجازيًّا، وهي ما يعطي التركيب قوة توكيدية تزيد على دلالة التفصيل الحقيقي، حيث استعملت اكتسبت وألبست تداولا جديدا، قال الإمام البوطي: «أما الاستغراق في التضرُّع والدعاء وبسط الكف إلى السماء، فتلك هي وظيفة العبودية التي خلق من أجلها

[42]- التداولية عند العلماء العرب ص: 11.
[43]- فقه السيرة ص: 100.

الإنسان، وذلك هو ثمن النصر في كل حال»[44].

وقد تستعمل (أمَّا) للتعريف كما في قوله: ((**أمـا** التقاليد فإنما هي تلك التيارات السلوكية التي ينجرف فيها الناس تلقائيًّا بمجرد باعث المحاكاة والتقليد لدى الإنسان))[45]، فالشرط والتفصيل مع أدائها دلالة التعريف والماهية، وإني في ختام كلامي عن (أما) أكاد أجزم بأن من مراكز الضبط في النص السردي النثري اطّراد استعمال (أما) وتداولها في الجمل والتراكيب.

كلّمـا: وهي اسم شرط غير جازم، خافضة لشرطها، والأكثر في شرطها أن يكون ماضيا منصوبا بجوابها، ونصبه على الظرفية الزمانية؛ **ومن معانيها الدّلالة** على الوقت والزمن؛ و(كلّما) أيضا تفيد معنى التكرار المحتوي والمتضمّن دلالة التوكيد[46]، وإذا أردنا وقوفا على هاتين الدلالتين فلنقف على المعاني اللطيفة الشريفة المستقاة من قوله تعالى: ﴿كلّما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا﴾ [آل عمران:37]: ((كلّما للتكرار، وفي هذا إشارة: وهو أن زكريا عليه السلام لم يذر تعهدها– وإن وجد عندها رزقا– بل كل يوم وكل وقت كان يتفقد حالها لأن كرامات الأولياء ليست مما يجب أن يدوم ذلك قطعا فيجوز أن يظهر الله ذلك عليهم دائما، ويجوز ألا يظهر، فما كان زكريا عليه السلام يعتمد على ذلك فيترك تفقد حالها، ثم كان يجدد السؤال عنها بقوله: ﴿يا مريم أنى لك هذا﴾[آل عمران: 37]»[47].

ومن المواضع المطّردة لدلالة (كلّما) قول البوطي رحمه الله: ((أن التاريخ الجاهلي كان يزداد تفتّحا على حقائق التوحيد ونور الهداية مع امتداد الزمن وتطاول الدهر؛ أي أنهم **كلّمـا** ابتعدوا عن عهد إبراهيم، وقامت بينه وبينهم قرونٌ أخرى، ازدادوا قُربا إلى مبادئه ودعوته؛ حتى بلغ هذا القرب مداه الأخير إبان بعثة المصطفى عليه الصلاة والسلام))[48]، فدلالة (كلما) أخذت اتجاهين؛ دلالة الشرط والتفصيل، ومعنى بلاغيًّا مجازيًّا، ابتعدوا فاقتربوا، وهو استعمال تداولي لغوي بلاغي لـ(كلّما)؛ فألبسها الكاتب ثوبا جماليًّا؛ ((فالبلاغة

---

[44]- فقه السيرة ص: 162.
[45]- فقه السيرة ص: 117.
[46]- انظر: المغني بحاشية الأمير 171/1.
[47]- لطائف الإشارات 1/ 239.
[48]- فقه السيرة ص: 60.

تشير إلى اللغة، وهي الوسيلة القارة التي يعبر عنها الكلام؛ فاللغة بدون كلام تصبح ميتة، والكلام بدون لغة لا إنسانى؛ إذ إن اللغة والفن والحياة الفردية والاجتماعية تقدم نموذجا واضحا من التعالق الجدلي بين اللغة والكلام))[49].

وفي موضع آخر من الكتاب جاء جواب الشرط وجزاؤه؛ حيث دخلت (كلما) على فعل ماض هو فعل الشرط وجوابها ماض أيضا: ((كان **كلّما** وقع شيء بين العرب واليهود، هدد اليهود العرب بأن نبيًّا قد آن أوان بعثته، وأنهم سيكونون من أتباعه، ويقتلونهم معه قتل عاد وإرم))[50]. فهناك تلازم بين تهديد اليهود العرب بحصول وقيعة بين اليهود والعرب في يثرب؛ فدلالة التلازم دلالة مستعملة ومطردة لـ(كلما).

لم يلتزم البوطي باستعمال (كلما) استعمالا مطّردا، بل خرج بها إلى استعمال آخر، فيه تنوُّع ونيابة عن الظرفية الزمنية، فجاءت (كلّما) دالّة على الوقت، والتكرار، وأراها بعيدة عن الشرطية؛ مما يجعلها تبتعد عن تعلّق الجزاء بفعل الشرط، وذلك في قول البوطي: ((ومنه ما كانوا يواجهونه به من فنون الهزء والغمز واللمز **كلّما** مشى بينهم أو مر بهم في طرقاتهم أو نواديهم))[51]، وأيضا: ((إن على المسلمين أن يستبشروا بالنصر **كلّما** رأوا أنهم يتحملون مزيدا من الضر والنكبات))[52]، ويجوز في النصين السابقين أن تدل على التعلّق مع الدلالة الزمنية، ويكون جزاؤها محذوفًا؛ إيجازا واكتفاء بما ذكر سلفا؛ ليدل عليه، وهذا ما ينقلنا إلى تداول آخر لـ(كلّما)؛ حيث جاء الشرط المصدر بـ(كلّما)، وقد حذف منه جزاؤه في قوله: ((لقد كانت نتيجة العبودية والخضوع لله تعالى، عزة قعساء، ومجدا شامخا، خضع لهما جبين الدنيا بأسرها، ولقد كانت نتيجة الطغيان والجبروت الزائفين قبرا من الضيعة والهوان، أقيم لأربابهما؛ حيث كانوا سيتساقون فيه الخمر، وتعزف عليهم القيان، وتلك هي سنة الله في الكون **كلّما** تلاقت عبودية لله خالصة مع جبروت وطغيان زائفين))[53]، وأيضا في قوله: ((لقد رأينا أن الوسيلة التي التجأ إليها رسول الله ﷺ وأصحابه في غزوة بدر، هي نفسها التي التجأ إليها في الخندق...إنها وسيلة التضرُّع إلى الله، والإكثار من الإقبال عليه

[49]- بلاغة الخطاب ص: 19.
[50]- فقه السيرة ص: 176.
[51]- فقه السيرة ص: 117.
[52]- فقه السيرة ص: 120.
[53]- فقه السيرة ص: 242.

بالدعاء والاستغاثة، بل لقد كان هو العمل المتكرر الدائم الذي ظل يفزع إليه رسول الله ﷺ، **كلّما** لقي عدوًّا أو سار إلى جهاد))[54]، وفي هذين النصين تلحظ حذف جواب وجزاء (كلّما)؛ لدلالة ما قبله عليه، وهي قرينة لفظية تبيح حذف الجزاء، الذي في الحقيقة ذُكر وتقدم على الشرط، ولولا أن القواعد النظرية اتفقت على ذلك لقلنا أن الجزاء والجواب ذكر متقدما على الشرط.

4- لما: حرف شرط وتعليق؛ إذا رأيت لها جوابا، ومدخولها فعل ماض مثْبت، أو فعلٌ مضارع منفي، ومن وظائفها الجر إذا نابت عن (حين)، وأما جوابها ففعل ماض لفظًا ومعنى، وقد يكون جملة اسمية مصدرة بـ(إذا) الفجائية، كما في قوله تعالى: ﴿فلما أحسُّوا بأسنا إذا هم منها يركضون﴾ [الأنبياء:12] أو جملة اسمية مصدَّرة بالفاء، قال تعالى: ﴿فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقْتصدٌ﴾ [لقمان: 32].

دلالة لما المطردة التعليق، وإذا وليها فعل ماض لفظاً ومعنى؛ فلها نيابة وتداول خرجت به عن التعليق إلى معنى الظرفية كـ(إذْ)، كما تتداول بمعْنى (حين) كقَوْله تعَالَى: ﴿فَلَمَّا آسفُونا انتَقْمنا منْهم﴾ [الزخرف: 55]؛ أَي: حين آسفونا، ودلالتها التالية أنها حرف وجوب لوجوب[55].

فمن الاطراد الدلالي الشرط مع الزمن بذكر ركني الشرط قول البوطي ساردا مراحل طفولة النبي وشبابه ﷺ: ((ولما تم له ﷺ من العمر اثنتا عشرة سنة، سافر عمه أبو طالب إلى الشام في ركب للتجارة، فأخذه معه، ولما نزل الركب بصرى مرُّوا على راهب هناك يقال له بحيرا، وكان عليما بالإنجيل، خبيرا بشؤون النصرانية، وهناك أبصر بحيرا النبي ﷺ، فجعل يتأمله ويكلّمه))[56]، وأيضا جاء ذكر الشرط مع الزمن في حديث البوطي عن أول هجرة في الإسلام فقال رحمه الله: ((ثم إن رسول الله ﷺ **لما** رأى ما يصيب أصحابه من البلاء، وأنه لا يقدر على أن يحميهم ويمنعهم مما هم فيه، قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد»))[57]، وأيضا قوله: ((ثم **لما** أربى الذين دخلوا في

---

[54]- فقه السيرة ص: 226.
[55]- انظر: الجنى الداني ص: 594- 597.
[56] - فقه السيرة ص: 75.
[57]- فقه السيرة ص: 137.

الإسلام على الثلاثين- ما بين رجل وامرأة- اختار لهم رسول الله ﷺ دار أحدهم، وهو الأرقم بن أبي الأرقم؛ ليلتقي بهم فيها لحاجات الإرشاد والتعليم))[58].

كما جاء تداول لـ(لما)، فصلت فيه (لما) بين الشرط والجزاء بأكثر من جملة، وقد عطفت على جملة فعل الشرط أكثر من جملة، وفي هذا حذف لـ(لما) في تلك الجمل، فبدل التكرار للأداة اكتفى بذكرها في الجملة الأولى (افتتح)، فعطف عليها: (فرغ، أسلمت، بايعت) جاء هذا التداول لها في الفصل المتعلّق بـ(تتابع وفود العرب ودخولهم في الإسلام) يقول: ((**لما** افتتح رسول الله ﷺ مكة، وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف، وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه، وإنما كانت العرب تتربص بالإسلام أمر هذا الحي من قريش، إذ كانوا إمام الناس وأهل البيت والحرم، وصريح ولد إسماعيل عليه السلام وقادة العرب، فلما افتتحت مكة، ودانت له قريش، ودوخها الإسلام؛ عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عدوانه، فدخلوا في دين الله تعالى أفواجا))[59]. فـ(لما) هنا فيها اطّراد معنى الشرط، أو أنها في هذا النص حرف يقتضي وجوباً لوجوب، ويكون لها تداول آخر تكون قد نابت أو ماثلت معنى (لولا)، فمعرفة العرب وتيقّنهم حصل بحصول الفتح المبين؛ فتح مكة[60].

جعل المراديّ أنّ من دلالتها أيضا التعليل والسبب[61]؛ إلا أن هذا التداول بعيدٌ عن (لما) في هذا نصوص الكتَاب، وهو تداول سياقي غير موجود فيما وقع عليه نظري.

ومن التنوُّع الدلالي والتداولي لـ(لما) حذف أحد ركني الشرط، وهو غياب جواب الشرط عنها، جاء ذلك في قول الإمام البوطي: ((وبعد فترة من الزمن بلغهم إسلام أهل مكة، فرجعوا لما بلغهم ذلك حتّى إذا دنوا من مكة بلغهم أن ما قد سمعوه من إسلام أهل مكة باطل))[62]. ومن التنوُّع الدلالي لاستعمال (لما) نيابتها عن (حين) في قول البوطي: ((وكان في سرح الدعاة اثنان لم يشهدا هذه الموقعة الغادرة، أحدهما عمرو بن أمية الضمري، ولم يعرف النبأ إلا فيما بعد، فأقبلا يدافعان عن إخوانهما، فقتل زميله معهم، وأفلت هو، فرجع

---

[58]- فقه السيرة ص: 106.
[59]- فقه السيرة ص: 462.
[60]- انظر: حروف المعاني والصفات ص: 11، شرح التسهيل لابن مالك 4: 101- 103.
[61]- انظر: الجنى الداني ص: 596.
[62]- فقه السيرة ص: 140.

إلى المدينة، وفي الطريق لقي رجلين من المشركين ظنهما من بني عامر، فقتلهما، ثم تبين **لما** وصل إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر أنهما من بني كلاب، وأن النبي ﷺ كان قد أجارهما)) [63].

فتداول اللغويون (لما) وجعلوها واستعملوها استعمالهم (حين) الظرفية، فغيبوا عنها دلالة التعلّق؛ تعلّق الشرط والجزاء، من هذا التنوع والتداول لها قول الإمام البوطي في موضع آخر: ((وربما أراد لهم الشيطان أن يتصوروا أن النبي ﷺ قد أدركته محبة قومه، وبني وطنه، فنسي في جنبهم الأنصار! فماذا قال لهم النبي عليه الصلاة والسلام **لما** أخبر بذلك؟ إن الخطاب الذي ألقاه عليهم جوابا على هذه الوساوس؛ ليفيض بمعاني الرقّة والذوق الرفيع، ومشاعر المحبة الشديدة للأنصار))[64]. والتقدير: قال لهم النبي حين أخبر بذلك، ويجوز أن تكون (لما) شرطية حذف جوابها، وهذا تداول آخر لها قد سبق ذكره.

5– لولا: ذكرت هذا الحرف تتميما لذكر أنواع الشرط غير الجازمة، وللتذكير بوظيفة وفائدة حرف الشرط غير الجازم (لولا)، والسبب أن هذه الأداة لم يرد لها استعمال في تراكيب وجمل الكتاب، إلا في جمل معدودة لم تتجاوز جملتين، وبقية الجمل التي ورد فيها لولا فكانت موزعة بين آيات قرآنية وأحاديث نبوية، فليست من سبك ولغة الإمام البوطي. أرجع إلى (لولا) فهي حرف مختصٌّ بدخوله على الأسماء، ؛ وجواب (لولا) ماض مثبت أو منفي، وقد يخلو من اللام، والأكثر أن يكون مقرونا بها، نحو:﴿لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾[سبأ:31]، ويقل حذف جزائها؛ لأنه صار عوضا من الخبر، فكره حذفه[65].

وظيفتها الدلالية: إذا كانت لولا شرطية فهي تدل على ربط امتناع وقوع الجزاء لوجود الشرط امتناع، أو (لما كان سيقع لانتفاء ما قبله)، والدلالة الأخرى: أن تكون حرف تحضيض، فتختص بالأفعال الماضية والمضارعة، نحو: ﴿فلولا تشكرون﴾[الواقعة: 70]، و: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة﴾[التوبة: 122]، كما أنها تدل على التوبيخ مع التحضيض إذا وليها ماض، ودلالتها الأخيرة هي النفي؛ فتأتي بمعنى (ما) النافية، ومن

[63]- فقه السيرة ص: 275.
[64]- فقه السيرة ص: 430.
[65]- انظر: ارتشاف الضرب 1906/4، المغني بحاشية الأمير 1/ 215- 217.

ذلك قوله تعالى: ﴿فلولا كانت قرية آمنت﴾[يونس: 98] أي: ما كانت قرية[66].

ولها تداول فرد ورد في نصوص الكتاب وهو حذف الجزاء، الذي جاء في مقدمة الكتاب، قال: ((ولقد امتلك فن الرواية لأحداث التاريخ عند العرب والمسلمين منهجا علميًّا دقيقًا لرصد الوقائع، وتمييز الصحيح منها عن غيره، لم يملك مثله غيرهم؛ غير أنهم لم يكونوا ليكتشفوا هذا المنهج، ولم يكونوا لينجحوا في وضعه موضع التنفيذ في كتاباتهم التاريخية، **لولا** السيرة النبوية التي وجدوا أنفسهم أمام ضرورة دينية تحملهم على تدوينها تدوينا صحيحا)) [67]. وأيضا: ((لقد كان هذا قريبا من مقتضى محبة الله لرسوله، **لولا** أن النصر مرتبط بالقانون الذي ذكرناه))[68]. وهو تداول مطرد وأصيل دلالته الشرط مع حذف الجزاء والجواب المترتب على ذكر الشرط.

6- **لو**: أخت غير شقيقة لـ(لولا)؛ فهي حرف شرطي غير عامل للجزم، وتدخل على الماضي والمضارع؛ وعلّل ذلك بتعليل لطيف مختصره: أنه لما كثر دخولها على الماضي لم تعمل الجزم، وأما جوابها فمضارع منفي بـ(لم)، أو ماض منفي بـ(ما)، والأكثر عدم اتصاله باللام، وقد تأتي حرفًا مصدريًّا، و(لو) المصدرية علامتها أن يصلح في موضعها أن، وتقع المصدرية غالبًا بعد تمنٍ أو ما في حكمه، كقوله تعالى: ﴿يود أحدهم لو يعمر﴾[البقرة: 96]، ولا تحتاج حينها إلى جواب، وأما الوظيفة الثالثة الممتزجة بالوظيفة الدلالية لها فالتمني، نحو: ﴿فلو أن لنا كرة فنكون﴾[الشعراء: 102]؛ بنصب الفعل المضارع بـ(أن) مستترة، وقبلها الفاء. هذه أظهر وظائفها النحوية، وأما جواب (لو) فيحذف باطّراد، بخلاف جواب (لولا)[69].

لها وظائف دلالية متعدّدة حسب مدخولها، والسياق الذي ترد فيه، قال أبو حيان: ((لو حرف امتناع لامتناع... يعني أنه يقتضي فعلاً ماضيا كان يتوقع ثبوته لثبوت غيره، والمتوقع غير واقع...ولا يليها إلا ماضي المعنى؛ سواء أكان بلفظ الماضي أم المضارع، قال تعالى: ﴿أن لو نشاء أصبناهم﴾[الأعراف: 100]، أو منفي بـ(لم)...وأنها تستعمل

---

[66]- انظر: الجنى الداني ص: 597- 608.
[67]- فقه السيرة ص: 24، 25.
[68]- فقه السيرة ص: 121.
[69]- ارتشاف الضرب 1906/4.

بمعنى (إن) للشرط في المستقبل))[70]، وعبارة (امتناع لامتناع) أنها تدل على تعليق فعل بفعل، والتقدير: حصول شرطها حصول جوابها، والكلام ينعكس، أي تصبح: حرف وجوب لوجوب، وتخرج عن كونها للتعليق في الماضي، وأما جوابها فلا يلزم كونه ممتنعاً على كل تقدير؛ لأنه قد يكون ثابتاً مع امتناع الشرط، فتكون دلالتها على: امتناع شرطها، والآخر كونه مستلزماً لجوابها، ولا تدل على امتناع الجواب أو ثبوته في الأمر، فإذا قلت: لو قام زيد لقام عمرو، فقيام زيد محكوم بانتفائه فيما مضى، وبكونه مستلزماً ثبوته لثبوت قيام عمرو[71]. كما أنها قد تأتي شرطية، ولكن لا تدل على الامتناع، ومنه قوله تعالى: ﴿ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم﴾[الأنفال: 23]، ولها وظيفة دلالية أخرى هي العرض، كما أنها تدل على التمني، وفي كليهما لا تحتاج جوابا وجزاء، كما أن (لو) الشرطية الامتناعية قد تشرَّب معنى التمني، ولها فائدة التقليل أيضا[72]، كقول النبي ﷺ: ((التمس ولو خاتما من حديد))[73].

ونلج نصوص الكتاب؛ لنسقط عليها هذه القواعد النظرية؛ فدلالة (لو) امتناع لامتناع، أصل ثابت لها، ومعنى مطّرد ورئيس من معانيها، من ذلك قوله: ((لعلنا لو أمعنا في خصائص اللغات وقارنا بينها، لوجدنا أن اللغة العربية تمتاز بكثير من الخصائص التي يعز وجودها في اللغات الأخرى. فأجدر بها أن تكون لغة المسلمين الأولى في مختلف ربوعهم وبلادهم))[74]. وأيضا: ((ولو طبقت أحكام الشريعة الإسلامية وأنظمتها الخاصة بشؤون المال من إحياء لشريعة الزكاة، ومنعٍ للربا، وقضاء على مختلف مظاهر الاحتكارات؛ لعاش الناس كلّهم في بحبوحة من العيش))[75]؛ إلا أن تطبيق الأحكام غابت وتقاعس عن تطبيقها الحاكم قبل الرعية، فلم يهنأ للناس عيش، وأصبحت حياتهم كدرا وغمًّا، مع دخول اللام على الجواب، واطّراد (لو) الامتناعية مع اتصال اللام بجزائها يفوق الحصر، قال البوطي: ((تعد حادثة شق الصدر التي حصلت له عليه الصلاة والسلام أثناء وجوده في مضارب

---

[70]- ارتشاف الضرب 4/ 1898.
[71]- الجنى الداني ص: 272- 274.
[72]- انظر: حروف المعاني والصفات ص: 3، ارتشاف الضرب 4/ 1903، المغني بحاشية الأمير 1/ 205- 215، الجنى الداني ص: 287- 290.
[73]- خرَّج الحديث الإمام مالك في موطئه في باب (ما جاء في الصداق والحباء) برقم (1477) الجزء 1/ 572.
[74]- فقه السيرة ص: 50.
[75]- فقه السيرة ص: 285.

بني سعد من إرهاصات النبوة ودلائل اختيار الله إياه لأمر جليل...وليست الحكمة من هذه الحادثة- والله أعلم- استئصال غدة الشر في جسم رسول الله ﷺ؛ إذ لو كان الشرُّ منبعه غدة في الجسم، أو علقة في بعض أنحائه، لأمكن أن يصبح الشرير خيرا بعملية جراحية))[76]، وفي دلالة الشرط والتعليق قد يحذف جوابها، كما جاء في فضحه لأولئك المتبعين للكتاب الغربيين والمستشرقين في تأريخ السيرة النبوية، فقال: ((كما غاب عنهم أن الدين الصالح في ذاته لا يحتاج في عصر ما إلى مصلح يتدارك شأنه، أو إصلاح يغير من جوهره، غاب عن هؤلاء الناس هذا كله، مع أن إدراكهم له كان من أبسط مقتضيات العلم؛ لو كانوا يتمتعون بحقيقته وينسجمون مع منطقيته، لكن أعينهم عشيت في غمرة انبهارها بالنهضة الأوربية الحديثة))[77]. فيقدر الجزاء بما ذكر قبل الأداة.

ومن تناوب (لو) دلالتها على التمنّي؛ فلا تنتظر لها جوابا وجزاء، من ذلك ما جاء في تعليق الإمام البوطي على المحدّثين والمعاصرين من مدوني السيرة النبوية كهيكل في كتابه: (حياة محمد)، فقد انتقد اتجاهَه في تأريخه، خاصة في باب معجزات النبي ﷺ، فيقول: «فلا خوارق ولا معجزات في حياته عليه الصلاة والسلام؛ إنما هو القرآن...وانبرى الشيخ المراغي- شيخ الأزهر إذ ذاك- يقرظ الكتاب، ويبارك الخطوة الرائدة، وانطلق محمد فريد وجدي هو الآخر ينشر سلسلة مقالاته، داعيا فيها إلى فهم الإسلام والسيرة النبوية عن طريق العلم، **ولو** اقتضى ذلك الإعراض عن الخبر الصادق الذي ثبت في الكتاب أو السنة))[78]. فلو هنا تداولها -حسب السياق والمقام- للأمر البعيد الوقوع والحصول، وهي تفقد شرطيتها إذا كانت للتمني، كما في النص السابق، ومن استعمالها وتداولها تأرجح دلالتها بين الامتناع والتمنّي والزيادة، من ذلك قوله: ((إذ ينصر خالق القوى والقدر عباده المؤمنين به الملتزمين بمنهَجه، ويحقق لهم الفوز على من يشاء؛ بل الحيرة كل الحيرة كانت تقع لو أن الله التزم النصر لرسوله، والتأييد لعباده المؤمنين، ثم لم تقع معجزة ذلك النصر والتأييد))[79]؛ فيجوز كونها شرطية امتناعية، ويقدَّر جزاؤها قبلها، وتقديره -مثلا-: (لحصلت الحيرة ووقع الشك في النفوس المؤمنة...)، ويجوز أن تؤدي مؤدَّى الزيادة والتوكيد؛ فيصبح

---

[76]- فقه السيرة ص: 73.
[77]- فقه السيرة، ص: 36.
[78]- من مقدِّمة الطبعة الثانية لفقه السيرة، ص: 11، 12.
[79]- فقه السيرة ص: 43.

لها تداول ونيابة حصلت من جراء السياق، والتقدير: كانت تقع أن الله التزم النصر ثم لم يحصل النصر، وتحمل معنى التمني الحاصل في نفوس المشكّين وكلامهم، أو هذا لسان حالهم ومناهم: أن الله التزم نصر عباده المؤمنين ثم أخلف– حاشاه ﷻ– وعده، وهذا بعيد كل البعد، ولكن تمنوا ذلك.

لقد كان تواصل البوطي مع مخاطبيه ومستمعيه عن طريق أداة الشرط (لو)، وتمثّل ذلك في تنوُّع دلالتها، فتداولها الكاتب بين شرط وامتناع وتمن، فلو تمعنا ووقفنا للاحظنا تلون هذه الدلالات وتبادلها، حسب حال المخاطبين تنوع استعمال الكاتب.

ومن خروج (لو) عن الامتناع والتعليل، وإلباسها ثوبا دلاليًّا آخر قوله: ((وأنت خبير أن الخوف والرعب ورجفان الجسم وتغير اللون، كل ذلك من الانفعالات القسرية التي لا سبيل إلى اصطناعها والتمثيل بها، حتى لو فرضنا إمكان صدور المخادعة والتمثيل منه عليه الصلاة والسلام، وفرضنا المستحيل من انقلاب طباعه المعروفة قبل البعثة إلى عكس ذلك))[80]. فهنا تحمل معنى التمني ودلالة الأمر المستحيل حصوله، علما بأن هذا التركيب (حتى لو...) لم يرد في نصوص الكتاب إلّا في هذا الموضع، والسبب في رأيي ضعف هذا الأسلوب أو النوع من الجمل. وبما ذكرته واخترته من نصوص وتراكيب أراه كافيا ويعطي ومضة ونافذة على دراسات ومجالات كهذه.

الخاتمة والنتائج:

علينا أن نعلم أن العلوم اللسانية هي الأدب، والتاريخ، والعروض، والنحو، واللغة، والبلاغة، والأخيرة هي زبدة الكلام والخطاب؛ فهي التي ولّدت لنا صورا لسانية متعددة أهمها الأسلوبية والتداولية، وهاتان الصورتان لا تتضحان إلا بالتحليل، فهو ليس استهلاكا للنص المحلل المقتطع، بل التحليل أظهر لنا العلاقة التنظيمية والترتيبية داخل النص النثري السردي، الذي تم عليه الإجراء والتطبيق، كما أنه بالتحليل تبين أن النص ومنتجه هما مادتان من مواد التحليل الفعلي للنصوص عامة، ولأشكال الخطاب المختلفة ومنها الخطاب السردي ؛ وهذا يبثّ الروح في قواعد العربية، فيخرجها من التقعيد والمعيار

[80]- فقه السيرة ص: 99.

الجامدين إلى الحركة؛ أي مقاربة مفهوم اللغة والكلام، وسردا لما خلصت إليه واستنتجته أقول:

- النص السردي هنا يهدف إلى الإقناع بعالمية الرسالة المحمدية وشموليتها، ويهدف إلى التأثير في القارئ غير المسلم قبل المسلم؛ في أن يسلك ويتبع هذا النهج القويم.
- هناك حلقات تواصل ونقاط تجمع بين أنواع النصوص الأخرى، فالنص السردي في كتاب (فقه السيرة النبوية) نموذج حيٌّ دالٌّ على تعلقه وارتباطه بالنص الحجاجي في أهم هدف من أهداف النص الحجاجي؛ ألا وهو الإقناع والتأثير، وهو ما قد يكون محل بحث مستقبلي.

- في الخطاب السردي نلحظ أن منتج النص، والذي يمثّله البوطي له إرادة صادقة في إيصال فكرته، وله تسلسل منطقي في سرد حكايته، معينه في ذلك إلمامه وإحاطته بالجانب النظري النحوي، وفي مقدمته أسلوب الشرط.
- برز في نصوص الكتاب الجانب التداولي، فتعدى ظاهر النص وسطحه، وولج إلى إشاريته.
- السرد وأسسه فيما وقفنا عليه من نصوص الكتاب لم تتعارض مع أصول وأسس النحو النظري.
- إن النص السردي لدى البوطي هو نص موجَّه، وليس لمجرد السرد والقص والحكايات.

- أوقفتنا قراءة الكتاب ذلك على اطّراد أسلوب الشرط، وكثرة استعمال أدوات الشرط غير الجازمة كـ(أما) و(إذا)؛ فهما من أكثر الأدوات المستعملة في النص السردي.
- ندرة استعمال أداة الشرط (لولا) في نصوص الكتاب.
- اندثرت تراكيب وجمل لدى البوطي؛ بضعفها اللغوي، وسبكها ونسجها المهلهل.

المصادر والمراجع:

- ارتشاف الضرب من لسان العرب، محمد بن يوسف بن علي، أبو حيان الأندلسي ت 745 هـ، تحقيق: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، طبع ونشر: مكتبة الخانجي– القاهرة، الطبعة الأولى، 1418 هـ – 1998 م.
- الأسلوب، أحمد الشايب، طبع ونشر: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية عشرة، 2003م.
- الأسلوبية (الرؤية والتطبيق)، يوسف مسلم أبو العدوس، طبع ونشر: دار المسيرة – عمان: الأردن، الطبعة الثالثة، 1434 هـ– 2013 م.
- الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، مناهج جامعة المدينة العالمية، طبع ونشر: جامعة المدينة العالمية– كوالالمبور: ماليزيا، نسخة إلكترونية ضمن محتويات المكتبة الشاملة.
- أفعال الكلام في رواية "الأسود يليق بك"، سناء صحراوي، رسالة ماجستير، 1436 هـ– 2014 م، قسم اللغة العربية بكلية الآداب، جامعة حمه لخضر – الجزائر.
- أمالي ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر، ابن الحاجب المالكي ت 646 هـ، دراسة وتحقيق: فخر صالح سليمان قدارة، طبع ونشر: دار عمار – الأردن، ودار الجيل – بيروت، 1409 هـ – 1989 م.
- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، طبع ونشر: الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان، القاهرة، الطبعة الأولى، 1996م.
- التحليل التداولي للخطاب الشعري. روميات أبي فراس الحمداني أنموذجا، عمار لعويجي، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد بوضياف– الجزائر، 2016 م.
- التحليل النصي، رولان بارت، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي، طبع ونشر: دار التكوين– دمشق، 2009 م.
- التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، طبع ونشر: دار الطليعة– بيروت، الطبعة الأولى، يوليو 2005 م.
- جريدة الثورة في سورية عدد (245)، تاريخ النشر: 16/ آذار=مارس / 1997 م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي ت 749هـ، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، طبع ونشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1413 هـ – 1992 م.

- حروف المعاني والصفات، عبد الرحمن بن إسحاق أبو القاسم البغدادي الزجاجي ت 337هـ،
- الخصائص، عثمان بن جني أبو الفتح الموصلي ت 392هـ، طبع ونشر: عالم الكتب – بيروت، تحقيق: محمد علي النجار.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني ت 769هـ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبع ونشر: دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، 1400 هـ - 1980 م.
- شرح الآجرومية في علم العربية، علي بن عبد الله السنهوري، تحقيق: محمد شرف، طبع ونشر: دار السلام– القاهرة، الطبعة الأولى، 1427هـ– 2006 م.
- شرح تسهيل الفوائد، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني ت 672 هـ، المحقق: عبد الرحمن السيد، و محمد بدوي المختون، طبع ونشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1410هـ - 1990م.
- شرح قطر الندى وبل الصدى، عبد الله بن يوسف بن أحمد، ابن هشام الأنصاري ت 761هـ، المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد، الطبعة الحادية عشرة، 1383 هـ.
- العدة في إعراب العمدة، بدر الدين عبد الله بن محمد بن فرحون الجبائي المدني ت 769 هـ، تحقيق: مكتب الهدي لتحقيق التراث (أبو عبد الرحمن عادل بن سعد)، طبع ونشر: دار الإمام البخاري – الدوحة.
- علم لغة النص، سعيد بحيري، طبع ونشر: مؤسسة المختار–القاهرة، الطبعة الأولى، 1424هـ– 2004 م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبع ونشر: دار الجيل– بيروت، الطبعة الرابعة، 1972م.
- العين، الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي ت 170هـ، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، طبع ونشر: دار ومكتبة الهلال.
- غريب الحديث، القاسم بن سلام الهروي، أبو عبيد، المحقق: حسين محمد شرف، ومراجعة: عبد السلام هارون ، طبع ونشر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية– القاهرة، الطبعة الأولى، 1404 هـ - 1984 م.
- فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محمد سعيد رمضان البوطي ت 1434 هـ، طبع ونشر: دار الفكر– دمشق، الطبعة الثامنة والعشرون، 1430 هـ– 1991م.

- فن الوصف في الشعر الجاهلي، علي الخطيب، الدار المصرية اللبنانية–القاهرة، الطبعة الأولى، 1424هـ – 2004 م.
- في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بو جادي، طبع ونشر: بيت الحكمة– الجزائر، 2009 م.
- القصة العربية..عصر الإبداع "دراسة للسرد القصصي في القرن الرابع الهجري"، ناصر الموافي، طبع ونشر: دار النشر للجامعات– القاهرة، الطبعة الثالثة، 1417هـ – 1997م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري ت 538 هـ، طبع ونشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، ابن منظور ت 711هـ، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، طبع ونشر: دار المعارف.
- لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ت 465هـ، المحقق: إبراهيم البسيوني، طبع ونشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة، الطبعة الثالثة.
- اللغة والتواصل، اقترابات لسانية للتواصليين الشفهي والكتابي، عبد الجليل مرتاض، دار هومة– الجزائر.
- مبادئ تحليل النصوص الأدبية، بسام بركة، ماثيو قويدر، هاشم الأيوبي، طبع ونشر: الشركة المصرية العالمية للنشر(لونجمان)– القاهرة، الطبعة الأولى، 2002 م.
- مجلة اللسان المبين، يصدرها ويشرف عليها قسم اللغة العربية بكلية الآداب. جامعة طرابلس، ليبيا، العدد الثالث عشر، 2018م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (بحاشية الأمير)، لابن هشام الأنصاري ت 761هـ، طبع ونشر: دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي– القاهرة.
- المفصل في صنعة الإعراب، محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري ت 538هـ، المحقق: علي بو ملحم، طبع ونشر: مكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى، 1993م.
- المقال الوصفي (دراسة في ضوء نظرية الخطاب)، خيرية يحيى، طبع ونشر: جامعة عين شمس– القاهرة، 2004 م.
- المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي المبرد ت 285 هـ، المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة، طبع ونشر: عالم الكتب – بيروت.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني ت 684 هـ، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، طبع ونشر: دار الغرب الإسلامي– بيروت، الطبعة الثالثة، 1986م.

- موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني ت 179هـ، تحقيق: بشار عواد معروف، ومحمود خليل، طبع ونشر: مؤسسة الرسالة، 1412 هـ.
- النحو الوافي، عباس حسن ت 1398هـ، طبع ونشر: دار المعارف–القاهرة، الطبعة الخامسة عشرة.
- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة وتعليق: تمام حسان، طبع ونشر: عالم الكتب– القاهرة، الطبعة الأولى، 1418هـ– 1998م.
- النص والخطاب والاتصال، محمد السيد العبد، طبع ونشر: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي– القاهرة، الطبعة الأولى، 1426هـ – 2005 م.
- نقد النثر، قدامة بن جعفر، دار الكتب العلمية– بيروت، 1402هـ – 1982م.

واقع السياحة التاريخية والثقافية

فـــــي ليبـــــيا

د. إسماعيل مصباح حمزة
كلية الآداب / جامعة طرابلس

د. إبراهيم سالم إنويجي
كلية الآثار والسياحة/ جامعة المرقب

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة الى إبراز واقع وأهمية السياحة التاريخية وسياحة الآثار التي اصبحت في السنوات الأخيرة تمثل جانباً بارزاً من اهتمامات معظم دول العالم من أجل جذب أكبر عدد ممكن من السياح، وأصبحت صناعة السياحة من أكبر الصناعات في العالم، حيث تعكس السياحة مدى التقدم الحضاري والتقافي لجميع الشعوب كونها نشاط إنساني حركي لها أبعادها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والسياحة التاريخية والثقافية هي صناعة خدمات ولكنها تجمع في مظلتها الكثير من الصناعات مثل صناعة النقل والفنادق والإعلام والمصارف والتأمين.

وتوصلت الدراسة الى النتائج التالية:

- مدى أهمية المدن التاريخية القديمة لتنشيط قطاع السياحة في ليبيا.
- الأهتمام باقامة المهرجانات السنوية على مسارح المدن التاريخية.
- الأهتمام بالاعلام السياحي لترويج السياحة التاريخية وسياحة الآثار.

مقدمة:

كانت ليبيا من دول العالم التي خاضت تجارب عديدة من أجل التنمية السياحية التريخية وسياحة نظراً لما تزخر به من حضارات تاريخية متعاقبة ، هذه التجارب في مجملها تحتاج إلى مزيد من الدراسات والمؤتمرات والندوات إذ أن إمكانيات الجدب السياحي

ليست فقط هي الكفيلة بالتنمية السياحية، ولكن استخدام آليات التقدم التقني هو الكفيل بتنمية القطاع السياحي في ليبيا .

سوف نستعرض في هذه الدراسة أهمية الحفاظ على البيئة عند التخطيط للتنمية السياحية والحفاظ على المدن الآثرية والتاريخية من أجل تحقيق الأهداف المرجوة منها وهي:

1- إدراك أهمية صيانة المدن الآثرية والتاريخية والمحافظة عليها وتسخيرها في التنمية السياحية المتواصلة.

2- الاستفادة من السياحة البيئية وتفهم الأخطار من وراء هذا النوع من السياحة.

3- كيفية المحافظة على المعالم السياحية والمنا طق الثقافية والتاريخية .

أهمية البحث:

تشجيع صيانة التراث التاريخي والثقافي والآثري والمنتزهات القومية والحفاظ علىوالمناطق الآثرية والترويحية، ومناطق الجذب السياحي .

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في تسليط الضوء على مشكلة التأثير البيئي على المناطق التاريخية والثقافية والسياحية في ليبيا، وما هي الإجراءات التي يجب أن تتخذ للمحافظة على المعالم والمدن السياحية القديمة؟

منهجية الدراسة:

سوف يتم في هذه الدراسة إتباع المنهج الوصفي والإعتماد على البيانات والإحصائيات من المصادر والمراجع والدوريات والأبحاث العلمية المنشورة.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من البحوث والدراسات السابقة التي تمكنت من الإطلاع عليها ومن بينها:

دراسة "**المركـز**" حول النشاط السياحي بمدينة طرابلس حيث توصل فيها إلى مجموعة من النتائج التي من بينها: أن مدينة طرابلس تتميز بموقع جغرافي على ساحل البحر المتوسط مما يجعلها قريبة من نطاقات الطلب السياحي في العالم ، و المتمثلة في الدول الأوروبية، بالإضافة إلى أن النشاط السيا حي بالمدينة يعاني من انخفاض في مستوى الكفاءات المهنية لدى العاملين بقطاع السياحة وقلة الاهتمام بالمواقع الأثرية ونقص المرشدين السياحيين وكثرة المشاكل والصعوبات التي تعاني منها المنشآت السياحية بالمدينة[1].

كما أجرى "**قصودة**" في دراسته على المناطق الثلاثة صبراته غدامس وتوصل إلى عدد من النتائج من أهمها عدم تنمية مناطق الجذب السياحي، وترميم العيون، والاهتمام بالآثار التاريخية ،وعدم الاهتمام بإقامة دورات تدريبية خاصة بالمرشدين السياحيين، وقلة إقامة وتطوير أماكن الإقامة وإعداد الأطعمة الخاصة بالسائح[2].

وتكلم "**سعادة**" في كتابه التربية السياحية حيث قال : (التوصل إلى التنمية المرجوة لصناعة السياحة وتنشيطها ودعم مقوماتها ورفع مستوى الخدمة اللازمة لوفود الزوار في كافة المجالات ، وينبغي الاعتناء بالخدمات السياحية وعوامل الجذب السياحي وتعدد تلك الخدمات والعوامل فمنها ما يتعلق بالإنتاج البشري ومنها ما يتعلق ويتصل بالمصادر التاريخية ،ومنها ما يتصل بالطبيعة)[3].

وقدمت الباحثة " فتحية **العمامي**" بدراسة التخطيط السياحي بليبيا فكتبت حول المقومات البشرية للسياحة بليبيا والآثار التاريخية والثقافية وآثار المعالم السياحية للحضارات التي مرت بليبيا كآثار لبدة وصبراته وطرابلس وتكلمت عن البنية التحتية والنقل ومراكز الإيواء والخدمات والمرافق العامة والخدمات الطبية، وخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية والمعوقات السياحية، وتوصلت فيها إلى مجموعة من النتائج التي من بينها أن ليبيا تزخر بالإمكانيات السياحية التي تمكن المستثمرون الأجانب من إقامة المشاريع السياحية وذلك

---

(1) عبد السلام ميلاد صالح المركز، مقومات النشاط السياحي بمنطقة طرابلس دراسة في جغرافية السياحة، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافية،كلية الآداب، جامعة المرقب 2002ف.

(2) محمد عبد الله عياد قصودة، مقومات البيئة السياحية وأفضلية المكان لمدن صبراته ويفرن وغدامس بالطرف الشمالي الغربي من الجماهيرية – أطروحة الدكتوراه ،قسم الجغرافيا، جامعة الفاتح سابقاً 2004.

(3) يوسف جعفر سعادة، التربية السياحية، دار الكتاب الحديث، 2000ف.

نتيجة لقربها من الدول الأوروبية وعدم وجود عوائق طبيعية تعمل على تدهور النشاط السياحي فيها[1].

وقدمت "" **خديجة ضو**" دراسة بعنوان النشاط السياحي بمدينة غدامس وحاولت من خلالها إبراز ملامح النشاط السياحي لمدينة غدامس وذلك بهدف الوقوف على الصور التي تميز هذا النشاط بالمدينة بعد أن أخذت مجالات السياحة بالمدينة تتسع نتيجة لوجود عناصر الجذب السياحي الطبيعية والبشرية، وخرجت هذه الدراسة بنتائج من بينها أن التوطن بالمنشآت السياحية لم يأخذ بشكل محدود في كل النطاقات السياحية بل اتضح اختلاف نمط التوزيع المكاني من نطاق سياحي إلى أخر[2].

وقدم "**محمد بالأشهب** " كتاب بعنوان السياحة صناعة العصر واستعرض فيها السياحة في العصر الحديث بليبيا والمعالم الأثرية في كل من مدينة صبراته ومدينة جرمه ومدينة لبدة ومدينة طرابلس و أصوار مدينة طرابلس القديمة، وتوصل فيه إلى مجموعة من النتائج من بينها: أن ليبيا تتميز بموقع جغرافي متميز وغناها بالمعالم الأثرية والسياحية المنتشرة فيها[3].

وبالرغم من وجود العديد من المراجع المختلفة التي تتناول موضوع الآثاروالسياحة من الجوانب المختلفة، إلا أن الباحث اختار هذه المراجع كأمثلة,

تقسيمات الدراسة :

سيكون منهج الدراسة متضمناً ثلاثة مباحث، يتناول المبحث الأول التأثير البيئي على المعالم التاريخية ، ويتناول المبحث الثاتي حماية السياح والمعالم التاريخية والآثرية ويتناول المبحث الثالث التراث التاريخي والثقافي.

المبحث الأول : التأثير البيئي على المعالم التاريخية

تتمثل السياحة المستدامة في عمليات تنمية القطاع السياحي والتاريخي والثقافي بصورة تلبي حاجة السياح والمناطق السياحية، وفي الوقت نفسه تحمي وتعزز مستقبل نمو قطاع

(1) فتحية مفتاح العمامي، التخطيط السياحي في ليبيا، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافية،كلية الآداب، جامعة قار يونس،بنغازى، 2005ف.

(2) خديجة عبد السلام ضو، النشاط السياحي بمدينة غدامس، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ،قسم الجغرافية ،جامعة قار يونس، بنغازى، 2001 ف.

(3) محمد بالأشهب، السياحة صناعة العصر، دار الأنيس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1998ف.

السياحة والآثار ، ويرى الخولى أن خطط البيئة وحماية التنوع البيولوجي هو مايمثل الإدارة السليمة لقطاع السياحة والآثا ر الكفيلة بتحقيق الأهداف المتوخاة منه، ومن كل نشاط اقتصادي يخفف الآثار السلبية على البيئة إلى حدودها الدنيا، وتتمثل الخطوة الأولى للتنمية السياحية المستدامة في تعزيز الصناعات لدى المجتمعات لاستبدال السياحة التقليدية بأنماط سياحية متوافقة مع البيئة.[1]

خلف النمو السريع لسياحة المناطق التاريخية والآثرية والثقافية في القرن العشرين – لاسيما في النصف الثاني منه العديد من المزايا والمشكلات على مقياس واسع بالنسبة للمجتمعات ، ولم تعد هذه المجتمعات تهتم بالسياحة من اجل العائد الاقتصادي ، ولكن بمشكلاتها الخطيرة على المدى الطويل ، تلك التي ينبغي أن تواجه التخطيط الجيد.

ويشير تاريخ السياحة إلى أن البيئة هي التي أدت إلى ميلاد وتطور السياحة ، فالمناخ والمشاهد الطبيعية والملامح الأرضية الفريدة لها أثرها الهام على حركة تدفق السياح . وما تزال أنماط السلوك السياحي حتى الآن تتأثر – إلى حد كبير – بالظروف البيئية من خلال التحكم في اختيار أماكن الاستجمام ومدة الإقامة. كما أن البيئة قد تقدم تقييدا لأنماط التنمية السياحية ، فالأماكن التي تنعدم فيها رغبات الجذب البيئية نادراً ما تختار من أجل التنمية السياحية .

وتختلف العلاقة بين السياحة والبيئة ، إذ أن العلاقة بين مكوناتها تختلف باختلاف الموقع ، كما أن الآثار السلبية تكون بحاجة إلى التوازن مع الآثار الإيجابية ، ويظهر الجانب السلبي للسياحة حينما يقابل الزيادة فيها تدهوراً في البيئة ، كما أن العلاقة بين السياحة والبيئة ليست علاقة تبادلية بالضرورة أما إذا كان الاثنان متوافقين فإن الزيادة في أحدهما تؤدي إلى زيادٍ مماثلة في الأخرى، كذلك تؤثر السياحة على البيئة، وتؤدي إلى تدهورها وخاصة في عمليات استهلاك الموارد الطبيعية وزيادة مصادر التلوث والنفايات الناجمة عن الأنشطة السياحية، لذلك كان من اللازم أن تضع الدولة المستقبلة للسياح سياسة سياحية شاملة، تهدف إلى التقليل من الآثار السلبية للسياحة.[1]

---

[1] سيد فتحي الخولى، "تخطيط وتنمية السياحة المستدامة في الدول العربية"، مجلة جامعة الملك عبد العزيز الاقتصاد والإدارة، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، 2000، ص39.

[1] صلاح الدين عبد الوهاب، السياحة الدولية، مطبعة دار زهران، القاهرة، 1986، ص33

أثر السياحة على المناطق والمدن التاريخية والثقافية :

لعبت البيئة الطبيعية – وما تزال – تلعب الدور الأول في الجذب السياحي ، وإمكانية استغلال هذه الموارد التي لم تكن مستغلة من قبل ، ويتجلى أثرالنشاط السياحي في في صيانة المدن التاريخية والثقافية وهو دور إيجابي ، وفي استعراض الجوانب التأثيرية التالية :

1- أثر السياحة على البيئة الطبيعية :

تعد المدن التاريخية التي تقع على السواحل مطلباً هاماً من مطالب السياح ، كما تعد السياحة عاملاً مميزاً أضيف إلى أهمية البيئة الساحلية ومواردها ، ولكن معظم الآثار الناجمة – هنا – سلبية لعدم وجود التخطيط الكافي ، وتتمثل هذه الآثار في طمس المعالم التضاريسية والنباتية والحيوانية ، أو تلوث البيئة الساحلية .

تتميز الشواطئ الليبية برصيف من الصخور النارية ليس عميقاً في أجزاء كثيرة منه، حيث يلاحظ بأن خط عمق 100م يبعد إلى حوالي 20كم في خليج سرت وأغلب السواحل الغربية[3] كما يلاحظ على خط الساحل الليبي استقامته في أغلب الأحيان فيما عدا بعض الأماكن التي يتداخل فيها البحر على شكل خلجان صغيرة عند مصبات الأودية الجافة، أو عندما تتعمق بعض الألسنة الصخرية أو الرؤوس في داخل البحر كما هو الحال في رأس عامر، ورأس لانوف، ورأس المسن[1]، وتعتبرالمدن التاريخية التي تقع على الشواطئ البحرية الليبية ذات أهمية خاصة في جذب السياحة الداخلية والدولية.

2- أثر السياحة على البيئة الجبلية :

يبدو أثر السياحة متعدداً في المناطق السياحية التاريخية الجبلية ، فمد الطرق وأنماط التصريف والمنتجعات والمدن التاريخية والثقافية الجبلية ، تؤثر تأثيراً مباشراً على هذه البيئة ، فقد أسهمت جميعها في خلق موارد جديدة للسكان ، وجاء ذلك في وقت بدأت فيه هذه الأماكن في التعرض للنقص السكاني ، لأنها كانت عاجزة عن أن تقدم لهم المورد الكافي أو تهيئ لهم حياة مستقرة ، فعملية جمع الصخور والمعادن والحفريات على يد السياح

جامعي التذكارات أثناء زيارة هذه المناطق ، فضلاً عن الاستهلاك باستخدامWear and Tear الناتج عن العدد الضخم من السياح ، كل ذلك يمثل عوامل مؤثرة في البناء الصخري .

وفي الدول المتقدمة نجد كثيراً من التدمير للبيئة التاريخية والثقافية الجبلية قد استتبع السياحة الشتوية ، فمنتجعات التزلج على الجليد وبالرغم من قيامها في مناطق خالية وأراض صعب ة ، فضلاً عن قيامها فوق خط البناء الدائم للمستوطنات العادية ، إلا أن عملية إنشائها تطلبت مد شبكات للطرق وتسهيلات للضيافة ، وممرات ومصاعد للتزلج . وقد أدى ذلك إلى اضطراب الحياة البرية الجبلية ، بل وتدميرها أحياناً ، كما أدى إلى تعرية المنحدرات وإزالة الحياة النباتية ، ويزداد الأثر كلما زاد انحدار الممرات ، وشهدت التربة تلوثاً بالمواد السامة (كأول أكسيد الكربون والرصاص) وذلك نتيجة لسير المركبات عند سرعات بطيئة فضلاً عن الارتفاع . وفي جبال الروكي ، سجلت نسب للتلوث في فايل Vail وأسبن Aspen ، تفوق عشر مرات ما سجل في دينفرDenver عند حافة السهول العظمى.

وبالإضافة إلى ما سبق ، فإن منتجعات التزلج بطرقها وفنادقها ، ومصاعدها ، وعرباتها ، وخطوط الطاقة ، كلها ، تمثل تطفلاً مرئياً على البيئة الجبلية ، كما أن التدمير الذي تحدثه السياحة الشتوية يقلل من عوامل الجذب للسياحة الصيفية التالية مباشرة .

3- أثر السياحة على الحياة البرية :

توجت السياحة على أنها صناعة يمكن تحديدها، وأنها المفضلة على جميع الصناعات، ولكن يمكن أن يتولد عنها صور من الفشل على البيئة مالم يخطط لها وتدار بعناية فائقة[1] ، عملت السياحة على حماية البيئة البرية ، فإقامة المنتزهات القومية تمثل نموذجاً لحماية السياحة للبيئة البرية ، ففي أفريقيا –أدى قيام المنتزهات وما تمثله من موارد سياحية ، إلى مثل هذه الحماية . وفي الفترة من 1960 إلى 1980 أقيمت الحدائق المفتوحة في نطاق السافانا الأفريقية ، مما جعل السياحة وسيلة للتنمية الاقتصادية ، كما ساعدت على حماية البيئة ، فأكثر من 207200 كم2 تشغلها الآن الحدائق في شرق وجنوب القارة ،

[1] روبرت ماكنتوش، وآخرون، بانوراما الحياة السياحية، ترجمة علمية ، محمد شحاتة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002 ، ص452.

وهي تعد واحدة من المحميات الطبيعية الكبرى في العالم ، فحديقة سيرنجيتي Serengeti (كينيا) ، تبلغ مساحتها 15540 كم2 وتعتبر موطناً لنحو مليون من الحيوانات البرية ، وبها نحو 30 نوعاً من الحيوانات العشبية – على الأقل – ونحو 12 نوعاً من الحيوانات المفترسة ، كما أن منتزه بحيرة مانيانا القومي Manyana (تنزانيا) ، الذي يقع عند أقدام الأخدود الأفريقي العظيم ، معروف باحتوائه على البقر الوحشي ، وقد ساعدت السياحة على حماية هذا النوع من الحيوانات ، فضلاً عن جعلها أحد عوامل الجذب سواء للسياحة الداخلية أو الخارجية [1].

وفي مقابل ما تقدمه السياحة من حماية للبيئة البرية يقف على الجانب الآخر الأثر السلبي ، ويأتي الأثر السلبي مباشراً وغير مباشر ، أما عن الأثر المباشر فيتمثل في قدرة الحياة البرية على الصمود أمام تيار السياح ، وتختلف هذه المقدرة من مكان إلى أخر ، فالحياة البرية في بتسوانا يمكن أن تحتمل عدداً كبيراً من السياح دون أن يحدث ذلك أثراً سلبياً . إلا أنه في أماكن أخرى أصبحت هذه الحركة كثيفة بالدرجة التي تثير الاضطراب في البيئة ، ومن أمثلة ذلك الخلل الحادث في النظام الغذائي والتكاثر للحياة البرية في جزر جلايا جوس Galapagos – أرخبيل منعزل يبعد عن ساحل الإكوادور بنحو 600 ميل في المحيط الهادي – فقد أدى تزاحم السياح إلى هجرة الطيور لأعشابها وإلى زيادة معدلات وفياتها ، كما ساعد مد الطرق والمدقات خلال مناطق الغداء والتكاثر إلى إجبار الحياة البرية على الرحيل ، ولكن نتيجة لأهمية هذه الجزر بالنسبة للأبحاث العلمية والحاجة إلى حمايتها ، فقد لجأت الإكوادور إلى تقييد السياحة إليها من أجل حماية البيئة البرية[2].

أما عن الآثار غير المباشرة ، فتتمثل في إقامة المنتزهات القومية وما أدت إليه من تكاثر أنواع معينة من الحيوانات ، إذ تشير الدراسات الحديثة إلى أن عدد الحيوانات البرية في المنتزهات الأفريقية القومية قد زاد زيادة هائلة مما أدى إلى التزاحم الشديد ، الأمر الذي سيترتب عليه عملية التوازن البيئي ، وهذه إما أن تأتي عن طريق الصراع على الغداء مما سيترك أثره على الحيوانات الضعيفة ، أو عن طريق الهجرات الكثيفة إلى بيئات بديلة .

---

[2] نفس المرجع ، ص 455.

[1] هـ. روبنسون، جغرافية السياحة، ترجمة محبات إمام ا، دار المعارف، القاهرة، 1985، ص200.

ومن الآثار غير المباشرة ، أن التوسع في السياحة قد يؤدي إلى تغييرات لمواطن الحياة البرية ، فعملية إلقاء القمامة حول مواضع المعسكرات والتخييم ، فضلاً عن أماكن النفايات في المنتزهات القومية تجتذب الحيوانات إليها ، وهذا لن يؤدي إلى تغييرات في الموطن ، بل وإلى اضطرابات في أنماط الغذاء .

4- أثر السياحة على الغلاف الجوي للمناطق والمدن التاريخية والثقافية :

ومن الدراسات التي تمت في مجال تلوث هواء المنتجعات والمدن التاريخية ما تم على يد كل من كيرك باترك وريسر Kirkpatrick & Resser في منتجعي أسبن Aspen وفال في كلورادو ، إذ انتهيا إلى أن الملامح الجبلية هناك قد حالت دون انتشار تلوث الهواء بشكل كبير ، بالمقارنة بدنفر في سهل كلورادو ، وإن كانا قد لاحظا أن عوادم العربات قد وجدت مرتفعة في المناطق المرتفعة نتيجة لأثر الارتفاع وسرعات السير البطيئة للمركبات ، فضلاً عن الإنبعاثات الحرارية وغيرها نتيجة للاستخدام كبير المقياس لأماكن التدفئة المفتوحة.

أثر سلوك السياح على المعالم التاريخية والثقافية :

لقد أصبح تلوث البيئة والمحافظة على المدن الآثرية والثقافية والتاريخية قضية هامة في ليبيا، لما تلعبه هذه المدن من دور فعال في تنشيط الحركة السياحية، وأهم الجهود في الحفاظ على البيئة السياحية، وذلك على النحو التالي:-

1. **الهواء وحمايته من التلوث:-**

يعتبر التصنيع ووسائل التكنولوجيا الحديثة من العناصر الهامة المسببة لتلوث البيئة في ليبيا، وإذا استعرضنا مدى مايسببه التصنيع من التلوث فالأمثلة كثيرة ومتعددة ومنها مايدخل في مسؤولية الدولة ومنها مايدخل في مسؤولية الأفراد وعلى سبيل المثال:-

أ. وسائل النقل خاصة في المدن الكبيرة وما تسببه من تلوث للهواء.

2. **المصانع التي تقام بالقرب من المدن التاريخية والثقافية** .

ولحماية الهواء من التلوث ألزمت السلطات الليبية المصانع بالتقيد بإتباع وسائل منع التلوث، وتشجيع استخدام غاز الميثان في تسيير السيارات.

3. **تلوث مياه البحر:**

أصبحت مشكلة تلوث البحر المتوسط من المشاكل الهامة بليبيا حيث تبدو ظاهرة التلوث منتشرة في جميع المناطق المطلة على البحر ومن أهم هذه المناطق المدن الآثرية والتاريخية ، وقد قامت السلطات بعدة إجراءات منها عدم تصريف مياه الصرف الصحي في البحر بالقرب من هذه المناطق كما ألزمت المصانع بعدم إلقاء نفاياتها في مياه البحر، بالإضافة إلى اختيار الشواطئ المفتوحة لتيارات الهواء لأن الرياح من أحسن الوسائل الطبيعية في عملية التطهير، لذلك فإن المياه الراكدة أكثر تعرضاً للتلوث.

4. حماية مظاهر الجمال والحفاظ على الحياة النباتية والحيوانية:

دعت ليبيا منذ فترة لأهمية المحافظة على البيئة ومكوناتها الطبيعية والجيولوجية والحفاظ على الأرض والنبات والحيوان خاصةً تلك الآخذة في الانقراض والساحات الخضراء فأصدرت قوانين أنشأت بموجبها مايسمى بالمنتزهات الوطنية وذلك بحماية مظاهر الجمال الطبيعية والعمل على تحسين وتجميل المناطق بالنسبة للطرق والشوارع والميادين والشواطئ والحدائق العامة، وتحسين وسائط المواصلات والعناية بالمرافق الصحية ومراقبة الأغذية والمشروبات بالإضافة إلى النواحي الدعائية عملاً على جذب السياح لزيارة المدن التاريخية مثل لبدة وصبراتة وطرابلس القديمة والمدن القديمة المنتشرة في ربوع ليبيا وعدم المساس بالطابع القديم للمدينة التاريخية الذي يتميز بقدمه وكثرة أثاره.

وأصبحت عمليات انقاد التراث الحضاري القومي في ايطاليا تقع على عاتق هيئات مشتركة تتعاون فيما بينها على حماية وتطوير كافة الدعامات البيئية التي تضع المعاني السياحية للبلد بحيث لاتوثر على جوهرها.

وتساهم الدولة عن طريق السياحة الوطنية في مشروعات التنمية الأساسية وتوفير كافة المرافق بما يتناسب وحجم التنمية المراد في الموقع أو المنطقة أو الإقليم.

كما تولي الدولة اهتماماً خاصاً بالسياحة الداخلية كدعامة للسياحة الخارجية، تتجه في ذلك إلى تنمية بعض الأماكن سياحياً لصالح التنمية الاقتصادية ورفع مستوى المعيشة لمواطنيها.

يجب أن يتم التركيز على وقت الهدر البيئي من خلال استخدام أنشطة سياحية لاينتج عنها استنزاف وتلويث للموارد البيئية والمحيط الحيوي وبالتالي نحافظ على ماهو قائم وموجود. فالنشاط السياحي غير المخطط في الشواطئ والغابات والمناطق الأثرية والمدن التاريخية القديمة أحدث العديد من التلف لعدم وجود ضوابط دقيقة خاصةً فيما يتعلق بانتشار القمامة في العديد من المناطق، وزيادة تلوث مياه البحر نتيجة عملية التخلص من المجاري، ويجب أيضاً المحافظة على الأماكن ذات الطبيعة الهشة وعدم إدراجها من ضمن مسارات السياحة واقتصارها على المجموعات العلمية فقط، ويجب أيضاً معالجة النفايات من المناطق السياحية خاصةً ذات الجذب السياحي الجبال والمدن الأثرية والشواطئ وحصر وتسجيل المدن التاريخية والثقافية في منظمة اليونيسكو، والحفاظ على الغطاء النباتي وحماية الحياة البرية وعمل محميات طبيعية محلها، وتفعيل قانون حماية الآثار، ونشر اللوحات الإرشادية باللفات الحية في المواقع السياحية لنشر الوعي السياحي، وإعادة توظيف الحصون والقلاع المهجورة في النشاط السياحي، وعدم السماح للسياح للتجوال داخل المناطق الأثرية دون مراقبة من الجهات المختصة.

حماية التراث التاريخي والثقافي:

تكمن حماية التراث التاريخي والثقافي في الاجراءات التالية :

1. حماية المعالم الأثرية و التاريخية ، التي تمثل فترات تاريخية وثقافية معينة.
2. حماية وإنعاش الفنون المتمثلة في الموسيقي والرقص والمسرح، والزى التقليدي.
3. حماية الصناعات التقليدية والنهوض بها.

4. تمثل السياحة الخارجية نافذة تطل عليها الشعوب المختلفة مع بعضها البعض، حيث تساهم في توفير الاختلاط المباشر بين السكان المحليين والسائحين مما ينشأ الاحترام وازدياد التعارف المتبادل نتيجة للتبادل الثقافي.

5. تساهم السياحة الداخلية في دمج الأعراق والثقافات المختلفة، والتقليل من الحساسيات المحلية وتعزز الوحدة الوطنية، وإذابة الفوارق الاجتماعية.

تتوزع المدن الأثرية والمعالم السياحية على أرجاء أرض ليبيا تفصل بين كل مدينة وأخرى، وموقع وآخر مسافات شاسعة وخصوصاً في الصحراء الليبية مما يشكل خطورة أمنية على السياح الأجانب لعدم توفر الحماية الأمنية ولهذا أقرت التشريعات الليبية بعض الإجراءات بهدف تأمين وحماية السواح[1]. واهمها ما يلي:

أولاً: تحديد خطوط سير آمنة متفق عليها للرحلات السياحية.

ثانياً: أقرت هذه التشريعات أسلوب المرافق الأمنية للأفواج السياحية لضمان الحماية اللصيقة للسياح وتأمين النجدة والغوث لهم في عمق الصحراء الليبية من خلال آليات واشتراطات يتم الالتزام بها حسب المعمول به عالمياً.

ثالثاً: نصت القوانين والتشريعات على تأمين وحماية الآثار والمدن القديمة والمباني التاريخية وهذا فعلاً ما تقوم به الشرطة

المبحث الثاني حماية السياح والمعالم السياحية التاريخية والأثرية:

بحكم القوانين والتشريعات النافذة تعتبر الجهة المسئولة مباشرة عن حماية السياح هي إدارة الشرطة السياحية وتختص بحماية الآثار والمرافق السياحية والأثرية وحماية ومرافقة الأفواج والوفود السياحية وهناك جهات أمنية أخرى مع الشرطة السياحية ذات علاقة بقدوم السواح ومتابعة العاملين بقطاع السياحة وهي[2]:

- جهاز الأمن الخارجي ويختص بمتابعة ومراقبة السواح أفراداً ومجموعة وأفواج داخل ليبيا بل وحتى قبل قدومهم من خلال السفارات الليبية.

(1) الهيئة العامة للسياحة، التقرير السنوي، طرابلس، 2010م.
(2) الهيئة العامة للسياحة ، التقرير السنوي للشرطة السياحية ،2010 .

– تختص مديريات الأمن العام بتوفير الحماية الظاهرة واللازمة للسياحة والأماكن السياحية والأثريـة التـي يرتادونهـا داخـل منطقـة اختصاصـها المكـاني تسـهيل حركـة تنقـل السياح.

يعتيرمشروع السياحة في أي بلد مشروع وطني تشترك في تسييره وإدارته وتأمينه جميع الجهات الأمنية كل في مجال عمله وكذلك الجهات المدنية التي لها علاقة بصناعة السياحة.

الإجراءات العملية لحماية السياح والمرافق السياحية والأثرية:

هناك العديد من الإجراءات لحماية السواح والمرافق السياحية ونذكر منها ما يلي:

1- أقر مؤتمر الأمن السياحي المنعقد بتونس 2004م بمقر الأمانة العامة لمجلس وزراء الداخلية العرب ما يعرف بالاستراتيجية الأمنية للأمن السياحي العربي وأول بنودها ضرورة إنشاء جهة أمنية تختص بالأمن السياحي وحماية السواح والأنشطة السياحية والمرافق السياحية والأثرية، وهذا ما أقرته القوانين والتشريعات والقرارات في ليبيا منذ القرار رقم 313 لسنة 1992م بشأن إنشاء الشرطة السياحية لحماية المرافق السياحية والأثرية وما تلاه من تشريعات وقرارات[1].

2- تتولى هذه الجهات المختصة الشرطة السياحية بقيد وضبط ملفات وتراخيص الشركات العاملة في الأنشطة السياحية وجلب السواح بغرض متابعتها في التعامل مع السواح.

3- تقوم الشرطة السياحية بناء على الإخطارات التي تقدمها الشركات السياحية بقدوم السواح، تقوم بالإبلاغ الفوري عند دخول وتنقلات وخروج السواح وذلك بإعداد برنامج فني وإداري موثق تحيله فوراً إلى باقي الأجهزة الأمنية ذات العلاقة – وهذا ما تعمل به الشرطة السياحية ويعرف بالتصريح السياحي يحمل رقم إشاري محدد ورقم متسلسل يوضح به خط سير الرحلة السياحية والمناطق ومديريات الأمن التي يمر بها السواح.

4- تكثيف الحراسة الأمنية للمناطق السياحية والأثرية من الشرطة السياحية تعاونها في ذلك باقي الأجهزة الأمنية وعلى الأخص الشرطة المختصة.

(1) المنظمة العالمية للسياحة، التقرير السنوي، 2004م.

5- تتولى إدارة الشرطة السياحية دون غيرها ولمنع التداخل في الاختصاصات التعامل المباشر مع السياح الأجانب والشركات ومكاتب السفر والسياحة وكذلك الهيئة العامة للسياحة ومصلحة الآثار وتوفر الشرطة السياحية المعلومات والوثائق التي تطلبها الأجهزة الأمنية الأخرى دون الإخلال بحق هذه الأجهزة بالتدخل للحصول على معلومات أمنية ذات طبيعة خاصة، وهو المعمول بها فعلياً من قبل إدارة الشرطة السياحية منذ إنشائها.

6- ضرورة إنشاء بوابات خاصة بالسياح في منافذ الدخول والخروج الدولية وإعداد برنامج عمل منظمة لهذه البوابات تسهيلاً لإجراءات دخول السواح حسب نوعية الدخول والمطلوب والتعامل معهم ومع الآليات والأدوات التي يحضرونها معهم بتقنيات خاصة وم تطورة خوفاً من استغلال هذه التسهيلات في تهريب الممنوعات إلى الداخل وتهريب الآثار إلى الخارج.

7- التنسيق مع إدارة الدوريات خصوصاً في الصحراء والمناطق الجبلية والوعرة والبعيدة عن الحماية الأمنية لأجل توفير الغوث الأمني والإنقاذ عند الحاجة، وهذا ما تعمل به الشرطة السياحية في الوقت الحالي بالتعاون مع الإدارة العامة لشئون الأمن.

8- ونظراً للظروف الأمنية والتوتر الذي يسود العالم وما يقترفه الإرهاب الدولي وجب التركيز على حماية السياح وبكل الطرق الممكنة وإحباط أي محاولة اختراق أمني.

9- الصعوبات التي تعترض عمليات تأمين السياحة:

ترتكز عمليات تأمين السياحة وحماية السياح توفير الحماية للسائح بعد قدومه إلى البلاد ابتداء من التنقل بين المعالم الأثرية والمناطق السياحية أو ما يعرف بالنقل السياحي وهو الحلقة الأضعف والأشد خطورة على أمن السائح سواء كان هذا النقل ساحلي أو صحراوي إضافة إلى ما سبق ذكره من بعد المسافات بين المواقع التي يرتادها السائح وقد تم حل هذه المعضلة بالمرافقة الأمنية وتأمين جانب وسيلة النقل وسائقها وتحديد مسارات وطرق آمنة غير أنه ورغم ما لأسلوب المرافقة من جدوى أمنية وفائدة كبرى فالشركات السياحية لا تتقبل في غالب الأحيان تكاليف المرافق الأمني بحجة أن السواح لا يتقبلون

هذا الإجراء، وهذا التهرب والممانعة للمرافق الأمني لا أساس له من الصحة فالسواح يطمئنون بوجود المرافق الأمني.

الصعوبات التي تعترض عمليات تأمين السياحة:

1- غياب الرادع القانوني والإداري.

2- عدم ثبات المقابل المادي المناسب للمرافقين الأمنيين للسواح.

3- الإهمال في توفير الإمكانيات المادية والبشرية للشرطة السياحية.

إجراءات حماية السياح والمناطق السياحية:

1- تسهيل جميع الإجراءات المتعلقة بحماية السياح.

2- تسهيل منح التأشيرات السياحية من السفارات الليبية أو عند منافذ الدخول بمعرفة الإدارة العامة للجوازات على ضوء طلبات تقدمها الشركات السياحية للإدارة العامة للجوازات.

3- إلزام الشرطة السياحية بقيد وضبط ملفات وتراخيص الشركات العاملة في الأنشطة السياحية لغرض متابعتها في التعامل مع السواح والحصول منها على إخطارات بقدومهم، وتنظيم ومنح تصاريح التجول السياحي للسياح الأفراد والأفواج السياحية القادمة بمعرفتها.

4- التأكيد على الشرطة السياحية بتوفير الحماية للسواح منذ دخولهم للبلاد وطيلة فترة إقامتهم.

العمل على تأمين وحماية السواح فقط يجب أن يتم بالتنسيق مع الهيئة العامة للسياحة بتشكيل لجنة من المختصين من الشرطة السياحية والشركات العاملة بالمجال السياحي لتحديد خطوط سير الرحلات السياحية الصحراوية والساحلية وذلك للوصول إلى المعالم السياحية والأثرية عبر طرق ومسالك آمنة والابتعاد عن المناطق الخطرة.

حماية المناطق الأثرية والسياحية:

1- يجب أن تقوم الإدارة بحماية المواقع الأثرية المغلقة بتثبيت نقاط شرطة كاملة العدد والعدة بالتنسيق مع مصلحة الآثار (المتاحف المدن الأثرية والقديمة والمباني التاريخية) أما المناطق الأثرية المفتوحة فيتم حراستها من قبل المرافقين الأمنيين عند تواجد السياح بها وبدوريات راكبة من الفروع المختصة.

2- الاهتمام بالمواقع السياحية حيث يجب أن تقوم الإدارة بحماية القرى السياحية والمصائف بتثبيت نقاط شرطة بها والتعاون مع مراكز الشرطة الواقعة بدائرة اختصاصها.

3- إلزام الجهات لعمالة في مجال السياحة والآثار بضرورة التنسيق مع إدارة الشرطة السياحية في إقامة المهرجانات والتظاهرات والمعارض السياحية والأثرية والثقافية والتنسيق مع الإدارة لغرض حماية وتأمين هذه المهرجانات والتظاهرات والمعارض.

4- تأمين وحماية السياح أو ما يعرف بالأعمال المساعدة لإكمال تنظيم وإنجاح الرحلات السياحية وتأمينها داخل ليبيا ومن أهمها:

أ- المرافق الإداري (السياحي) وهو مندوب الشركة المسئول عن استقبال السواح من منفذ الدخول بحيث يقوم بتسهيل إجراءات دخولهم ويرافق الفوج طيلة مدة الرحلة ويكون حلقة وصل بين السواح وجميع المتعاملين معهم من الفنادق والمطاعم والمحلات التجارية والتنسيق مع المرشدين السياحيين والخبراء الصحراويين وغيرهم وإلى حين توديع السواح عند منفذ الخروج.

ب- المرشد السياحي (وهو الشخص الذي يتولى الشرح والإرشاد في الأماكن الأثرية والمتاحف والمعارض وغيرها من الأماكن الأثرية والسياحية وذلك بمقابل مادي ويتولى المرشد الـ سياحي أثناء تأدية عمله التعريف بالمواقع الأثرية والسياحية ويجب أن يكون ملماً باللغة العربية وبلغة أجنبية واحدة على الأقل من اللغات الحية.

ج- الخبير الصحراوي: تقتصر مهمته على العمل في الصحراء بأن يقود الأفواج السياحية عبر خطوط السير والمسالك والدروب الصحراوية المؤدية إلى المعالم

السياحية والأثرية ويجب أن يكون على دراية جيدة بالصحراء وسرابها ومتاهاتها وأن يقود الفوج ويحذر السائقين معه بالمناطق الوعرة الخطرة وقد يكون الخبير أحد السائقين بالسيارات التي يتم تأجيرها بمناطق الجنوب للنقل السياحي الصحراوي.

المبحث الثالث التراث التاريخي والثقافي:

لقد بدأت معظم الشعوب المتحضرة خاصة في بداية هذا القرن تهتم بكل ما له علاقة بتراثها وترصد له الأموال في إطار خطط عملية منظمة للحفاظ عليه لذا كان من الضرورة إبراز المعاني الحقيقية للقيمة الفنية والأثرية والثقافية لهذا التراث الفريد والمحافظة عليه فهو تذكرة وعبرة للاقتباس من الماضي وكنوزه ودعوة للاعتزاز بأصالة التاريخ الذي نحيا فيه والذي يتعرض لأنواع خطيرة من التحول وليس القديمة هنا إلا وثاق تحدد الهوية والملكية والأصالة والانتماء وقد يكون من الخطأ محوها دون تدبرها ونقل معانيها ومدلولاته.

أن المحافظة على المدن القديمة أصبح هدفاً لدى كثير من المهتمين حيث تزخر ليبيا بالعديد من المدن القديمة والمدن العربية الإسلامية ذات التخطيط المعماري المميز، حيث تعتبر هذه المدن من أهم الموروثات الثقافية والتاريخية والأثرية في ليبيا، ومن أهم المدن التي تمثل مورداً سياحياً مهماً نذكر ما يلي:

أولاً : المدن الأثرية .مدينة لبدة الأثرية:

تقع مدينة لبدة شرقي مدينة طرابلس بحوالي 120 كم ، وعلى بعد 3 كم من مركز مدينة الخمس.

وتضم المدينة العديد من المعالم السياحية من أهمها[1]:-

* قوس "سبتيموس سيفيروس.* الملعب الرياضي وحمامات هادريان.

* الملاعب.* معبد الحوريات.* شارع الأعمدة.* الميدان الجديد ميدان سيفيروس.* دار العدالة.* الميناء. المنارة.* المجلس البلدي الكوريا.* الميدان القديم.

مسرح لبدة الأثري:

عبارة عن مسرح نصف دائري مازال بحالة جيدة، ويمكن استغلاله في إقامة الحفلات والمهرجانات السنوية على غرار مهرجاني قرطاج بتونس وجرش بالأردن

مدينة صبراتة الأثرية :

تقع هذه المدينة على شاطئ البحر المتوسط، وتبعد عن مدينة طرابلس غرباً حوالي 67 كم، وعن مدينة لبدة الكبرى حوالي 200 كم، ومن المرجح أن هذه المدينة تأسست على يد الفينيقيين أثناء تجارتهم على ساحل البحر المتوسط.

وتضم المدينة العديد من المعالم السياحية من أهمها:

***المسرح الروماني:**

يعتبر من أهم معالم المدينة وأبرزها، تم اكتشافه عام 1926م والمسرح مبني من الحجر الرملي على الطراز الروماني تتصل به قاعة استماعه شبه دائرية تشبه المسرح، تتكون من ثلاث طوابق ويتوسط هذه الطوابق أعمدة مرتفعة وخلف هذه الأعمدة توجد ساحات من الرخام أو الجرانيت الأسود في صناعة الأعمدة[1]

وقاعة المسرح مقسمة إلى ثلاث ممرات عرضية إلى ثلاث مستويات، وعلى جانب المدرجات توجد مداخل من خارج المسرح يمكن الدخول عبرها إلى مدرجات الجلوس[2].

***المجلس البلدي. * حلبة المصارعة.**

مدينة طرابلس القديمة:

تطور اتساع مدينة طرابلس القديمة، وامتد العمران بها إلى مسافات واسعة، خارج أسوار المدينة، التي جاءت على شكل خماسي غير منتظم الأضلاع، مقسم إلى أربع حوامات رئيسية وهي:

* حومة غريان، وتشمل الحارة الكبيرة والحارة الصغيرة.

(1) seibert, j, 1999 Antike statten an Mittelreerhrg, K, Brodersen Davmstadt. P. 814.
(2) Tripoli Tania 2009, Philip knrick, silphinm press, London, pp 63.

1- حومة كوشة الصفار. 2- حومة البلدية. 3- حومة البلدية. 4- حومة باب البحر.

تزخر مدينة طرابلس القديمة بزخم هائل من المراحل التاريخية الهامة، التي امتدت على مدى فصول من الدهر الطويل، منذ تأ سيسها على أيدي الفينيقيين في القرن الثامن قبل الميلاد وإلى هذا العصر، ومن أهم معالمها القديمة:

قوس ماركوس أوريليوس.

المساجد والجوامع:

وتعتبر من أهم المعالم السياحية بمدينة طرابلس القديمة ومن اهمها:

جامع الناقة . جامع الخروبة . مسجد الشيخ الحطاب . مسجد بن طابون .

الحمامات:

تعتبر الحمامات من أهم المعالم السياحية في مدينة طرابلس القديمة حيث يحرص السياح على زيارتها لما تمثله من قيمة تراثية ومن اهمها :

. حمام درغوث. الحمام الكبير . حمام الحلقة .

الفنادق القديمة:

من أهم الفنادق القديمة المنتشرة في مدينة طرابلس والتي تستغل في النشاط السياحي نذكر أهم هذه الفنادق.

. فندق الزهر . فندق الخوجة .. فندق القره مانلي .

الاسواق الشعبية :

يستطيع السائح لمدينة طرابلس أن يقتني الهدايا التذكارية من الأسواق الموجودة في مدينة طرابلس القديمة والتي من أهمها:

سوق المشير. سوق العطارة . سوق الصاغة . سوق الرباع . سوق الحرير.

- **الآثار الاغريقية في ليبيا:**

يوجد أثار إغريقية ورومانية وبيزنطية في اقليم المدن الخمس في شمال شرق ليبيا مثل: قورينا "شحات"، أبولونيا "سوسة"، طلميثه ,"بطوليمايس"، يوهيسبرديس "بنغازي"، وتوكره "العقورية. حيث تعتبر هذه المدن من أهم المدن السياحية في هذا الإقليم .

مدينة غدامس:

تقع مدينة غدامس في أقصي الجنوب الغربي حيث تقع على دائرة عرض 30، 6، 30° شمالاً، وخط طول 4، 9، 10° شرقاً[1]، على ارتفاع حوالي 360 متر تقريباً، بذلك فهي أقصي مدن الواحات الليبية تطرفاً باتجاه الغرب وتلتقي عند حدود ليبيا والجزائر وتونس ولأهمية هذه المدينة القديمة يطلق عليها اسم بوابة الصحراء[2].

تعتبر مدينة غدامس التاريخية والقديمة بأحيائها المتعددة، وكذلك مزارع النخيل ونظام قنوات الري الفريد بها من الأراضي التابعة لقطاع السياحة والتي تشكل مصدراً ثميناً من مصادر الدخل والتنمية السياحية، فالمدينة ذات طابع فريد له أهمية تاريخية وجمالية ومعمارية كبيرة[3].

تأخذ شوارعها الرئيسية والفرعية شكل هندسي ويطوقها سور من جميع الجهات، ويلاحظ أن كتلة المدينة قد نمت بامتداد طولي من غير خطة حيث تتميز بالضيق والالتواءات الكثيرة وتمتد من الشمال إلى الجنوب ويتفرع منها ذراعان إحداهما في اتجاه الشمال الغربي إلى المركز، والآخر في اتجاه الجنوب الشرقي ويتمثل في محطة للنقل وتحيط المزارع بالكتلة العمرانية من كل الاتجاهات باستثناء الاتجاه الجنوبي، حيث بداية امتداد السور الذي يحيط بالمزارع بشكل دائري[4].

([1]) Tripoli Tania 2009, Philip Knrick, silphinm press, London, p. 84.

([2]) منصور محمد البابور، 1995م، غدامس التحضر والقاعدة الاقتصادية، سلسلة التحضر في ليبيا، الكتاب الثاني، الطبعة الثانية، منشورات جامعة قاريونس، ص9.

([3]) Mahmoud Hassan Daza, 1982, Understanding the Traditional Built Environment: Crisis, change and the issue of human needs in the context of habitations and settlements in Libya. Unpublished P.H.D. Diss, Architecture, University of Pennsylvanian, pp. 86 -118.

([4]) الهيئة العامة للسياحة، اللجنة للمنطقة العامة للسياحة، تقرير غير منشور عن مدينة غدامس، غدامس، 2010م.

وبوجود السور بعض التعرجات والدخلات والتي أقيم عليها بوابات وهمية لخداع قطاع الطرق، وللسور بوابتان رئيسية وفرعية، يتم تعيين حرس عليها وتقفل آخر الليل لتوفير الأمن.

– آثار منطقة جبل نفوسة:

وتتوزع هذه المعالم على طول نطاق جبل نفوسة كالآتي:

قصر الدروج- قصر الأصابعة العتيق.

- وزان :

تقع المدينة في منطقة جبلية وعرة داخل الجبل، المدينة منحوتة داخل الصخور، ومن أهم معالمها القصر الشامخ فوق أعلي ارتفاع للجبل أو علي قمته، وهو موقع مميز لأنه يشرف على كل أرجاء المنطقة، تم بناء هذا القصر في مكان صخري ، ويرجع تاريخ بناء هذا القصر إلى سنة 860 هـجري تقريباً، وهو يتكون من 360 حجرة، ويصل ارتفاعه إلى أربعة طوابق وبداخله خزان لتجميع المياه، وكان يستخدم في تخزين الحبوب من القمح والشعير والتين والزيتون[1].

- كباو:

تضم قصر كباو والعديد من المساجد القديمة التي لا زالت قائمة حتى الأن، يعتبر قصر كباو من أهم معالم منطقة كباو وهو يجسد جمال هذه المنطقة وتاريخها، ويعود بناء هذا القصر إلى ما يزيد عن ألف سنة، وقد بني بطريقة هندسية رائعة، وباستخدام مواد بناء محلية.

- مدينة غات:

تقع مدينة غات في قلب الصحراء الليبية الغربية على مشارف الحدود الليبية الجزائرية، يحدها من الناحية الجنوبية سلسلة جبل تاسيلي الي تحوي أقدم

(1) اللجنة الشعبية للسياحة بمدينة نالوت، تقارير على أهم الآثار بمدينة نالوت ، نالوت ، 2010.

- **منطقة فرسطاء:**

اشتهرت هذه المنطقة بالقصر الذي يسمى باسمها ويحتوي هذا القصر على 103 غرفة تستعمل لتخزين الحبوب والزيوت وغيرها وهو من المعالم السياحية الرائعة.

إضافة إلى تلك المناطق والقصور التي تمتد على سفوح جبل نفوسة يوجد العديد من المعالم الأثرية الأخرى والتي يمكن استغلالها سياحياً من أشهرها:

- قصر تبركت ويقع في منطقة الحوامد وهو يتربع فوق قمة جبلية، والقصر ذو طبيعة دفاعية ووجد عليه بعض النقوش إضافة إلى بعض الحصون القديمة.
- يوجد في منطقة المجابرة الكثير من المعالم التاريخية حيث يوجد بها قصر ذو بناء معماري متميز، ويعود تاريخ إنشاءه إلى 1250 ق. م، كما يوجد بهذه المنطقة أربعة معاصر زيتون قديمة وعدد من الأضرحة.

تشتهر المنطقة بوجود مساجد إسلامية قديمة، بالإضافة إلى العديد من المعالم التاريخية والأثرية والتي لم يتم استغلالها، وتعتبر منطقة غريان من المناطق الهامة لتنمية السياحة لما تزخر به من معالم تاريخية وأثرية ومعالم طبيعية وبيئية وصناعات تقليدية ا.

المتاحف:

المتحف هو كتاب تاريخ مفتوح ينهل منه أرباب الثقافات والعلوم المختلفة، لذا فهو مركز للتثقيف الذاتي ويضم قاعات تحتوى بين أركانها على مقتنيات تاريخية وأثرية وعلمية فريدة، كذلك مقتنيات لأحداث وشخصيات تاريخية، لذا فهو داراً للتراث العلمي والثقافي[1].

تعد المتاحف عنصراً للجذب السياحي في أماكن وجودها، حيث تلعب المتاحف دوراً تثقيفياً هاماً في المجتمع، فهي تنقل بطريقة مدروسة ومتعمقة تراث الحضارة الإنسانية في مجالات مختلفة، كما أن المتحف الأثري والقومي ركناً هاماً من أركان التنمية السياحية، بما يحتويه المتحف من نماذج من ثقافة وحضارة الشعوب عبر العصور[2].

(1) طارق السيد معاطي، إمكانات التنمية السياحية في محافظات شرق الدلتا، مرجع سبق ذكره، ص188.
(2)أحمد عبد الكريم أبو شنب، السياحة بمنطقة نالوت، مرجع سبق ذكره, ص 128.

ويعد متحف السرايا الحمراء من أكبر المتاحف في ليبيا، وهو يقع فى العاصمة طرابلس، وهو يعتبر من كبريات المتاحف في الوطن العربي، وقد أقيم في شارع استحدثه الإيطاليون داخل السرايا الحمراء، بتصميم أعد خصيصاً للمتحف، ويقع في شمال مدينة طرابلس ويطل على البحر المتوسط، وقد أشرفت على بنائه وتجهيزه منظمة اليونسكو، وأفتتح عام 1988 ف، وجمع في داخل متاحف السرايا الحمراء التي تتكون من المتحف الكلاسيكي "1919–1937"، ومتحف ما قبل التاريخ "1952"، ومتحف الأزياء والعادات "1953"، ومتحف الجهاد الوطني الكتابية"1970"، ومتحف التاريخ الطبيعي عام "1936"، ومتحف النقوش الكتابية "1952"[1]. ومن اهم المتاحف :

1– المتحف الإسلامي بطرابلس. 2– متحف لبدة الأثري.

3– متحف صبراتة الكلاسيكي .4– المتحف البونيقي بصبراتة. 5– متحف جنزور. 6– متحف زليتن.7– متحف مصراته.8– متحف بنى وليد الأثري. 9– متحف بنغازي. 10– متحف طلميثة.11– متحف توكره.12– متحف البيضاء. 13– متحف قصر ليبيا:

14– متحف النحت بشحات.15– متحف الحمامات بشحات.

يجب الاهتمام بالسياحة البيئية التي تشمل:

1. المحميات الطبيعية وخاصة في المناطق المنتشرة جنوب البلاد.
2. الكثبان الرملية والأشكال الصحراوية.
3. الواحات المنتشرة في جميع أنحاء البلاد.

تتوفر في الجزء الجنوبي الغربي من البلاد أشهر المناطق الصحراوية المألوفة نظراً لمناظرها الخلابة وفنونها التاريخية وثقافتها المحلية، ومن المتوقع أن تبقي هذه المناطق بمثابة البؤرة الرئيسية لتسويق وتطوير السياحة الصحراوية. [1]

تشمل المناطق الرئيسية للسياحة الصحراوية الجوانب التالية :

([1]) سعد القزيري، السياحة في ليبيا، الإمكانات والمعوقات، مرجع سبق ذكره، ص241.

1- الفنون التاريخية القديمة والمناظر الصحراوية في جبل أكاكوس ومساك ستافت ومساك ميليت ووادي برحوج.

2- القري والمستوطنات الواقعة في الواحات في كل من غات والبركت.

3- الواحات في كل من : مرزق وتراغن وزويلة.

4- الفنون التاريخية القديمة والمدن الواقعة في الواحات والآثار الليبية القديمة والبحيرات الصحراوية في كل من وادي الحياة ووادي الشاطئ ورملة الدوادة.

5- واحاتي غدامس وتونين والمنطقة الصحراوية المحيطة بهما.

6- الواحات الصحراوية في كل من : ربيانة والكفرة.

7- مناطق واو البير وواو الناموس وواو الكبير في جنوب الصحراء.

8- مناطق العوينات وجبل آركنو حيث توجد الفنون التاريخية والمناظر الصحراوية في الجنوب الشرقي.

9- واحات الجفرة وتشمل : مدن هون وودان وسوكنة.

10- واحة جالو وخاصة : مدينة أوجلة وواحة الجغبوب عند الحدود الليبية المصرية.

11- المناظر الطبيعية البركانية في قويرات تاليت والهروج السود

والواحات المؤدية لها الفقهاء وزله.

تعد السياحة الثقافية احدي الأشكال السياحية التي يسعي إليها السياح بهدف إشباع رغبة المعرفة، وتوسيع دائرة المعلومات التاريخية، والتمتع بالفنون الجميلة بالمتاحف، وعادة لا يقبل السياح على هذا النوع إلا مرة واحدة ، ولا يمثل سوي 15% من حركة السياحة العالمية[1].

وتعتبر السياحة التاريخية والثقافية من أهم القطاعات السياحية على المستوي المحلي والعالمي حيث تقوم أساساً على المعالم الأثرية التي تركتها الحضارات الإنسانية في

[1]) جليلة حسن حسنين، (1994م)، دور الطلب السياحي الدولي في التنمية السياحية في مصر رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية السياحة والفنادق، جامعة الإسكندرية.

مختلف دول العالم متمثلة في المدن والقصور والقلاع والمباني التاريخية والأدوات الفخارية والمعدنية وا لحجرية ذات الطابع الحضاري التي ترجع إلى حضارات مختلفة الأمر الذي جعل الكثير من السياح يرغبون في مشاهدة هذه المعالم الأثرية كجزء من زيادة المعلومات الثقافية.

وأهم مقومات هذا النوع من السياحة المدن التاريخية التي خلفتها الحضارات المختلفة بالإضافة إلى الأسوار والحصون والمعابد والمسارح والمتاحف، وتملك ليبيا ثروة كبيرة من هذه الأماكن والمعالم الأثرية القديمة مثل المدن الأثرية القديمة طرابلس، صبراتة، لبدة الكبرى، سوسة، شحات، غدامس، ولأهمية هذه المدن الأثرية ودورها التاريخي في بناء الحضارات المتعاقبة على البلاد يجب استثمارها سياحياً على النحو التالي:

- إعطاء أهمية خاصة لهذه المعالم ووضع برامج سياحية لها وترويجها كلاً على انفراد حيث أن كل موقع يعتبر معلما جذاباً سياحياً له من المميزات ما ينفرد به عن غيره.

- توجيه المجموعات السياحية إلى زيارة هذه المواقع لتكامل عناصرها ووضوح هويتها لتقديم صورة حسنة لهذا النوع من السياحة للسائح.

- عرض المنتج السياحي لهذه المواقع يجب أن يكون متنوعاً وفق برنامج زمني محدد والاستفادة من السائح ببقائه أطول فترة ممكنة.

- تشجيع الراغبين لزيارة هذه المواقع والاستفادة من خبراتهم وشهرتهم في تسليط الضور على أهمية هذه الأماكن الأثرية والمدن التاريخية والثقافية.

- إيجاد برامج مدروسة لزيارة هذه المواقع وتقديم الخدمات والإرشادات للسياح بطريقة تشعرهم كأنهم جزء من الماضي مع وجود طواقم بشرية ترتدي أزياء مشابهة لسكان هذه المواقع.

- الاهتمام بوضع مهرجانات سنوية للمسارح الليبية الموجودة في المدن التاريخية القديمة مثل مسرح صبراتة ولبدة وشحات، شبيه بالمهرجانات التي تقام بمسرح قرطاج بتونس وكذلك مهرجانات جرش بالأردن وغيرها من المسارح الموجودة بمختلف دول العالم.

- الاهتمام بالمتاحف المنتشرة في جميع أنحاء البلاد.

المدن الأثرية والمتاحف:

تمثل المدن والمواقع الأثرية أحد أهم عناصر المنتوج السياحي بليبيا والتي يحرص السياح الوافدين على زيارتها وخاصة تلك المواقع ألمعتمدة ضمن مواقع التراث الإنساني العالمي، ورغم أنها تسهم بشكل مباشر في تنويع باقة العرض السياحي المعروض من قبل الشركات والتشاركيات المحلية في الأسواق العالمية وبالتالي زيادة مبيعاتها السنوية، إلا أنها في حاجة ماسة إلى توفير الخدمات الأساسية وكذلك جملة من أعمال الاستكشاف والصيانة والحماية وإعادة التأهيل والتي تضمن إحيائها واستدامتها. كما تنتشر مجموعة من المتاحف موزعة على معظم المدن إلا أن معظمها لا يصل إلى المستوى الأدنى من المعايير والمواصفات التي من شأنها أن تلبي حاجات ورغبات السياح الوافدين، فباستثناء متحف السراي الحمراء بطرابلس والذي صمم بطريقة فريدة تكسبه خصوصية تضعه في خانة المنافسة على مستوى الشمال الأفريقي فإن باقي المتاحف تحتاج إلى إعادة نظر شاملة لكي تصبح أحد روافد المنتوج السياحي كما أن هناك حاجة إلى إنشاء مجموعة من المتاحف الأخرى المتخصصة مثل متاحف الأحياء البحرية والمتاحف الحربية وكذلك المتاحف الأيكولوجية.

وإجمالاً فإن عدم استقرار الشكل التنظيمي والإداري لمصلحة الآثار خلال الفترة الماضية إضافة إلى النقص الشديد في العناصر البشرية المؤهلة و ضعف ما يخصص لها من ميزانيات والتأخر في تحويل المخصصات كل تلك الأسباب قد اسهمت مجتمعة في تباطؤ وتيرة تطوير المتاحف والمواقع الأثرية الأمر الذي انعكس سلباً على إجمالي الإيرادات المحصلة.

التوصيات والمقترحات

من خلال هذا البحث نقترح بعض التوصيات والمقترحات التي تهدف إلى الاهتمام بالسياحة التاريخية والنهوض بها لتنشيط القطاع السياحي ، ومن أهم هذه التوصيات ما يلي :

1. وضع سياسات واضحة خاصة بالسياحة التاريخية وزيارة المدن القديمة .
2. تفعيل القوانين والتشريعات السياحية بالتنسيق مع الجهات ذات العلاقة.

3. العمل على خلق توازن بين الأنشطة السياحية لتحقيق التنمية المستدامة لمناطق الجذب السياحي التاريخي والثقافي .
4. الاهتمام بالمدن التاريخية القديمة وتسهيل الوصول إليها من خلال توفير الخدمات السياحية.
5. الحفاظ على الطابع البيئي للمناطق السياحية وعدم المساس به.
6. تشجيع القطاع الخاص على المساهمة في تطوير وتنمية النشاط السياحي. وذلك عن طريق تقديم المساعدات اللازمة.
7. وضع الخطط والبرامج الكفيلة بإقامة مشاريع السياحة بحيث تتوافق مع المحافظة على البيئة والمدن الأثرية والتراث الثقافي والحضاري.
8. الاهتمام بالصناعات التقليدية والحرفية والأشغال اليدوية والصناعات التكميلية التي تروج للسياحة الداخلية.
9. الاهتمام بالإعلام السياحي في مختلف الصحف والمجلات والفضائيات المحلية والعربية والدولية.

1- إقامة المؤتمرات والندوات السياحية.

المراجـــــــع

اولاً المراجع العربية :

1- أحمد حسن إبراهيم (2000م) , جغرافية السياحة، دار القلم للنشر. القاهرة .

2- أحمد فوزي ملوخية (2007)، مدخل الى علم السياحة، ط 1، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية.

3- أسامة عبد الرحمن (1997م), تنمية التخلف وإدارة التنمية في الوطن العربي والنظام العالمي الجديد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت...

4- د. ي، هاينز (2005م)، دليل تاريخ واثأر منطقة طرابلس، دار الرجاني، طرابلس.

5- سراب الياس وآخرون, (2002 م), تسويق الخدمات السياحية، دار المسيرة ، طرابلس.

6- سعد القزيري (2006م)، التخطيط للتنمية السياحية في ليبيا، دار الكتب الوطنية، بنغازي.

7- سعد خليل القزيرى (1997م)، تنمية السياحة البحرية وتخطيها، بحث مقدم الي ندوة السياحة في ليبيا الامكانيات والمقومات، بنغازي.

8- سعد خليل القزيري (2002م)، السياحة في ليبيا الإمكانيات و المعوقات، دار السرايا للطباعة، الزاوية.

9- صلاح الدين عبد الوهاب (1986م), السياحة الدولية، مطبعة زهران، القاهرة.

10- عبد اللطيف محمود البرغوثي (1971م)، التاريخ الليبي القديم، من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، منشورات الجامعة الليبية، بيروت.

11- عثمان محمد غنيم (2003م)، بينيتا نبيل سعد، التخطيط السياحي في سبيل تخطيط مكاني شامل ومتكامل..

12- محمد عبد الله قصوده (2007)، السياحة في شمال غرب ليبيا، مقومات بيئية، مدن سياحية، دراسة جغرافية تحليلية , منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، ليبيا.

13- يسرى دعبس (2003م), صناعة السياحة بين النظرية والتطبيق، البيطاش للنشر والتوزيع، الإسكندرية.

14- يسرى عيسى (2004),الصناعات التقليدية والجذب السياحي فى حوض البحر المتوسط ،البيطاش للنشر والتوزيع الاسكندرية.

15- سيد فتحي الخولي، (2000) ،تخطيط وتنمية السياحة المستدامة في الدول العربية مجلة الأقتصاد والتجارة، جامعة الملك عبد العزيز، جدة.

16- روبنسون، (1985)، جغرافية السياحة، ترجمة محبات إمام الشرابي، دار المعارف،القاهرة.

17- روبنسون وآخرون،(2002) بانوراما الحياة السياحية، ترجمة محمد شحاتة ،المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة.

المراجع الاجنبية:

1- Boniface, B.(1996) Copper, the cerography of Travel and Tourism2nd London, London,

2- Brian, B. Ehris, G(1996)., The Geography of travel and Tourism, 2nd(Ed.) London

3- planning approach , john Wiley, new York, 1992 ,(Heath , E . and wall, G . marketing tourism destination , a strategic.

4- International Bank for Reconstruction and Development (1960} the Economic Development of Libya Oxford: Oxford: University Press.

5- Middle East Review, The Economic and Business Report(1988) Twenty third Editions, Essex: Welder Publishing Ltd.

6- Harssel, J.V., (1994) Tourism: An Exploration . New Jersey: Prentice Hall

7- Tousun, C. and Jenkins, C.L., (1996) Regional Planning approaches to tourism development: the Case of Turkey., Tourism Management Vol. 17, No. 7.

8- Williams, P. W. and Gill., (1998) Global Tourism., Boston: Butterworth Heinemann.

9- Page, S. J. and Thorn, K. J., (1997)" Towards Sustainable Tourism Planning in new Zealand: Rub lit See for Planning Responses"., Journal of Sustainable Tourism, Vol. 5.

التغيرات الديموغرافية للسكان بليبيا

من 1931 –2030ف

د.يوسف مفتاح طالب/أ.ربيع عبد الله أبوعنيزة /أ.حنان محمد الأطرش
قسم الجغرافيا/مسلاته

تقديم

تميز عدد السكان في ليبيا بصغر حجمه ولا يعزى هدا الصغر إلي قلة المواليد بل إلي ارتفاع نسبة الوفيات وبشكل خاص وفيات الأطفال ، لأن ليبيا قد مرت بمرحلة انتشر فيها الفقر والأوبئة والمجاعات كغيرها من الدول النامية ويظهر اثر دلك واضحا في الفترة التي تعرض فيها السكان بليبيا إلى الاستعمار طيلة الفترة الممتدة من العهد الروماني حثي فترة الاحتلال الايطالي وعند استعراض و تحليل الإحصاءات السكانية والحيوية لليبيا يمكن أن تتضح مجموعة متغيرات لها علاقة بمقدار الزيادة الطبيعية أو الغير طبيعية و ما هو معدل النمو لكل فترة تعدادية وأخرى ويمكن صياغة مشكلة الدراسة في الأتي :

مشكلة الدراسة : من خلال نتائج التعدادات العامة للسكان في ليبيا اتضح تغيرات في الكتلة السكانية خاصة في النصف الأخير من القرن الماضي والعقدين الأول والثاني من القرن الحالي وبناء عليه يمكن القول أن مشكلة الدراسة قد تمحورت في طرح التساؤلات التالية :

1.ما طبيعة التغيرات السكانية التي مرت بها ليبيا من حيت حجم السكان ومعدل نموهم خلال فترة الدراسة (1931 – 2030 ف) ؟

2.هل للزيادة الطبيعية و الغير طبيعية دور في تغير حجم السكان ومعدلات نموهم أم لا، وما هي التقديرات المستقبلية لعدد السكان إدا ما استمر معدل النمو على ما هو علية حسب آخر تعداد للسكان بليبيا ؟

الفرضيات : للإجابة على التساؤلات التي تم صياغتها بمشكلة الدراسة تم تحديد فرضيتان لإثبات صحتهما من عدمه وهي :

1.يتجه حجم ومعدلات النمو السكاني في ليبيا للانخفاض التدريجي نتيجة تحسن الظروف الاقتصادية والصحية والتعليمية .

2.للزيادة الطبيعية والغير طبيعية دور أساسي في تغير حجم السكان ومعدل نموهم في ليبيا .

أهدافها: يكمن الهدف الرئيسي بهده الدراسة في دراسة وتحليل التغيرات السكانية خلال فترة الدراسة التي اشرنا إليها سابقا ولعلا أهم التغيرات التي سيتم التعرف عليها هي دراسة النمو السكاني ومكوناته (المواليد – الوفيات – الهجرة) ومناقشة العوامل المؤثرة فيه ومن تم محاولة معرفة التغيرات المنتظرة (المستقبلية) للنمو ومكوناته ،لان هده التغيرات لها أهمية كبرى عند المخططين وصناع القرار خاصة عند أعداد خطط التنمية الشاملة والخطط المستقبلية .

الأهمية : تكمن أهمية هدا النوع من الدراسات في أنها تهتم بحفظ التوازن بين أعداد السكان ومواردهم الاقتصادية في الدولة أو الإقليم أو حتى على مستوي البلدية ، فمن هدا المنطلق نجد أن مثل هدا النوع من الدراسات اتجهت إلى تحليل تطور النمو السكاني ومكوناته ونتائجه المتعددة للوصول إلي أحكام صائبة عن حالة النمو السكاني ومكوناته .

أتضح من التعداد العام للسكان في ليبيا عام 1931 م أن عدد السكان قد بلغ 654 ألف نسمة ، وفي التعداد الثاني بالعهد الايطالي الذي اجري سنة 1936 م اتضح أن عدد السكان قد وصل إلي 733 ألف نسمة وقد تطور معل النمو السكاني بمعدل وصل إلي 2.3 % ويمكن الإشارة إلي آن هدين التعدادين لم يكونا شاملين لكل السكان في ليبيا وإنما اقتصرا علي المدن والمناطق الساحلية في شرق البلاد وغربها. [1]

إن أول تعداد شامل لليبيين قد اجري في سنة 1954 م بعد استقلال ليبيا وقد بلغ عدد السكان 1.042 مليون نسمة بمعدل نمو سنوي 2% ، ثم شهدت معدلات النمو السكاني تغيرا ملحوظا من بداية العقد السادس من القرن الماضي حتي سنة 1984م من

[1] الهيئة الوطنية للمعلومات ، إدارة التوثيق والمعلومات ، وثائق بشان التعدادات الخاصة بالسكان لسنوات 1931 ،1936ف .

3.8 % في الفترة من (1954–1964) والبالغ عدد السكان بها 1515501 نسمة، إلي 3.4 % عن الفترة من (1964 – 1973) والبالغ عدد السكان بها2052372 نسمة ، ليصل إلي اعلي مستوي له في الفترة من (1973 – 1984) والبالغ عدد السكان بها 3231059 نسمة بمعدل نمو سنوي بلغ 4.2 % ، ويرجع السبب في تصاعد معدلات النمو إلي تحسن الأوضاع الاقتصادية والصحية مما نتج عنه انخفاض في معدل الوفيات خاصة معدل وفيات الأطفال والرضع بحيث انخفض من 7.3 % سنة 1974 ليصل إلي 7% سنة 1984 ثم إلي 3.1 %عام 1995 وقد أظهرت نتائج التعداد العام للسكان في نفس السنة أن معدل نمو السكان قد سجل انخفاضا كبيرا يصل إلي 2.9 % خلال الفترة من (1984–1995) بإجمالي عدد سكان 4398739 نسمة، وقد استمر معدل النمو في الانخفاض بحيث تفيد النتائج النهائية للتعداد العام للسكان لسنة 2006 إلي أن معدل النمو السكاني للسكان الليبيين قد سجل تنازلا وصل إلي 1.8 % بإجمالي عدد سكان خلال هدا العام وصل إلي 5298152 نسمة [1].

ولعلا أهم الأسباب المودية إلي هدا التراجع في معدلات النمو السكاني في ليبيا هي التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها البلاد خلال عقدي السبعينات والثمانينات خاصة في النواحي التعليمية بشكل عام وللمرآة بشكل خاص بحيث ارتفع معدل الالتحاق المدرسي للمرأة الليبية في مرحلتي التعليم المتوسط والجامعي الأمر الذي أدي إلي تأخر سن الزواج للفتيات وارتفاع معدلات النشاط الاقتصادي مدفوع الأجر للمرأة وكذلك ما نص علية القانون 10 لسنة 1984 الذي وضع الحد الأدنى لسن الزواج (20سنة) ، إضافة إلي مشكلة قلة فرص العمل وأزمة السكن التي دفعة إلي تأخر سن الزواج إلي حين الحصول علي وظيفة وسكن مناسب ، أما خلال فترة التسعينات فيعود هدا التراجع إلي الظروف السياسية التي مرت بها ليبيا والمتمثلة في فرض عقوبات دولية من بينها الحصار الجوي وما ترتب عليه من ارتفاع للأسعار وتراجع قيمة العملة المحلية أمام العملات الأجنبية الرئيسية وبالتالي ارتفاع كبير في تكاليف المعيشة وتراجع واضح في معدلات الزواج والمواليد مع بقاء معدل الوفيات قريب مما كان عليه في الفترات السابقة[2].

[1] الهيئة العامة للمعلومات ، مصلحة الإحصاء والتعداد ، النتائج النهائية للتعدادات العامة للسكان من1954-2006 ف .
[2] التقرير الوطني الأول لحالة السكان في ليبيا 2010 ، ص 19 .

من خلال السرد للحقائق التي تم استخلاصها من نتائج التعدادات العامة للسكان بالمقدمة اتضح أن هناك أسباب أدت إلي ظهور مجموعة من المظاهر الديموغرافية **لعلا أهمها:**

1. انخفاض كبير في نسبة الزواج بين السكان 15 ـ 59 سنة للجنسين من 69.4 %سنة 1973 إلي 42% سنة 2006 ،وفي مقابل دلك ارتفعت نسبة العزوبية بين السكان في نفس الفئة العمرية من 21.5% لتصل إلي 53.6% خلال نفس الفترة .

2.ارتفاع متوسط العمر عند الزواج للجنسين علي حد سواء ،فقد ارتفع هدا المتوسط من25 سنه إلي 33 سنة بالنسبة للذكور ومن 19 سنة إلي 31 سنة تقريبا بالنسبة للأنات خلال الفترة من 1973 – 2006 م .

3.انخفاض متوسط عدد الأطفال للمرأة الواحدة في سن الإنجاب (15–49 سنة).

4. ارتفاع متوسط سن الإنجاب للإناث من سن 27سنة تقريبا سنة 1973 إلي سن 33 سنة تقريبا سنة 2006[1] .

العوامل المؤثرة في النمو السكاني :

يعد النمو السكاني احد أهم المؤشرات التي تحضي باهتمام واسع من قبل البحاث والدارسين للشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فهناك من يخشي النمو السكاني ويعد العدة لكيفية التحكم فيه ارتفاعا أو انخفاضا وفق الإمكانيات الخاصة بالدولة وقدراتها التنموية ،وبنا عليه فان من أهم العوامل المؤثرة في النمو السكاني في ليبيا هي:

1ـ المواليد :

يرتبط واقع المواليد بمجموعة قضايا لعلا أبرزها هي الحالة المعيشية والتعليمية والصحية وما مدي مشاركة المرأة في النشاط الاقتصادي ، **ففي المرحلة الأولي** من التحول الديموغرافي في ليبيا قبل عام 1954 ف والتي تمثلت في مستوي معيشي منخفض وحالة صحية وتعليمية متدنية تسودها معدلات مواليد مرتفعة استجابة لمعدلات الوفيات المرتفعة ويترتب علي دلك زيادة سكانية منخفضة ،وفي **المرحلة الثانية** في ظل تحسن الأحوال المعيشية وتوسع انتشار الخدمات الصحية و الخدمات التعليمية فقد شهدت معدلات

[1] تقرير هيئة الأمم المتحدة ، السكان في ليبيا ،الحالة الزواجية للسكان الليبيين 1973 – 2006 ف ، ص 18 ، 19 .

الوفيات انخفاضا ملحوظا مع بقاء معدلات المواليد عالية مما يترتب عليه زيادة عالية للسكان وقد استمرت هده المرحلة من منتصف الستينات حتى أواخر الثمانينات من القرن الماضي ، أما في **المرحلة الثالثة** مع مطلع العقد الأخير من القرن الماضي واستجابة للمزيد من التحسن في المستوي المعيشي والمستوي التعليمي والصحي للسكان وتنامي معدلات مشاركة المرأة في النشاط الاقتصادي فقد شهدت معدلات المواليد انخفاضا ولكن اقل مما هو عليه في حالة الوفيات مما ترتب عليه تناقصا في معدلات نمو السكان في ليبيا[1].

2ـ الوفيات :

ظاهرة الوفيات استرعت اهتمام مؤسسي علم الديموغرافيا ودلك لكونها عاملا أساسيا من العوامل المؤثرة في النمو السكاني، ومن تم فان مصطلح معدل الوفيات يتناول حالات الوفيات من حيت العدد والجنس وفئات السن وأماكن الإقامة وغيرها ، **ويعرف** معدل الوفيات بأنه عدد الوفيات خلال السنة لكل ألف نسمة من السكان في منتصف نفس السنة ويمكن حسابه من عدة مستويات مثل حساب معدل الوفيات حسب النوع أو الفئات العمرية أو المهنة أو معدل وفيات الرضع أو معدل وفيات الأمومة أو غيرها إلا أن المقياس الأكثر شيوعا لحساب هدا المعدل هو معدل الوفيات الخام ، بحيث توضح الإحصاءات المتعلقة بالوفيات في ليبيا أن عدد الوفيات قد شهد ارتفاعا وانخفاضا طيلة الفترة مابين 1975–2003 ، إلا انه ومند سنة 2004 أوضح معدل الوفيات الخام اتجاها للارتفاع البطي علي حد سواء للذكور والإناث ودلك راجع إلي الارتفاع المطلق لوفيات الذكور مقارنة بالإناث بسبب حوادث المرور وإصابات العمل والسلامة المهنية وغيرها من الظروف

[1] تقرير اقتصادي ، مجموعة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ،منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ، مايو 2006 ، ص 23.

اتجاهات التغير في معدلات الوفيات :

شهد معدل الوفيات الخام انخفاضا منذ بداية التسعينات من القرن الماضي ، إلا انه استقر منذ ذلك التاريخ عند معدل سنوي متوسط يتراوح بين 3.2 و 3.4 في الألف خلال الفترة 1995-2006 وبلغ في المتوسط 3.8 في الألف خلال السنوات الأخيرة (2007 ،2008، 2009) ومن المتوقع أن يرتفع هذا المعدل إلي 4.5 حالات وفاة لكل ألف شخص عام 2030 م ، وهذه النزعة نحو الارتفاع هي نتيجة للتغير في التركيب العمري للسكان الذي سيشهده الوضع السكاني في ليبيا خلال تلك الفترة حيث من المتوقع أن تحدث زيادة في نسبة كبار السن (65 فاكبر) ومن تم فان معدل الوفيات سوف يزداد تدريجيا ، أما معدل وفيات المواليد نتيجة لتحسن الظروف الصحية والغذائية ورقي الحالة التعليمية والثقافية للأبوين والمرأة بصفة خاصة ، فمن المتوقع أن يواصل تحسنه خلال العقدين القادمين بحيث يقدر أن يصل بنهاية الربع الأول من هذا القرن إلي 12.9 وفاة لكل ألف مولود .[1].

3ـ الزيادة الطبيعية للسكان :

تشير بيانات الإحصاءات السكانية والحيوية إلي وجود تذبذب في حجم الزيادة الطبيعية للسكان في ليبيا حيث بلغت الزيادة المطلقة (92208 نسمة) في سنة 1975 واستمرت في الارتفاع إلي أن وصلت اعلي مستوي لها في سنة 1990م لتصل إلى (158790 نسمة)، ثم بدأت في الانخفاض في مطلع التسعينات من القرن الماضي إذ سجلت الزيادة الطبيعية عددا مطلقا يصل إلي (75241 نسمة) سنة 1995 ، والسبب في هذا الانخفاض يرجع إلي زيادة نصيب المرآة من التعليم العالي وأيضا زاد نصيب المرآة من فرص العمل الذي أدى انخفاض معدل الولادات ، ثم بدأت بعدها في الارتفاع التدريجي إلي أن وصلت (110497 نسمه) في سنة 2009 .

[1] تقرير اقتصادي ، مجموعة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ،منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ، مرجع سابق ، ص 25 ،26 .

4ـ الهجرة :

يقصد بالهجرة حاصل الفرق بين الهجرة الدولية لهدا البلد ، أي الفرق بين عدد السكان المغادرين بهدف العيش خارج حدود البلد محل الإقامة والسكان القادمين من الخارج للعيش في هدا البلد، ومن تم إدا كان الفرق موجبا فان الهجرة تؤدي إلي زيادة في عدد السكان في البلد المهاجر إليه والعكس صحيح ، وعند الحديث عن الهجرة في ليبيا يتضح أن الفترة الممتدة من سنة 1954 حتى سنة 1973 كان للهجرة دور مؤثر علي السكان الليبيين المتمثل في عودة الليبيين من المهجر ودلك بعد انتهاء الاستعمار المباشر للبلاد،إلا أن هدا العامل يكاد يكون دوره قد اكتمل من بداية السبعينيات أما بعد هده الفترة فان الزيادة في عدد السكان الليبيين يرجع أساسا للزيادة في عدد المواليد عن عدد الوفيات من السكان الليبيين أي أن العنصر المؤثر في نمو السكان الليبيين خلال هده الفترة هو الزيادة الطبيعية[1].

5.الحالة الزواجية للسكان الليبيين (1973- 2006) :

تشير بيانات النتائج النهائية للتعدادات العامة للسكان خلال الفترة (1973–2006) إلي أن هناك تغيرا في نسب الدين لم يسبق لهم الزواج حيت ارتفعت نسبتهم من 21.6% سنة 1973 إلي 38.5 سنة 1984 ، وفي عام 1995 سجلت نسبة قدرها 52.7%،أما في سنة 2006 فقد ارتفعت النسبة إلي 53.5% ويرجع ارتفاع هده النسب إلي عدة عوامل يمكن اختصارها في ارتفاع قيمة المهور في المجتمع الليبي وعدم إقامة مشاريع للإسكان العام في الدولة إلا بنسب بسيطة جدا خاصة في السنوات الأخيرة وعدم إعطاء قروض إسلامية للشباب لتشجيعهم علي بناء مساكن وأيضا تعقيد إجراءات نزع الصبغة الزراعية وعدم إعداد مخططات لإقامة الإحياء السكانية عليها في كل المدن وأيضا مستوي الدخل البسيط والمثمتل في المرتبات الضعيفة وغيرها من الأسباب مجتمعة جعلت هده النسب ترتفع ، أما في حالة الطلاق فمن الملاحظ أن نسبة الطلاق سجلت انخفاضا تدريجيا فقد

[1] ابو عيانة ، فتحي محمد ، مشكلات السكان في الوطن العربي ،دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، ص 17 .

كانت في عام 1973 تقريبا 2.6% ثم انخفضت إلي 1.8% في عام 1984 واستمر التنازل في عام 1995 لتسجل 1.1% ونسبة 0.8% عام 2006 ، أما في حالة الترمل فمن الواضح أن هده الحالة سجلت انخفاضا نسبيا طيلة الفترة من (1973-1984) انخفضت من 6.4% تقريبا إلي اقل من 5.0% وبلغت عام 1995 حوالي 3.8 %ثم استمرت في الانخفاض حتى عام 2006 لتصل إلي 3.6%.[1]

6ـ العزوبية حسب فئات السن :

تشير النتائج النهائية للتعدادات السكانية العامة خلال الفترة (1973-2006) إلي أن نسبة العزوبية قد ارتفعت بشكل ملحوظ ،أي قد ارتفعت نسبة الدين لم يسبق لهم الزواج من 37.9% في عام 1973 إلي 53.6% في عام 2006 ، وبتحليل نسبة العزوبية حسب فئات السن نلاحظ أن نسبة الأفراد الدين لم يسبق لهم الزواج ممن أعمارهم (15-19) كانت في سنة 1973 اقل منه في سنة 1984 وفي سنة 1995 اعلي من سنة 1984 وكذلك الحال في باقي الفئات العمرية الأخرى لكل السنوات [2].

توزيع السكان حسب أهم الخصائص الديموغرافية

1ـ التوزيع حسب الحضر والريف :

تعرف المناطق الحضرية وتتباين من تعداد إلي آخر ودلك حسب الحالة الاقتصادية والاجتماعية التي تمر بها البلاد ففي تعداد عامي 1954-1964 كان الوضع الاقتصادي متخلفا ويغلب عليه طابع اقتصاد الكفاف ، أما عن الوضع الاجتماعي فكان يغلب عليه طابع الحياة البدوية الريفية التي تعتمد بشكل كبير علي النشاط الزراعي والرعوي ، وفي تعداد عام 1973 تم استخدام مفهوم الحضر والريف وتم تعريف التجمعات الحضرية بأنها تلك التجمعات التي تقع في مراكز البلديات وكذلك تلك التي يصل عدد سكانها ألي خمسة

[1] تقرير هيئة الأمم المتحدة ، السكان في ليبيا ،الحالة الزواجية للسكان الليبيين 1973 – 2006 ف ، مرجع سابق ، ص 19 ، 20.

[2] الكيخيا ، منصور محمد ، جغرافية السكان ،منشورات جامعة قار يونس ،الطبعة الأولى 2003 ص53-94 ، بالإضافة إلي التقرير الوطني الأول لحالة السكان في ليبيا 2010 ، ص 19، بالإضافة إلي النتائج النهائية للتعدادات لسنوات الدراسة المذكورة سابقا .

آلاف نسمه فأكثر حتى وان لم تقع في مركز البلدية ، وفي تعداد عامي1984-1995 استخدم نفس التعريف مع إضافة التجمعات الواقعة في مخططات المدن ، أي أن جميع المحلات الواقعة في مركز البلديات وفروع البلديات وكذلك المحلات الواقعة داخل مخططات المدن ، وتلك التي يصل تعداد سكانها إلي خمسة آلاف نسمه فأكثر ، اعتبرت كلها تجمعات حضرية وكذلك الحال في عام 2006 .[1]

2ـ التوزيع الجغرافي ومستويات الكثافة :

يشير مفهوم الكثافة السكانية إلي العلاقة بين السكان ومساحة الأرض التي يقطنها هؤلاء السكان بمعني درجة تركز السكان في بقعة جغرافية محددة ،وتقاس الكثافة السكانية من خلال قسمة عدد السكان علي مساحة الأرض ، ويعبر عنها بمجموع عدد الأشخاص في الكيلو متر المربع أو الميل المربع أو الهكتار ويمكن الإشارة إلي أهم المتغيرات التي تؤثر في نسبة التركز السكاني وهي :

أ. الموقع الجغرافي :

يؤثر الموقع الجغرافي للمكان أو المنطقة أو الدولة علي معدل الكثافة السكانية فيه ، ومن خريطة التوزيع السكاني في العالم نلاحظ أن معظم سكان الأرض يعيشون في مناطق لا تبتعد كثيرا علي سطح البحر ومناطق السهول وضفاف الأنهار وكذلك الحال بالنسبة لليبيا فعلي سبيل المثال نجد أن ما يقدر تقريبا 90 % من سكان ليبيا يقطنون المناطق الساحلية شرقا وغربا وتنخفض نسبتهم كثيرا في منطقة الوسط أما النسبة الباقية فهي موزعة بين المناطق الوسطي والجنوبية .

ب. مظاهر السطح والتضاريس :يرتبط تباين التضاريس علي سطح الأرض من حيث الارتفاع أو الانخفاض أو من حيث اختلاف أنواعها من مرتفعات وجبال وسهول ارتباطا وثيقا

[1] الهيئة العامة للبنية الأساسية والتنمية العمرانية مصلحة التخطيط العمراني ، التقرير الفرعي التمهيدي للسكان طرابلس.

بمظاهر توزيع السكان ،لذلك تختلف المناطق من حيث الكثافة السكانية تبعا لهذه الخصائص .

ج. **المناخ :** يعد المناخ من أكثر العوامل تأثيرا في توزيع السكان سوا بشكل مباشر أو غير مباشر ،ومن المعروف بداهة أن المناطق المعتدلة الحرارة والبرودة تعتبر مناطق جدب للسكان والعكس بالعكس ، أما عند الحديث بوجه خاص عن منطقة الدراسة نجد أن معظم الأراضي الليبية لا يوجد بها سكان كما هو الحال في منطقة بحر الرمال العظيم و أدهان مرزق وغيرها من المناطق .

د. **النشاط الاقتصادي :** تلعب الأنشطة الاقتصادية دورا أساسيا في توزيع السكان فعادتا أماكن وجود الصناعات تتميز بكثافة سكانية عالية علي عكس المناطق التي يسودها النشاط الزراعي فهي عادتا تكون اقل كثافة ا بالسكان .

ه. **النقل :** لقد أسهمت وسائل النقل الحديثة المتمثلة في طرق النقل البري وخطوط السكة الحديدية والممرات البحرية في نشأة المراكز العمرانية الحضرية وازدياد الكثافة السكانية في بعض ا لأماكن دون غيرها ، كما أسهمت حركة النقل البحري في نشأة الموانى وتركز السكان في المناطق المجاورة لها ، لهدا يلاحظ انتعاش ونمو بعض المراكز العمرانية التي تقع علي خطوط النقل وانكماش تلك التي تقع بعيدا عنها [1].

ومن كل ما ذكر نلاحظ أن **التوزيع الجغرافي للسكان في ليبيا** قد ارتبط بشكل أو آخر بالعديد من تلك العوامل التي من أهمها العوامل الطبيعية المتعلقة بجغرافية البلاد وتقسيمها الإداري في الحقب التاريخية طيلة العقود الماضية ،ومما لاشك فيه أن هدا الواقع قد اوجد نمطا معينا للتوزيع السكاني يتميز بالتشتت في تجمعات صغيرة متناثرة علي رقعة جغرافية شاسعة كما هو الحال في اغلب مدن الجنوب الليبي ،إلي جانب تباينات بين تجمعات سكانية كبيرة في مساحات جغرافية محدودة كما هو الحال في مدينة طرابلس والزاوية ،

[1] الهيئة العامة للبنية الأساسية والتنمية العمرانية مصلحة التخطيط العمراني ، التقرير الفرعي التمهيدي للسكان طرابلس ، مرجع سابق .

وتجمعات سكانية صغيرة علي مساحات جغرافية واسعة كما هو الحال في مدينة غات والكفرة ومن ثم فان مثل هدا التباين من شانه أن يضاعف من صعوبة التخطيط للتنمية التي تهدف إلي تحقيق التوازن في تقديم الخدمات وإقامة البنية التحتية التي تستجيب للطلب الاجتماعي .

وبناء عليه فقد عملت المتغيرات والظروف سالفة الذكر علي التحكم في نمط التجمعات السكانية حيت التجمعات السكانية المستقرة والممتدة علي طول الشريط الساحلي مع انخفاض في منطقة الوسط ، أما مناطق الجنوب فيغلب عليها طابع الحياة الصحراوية والدي من أهم سماته التجمعات السكانية في واحات متناثرة ،حيت تتوفر المياه الجوفية والوسائل المساعدة لممارسة النشاطات الزراعية المحدودة إلي جانب تجارة القوافل باستثناء بعض المدن المتوسطة الحجم كمدينة سبها والتي تعتبر مدينة الجنوب الليبي الكبرى .

3. **الإسقاطات السكانية :**

تعتبر الإسقاطات السكانية وما توفره من معرفة عن حجم السكان وتوزيعهم وبعض خصائصهم الأخرى من الأمور المهمة جدا للمخططين وراسمي السياسة التنموية انطلاقا من أن العنصر البشري هو احد أهم الأبعاد أو المدخلات الأساسية للعملية التنموية علي المستوي الوطني أو علي مستوي وحدات سكانية اصغر ، ومن هدا المنطلق فان أي برنامج تنموي لابد أن يبني علي تقديرات لعدد السكان الدين يسعي هدا البرنامج إلي تحقيق أمالهم وتطلعاتهم في الحياة والعيش في مستوي رفيع وكريم [1].

وفي الغالب يتم تقدير السكان اعتمادا علي ثلاثة بدائل هي البديل **المنخفض والمتوسط والمرتفع** ،ويتم تحديد هده البدائل الثلاثة وفقا للتغيرات الديموغرافية الماضية وواقعها الحالي والاتجاهات المستقبلية المحتملة لتلك التغيرات .

[1] المعهد القومي للتخطيط الكويت ، تحليل الإسقاطات السكانية المستقبلية علي بعض المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية، ص 31 .

وبناء علي ما تقدم يمكن تحديد ثلاثة مستويات محتملة لمعدلات نمو السكان الليبيين خلال السنوات من 2010–2030 ودلك علي النحو التالي :

ـ معدل نمو منخفض يصل في المتوسط إلي 1.7 % سنويا (يبدأ من1.79% خلال الفترة 2006–2010 وينتهي عند 1.54% خلال الفترة من 2025–2030) ،وهدا يعكس إلي حد ما الزيادة الطبيعية في ظل التراجع المتوقع لمعدل الخصوبة الإجمالي للمرأة.

ـ معدل نمو متوسط يصل في المتوسط إلي 1.82%سنويا (يبدأ من 1.88% خلال الفترة من 2006– 2010 وينتهي عند 1.75% خلال الفترة 2025– 2030) وهدا يعكس إلي حد كبير معدل النمو الذي تحقق خلال الفترة من 1995– 2006 حسب ما أوضحته نتائج التعداد العام للسكان سنة 2006 .

ـ معدل مرتفع يصل في المتوسط إلي 2%سنويا (يبدأ من 2.015% خلال الفترة من 2006– 2010 وينتهي عند 1.972% خلال الفترة 2025– 2030 وهو يعكس إلي حد ما معدل الزيادة الطبيعية عندما يبقي معدل المواليد ومعدل الوفيات الخام علي ما هما عليه خلال الفترة 2004 حتى 2009 .

واعتمادا علي ما تم توقعه فان عدد السكان الليبيين طبقا للبديل المتوسط ارتفع من (5.3) ملايين نسمة في عام 2006 إلي حوالي (5.7) ملايين نسمة بحلول عام 2010 بمعني أن صافي الزيادة الطبيعية سيكون في حدود 102 ألف نسمة سنويا ،وبما تم توقعه وصل عدد السكان في عام 2015 إلي حوالي (6.3) ملايين نسمة بزيادة سنوية قدرها 112 ألف نسمة ،وفي عام 2020 يتوقع أن يصل عدد السكان الليبيين إلي حوالي (6.86) ملايين نسمة بزيادة سنوية تقدر بحوالي 117.6الف نسمة سنويا ،وحسب التقديرات فان عدد السكان الليبيين سوف يصل إلي حوالي (7.5) مليون نسمة في عام 2025 مسجلا زيادة سنوية بمقدار 125.7الف نسمة سنويا ، وفي عام 2030 يقدر عدد السكان بحوالي (8.2) ملايين نسمة بزيادة سنوية مقدارها 135.7الف نسمة سنويا ،وبدلك فان متوسط الزيادة السنوية خلال الفترة 2006– 2030 يقدر بحوالي 119.3 ألف نسمة

سنويا ، وهدا علي أساس نمو السكان حسب فرضية استمرار العوامل المؤثرة في النمو السكاني علي نفس الوثيرة الحالية أي باستخدام بديل متوسط .

أما في حالة استخدام بديل منخفض فيتوقع أن يصل عدد السكان الليبيين بحلول عام 2030 إلي حوالي(7.95) ملايين نسمة بزيادة سنوية تصل في المتوسط للفترة 2006-2030 إلي حوالي 110.3 الف نسمة سنويا بفارق انخفاض سنوي عن البديل المتوسط قدره 9 آلاف نسمة في المتوسط لكامل الفترة .

أما تقديرات البديل المرتفع فتشير إلي أن عدد السكان الليبيين قد يصل إلي حوالي (8.5) ملايين نسمة بحلول عام 2030 أي أن متوسط الزيادة السكانية السنوية خلال الفترة 2006- 2030 تبلغ حوالي 134 ألف نسمة سنويا بفارق ارتفاع سنوي عن البديل المتوسط يصل إلي 14.7 ألف نسمة سنويا ، وفي جميع الأحوال فان اقرب البدائل يكون البديل المتوسط

4.السياسات السكانية المستقبلة التي يجب العمل عليها بالدولة الليبية :

تعتبر السياسات السكانية مرجع بالغ الأهمية في وضع وتفعيل سياسات التنمية البشرية التي تعني بالدرجة الأولي بتوسع الخيارات أمام الإنسان الليبي لبلوغ حياة كريمة تتميز بمستوي تعليمي وصحي عالي يتوافق ومستجدات العصر الحديث وأيضا فرص عمل ودخل محترم يتوافق أيضا مع الحياة الكريمة للإنسان ، ويمكن القول أن السياسات السكانية في مفهومها الشمولي هي الركيزة الأساسية والمرجعية التي لاغني عنها لإحداث التنمية البشرية المستدامة في سعيها نحو التحسين النوعي في حياة الإنسان ومهاراته ومقدرته التنافسية في ليبيا ، ومما يعطي للسياسات السكانية في ليبيا مكانتها المتميزة في منظومة الفعل التنموي هو تحقيق التوازن بين الحجم الفعلي والمتوقع للسكان وبين معدلات النمو الاقتصادي والاجتماعي والسكن والنمو في الطلب علي المياه والصرف الصحي والتعليم والمواصلات والرعاية الصحية والنمو في فرص العمل وغيرها من المتطلبات التنموية .

ويقع في بؤرة اهتمام السياسة السكانية ضمان حقوق الأجيال القادمة من مقدرات البلاد بما في دلك تفعيل ضمانات حقوق الأطفال وسلامة نموهم وتغذيتهم وضمان حسن تعليمهم وحمايتهم من الأمراض السارية والمعدية وتخفيض معدلات وفيات الأمهات والأطفال حديثي الولادة والأطفال دون سن الخامسة وتحصينهم من المظاهر السلوكية المنحرفة وتنمية الإحساس بالانتماء الوطني لديهم اتجاه الوطن وكذلك المحافظة علي نصيبهم من ثروات البلاد لصنع مستقبل زاهر لهم في العقود القادمة ودلك من منطلق القاعدة العامة بالتخطيط التي تفيد بان أي تخطيط ناجح سوءا علي مستوي محلي أو إقليمي أو على مستوي الدولة قطاعيا كان أم أقاليم إدارية أو جغرافية لابد أن يكون من ضمن اهتماماته هي المحافظة على نصيب الأجيال القادمة من ثروات المجتمع . [1]

النتائج :

من خلال تجميع وتحليل الإحصاءات السكانية والحيوية لليبيا خلال سنوات الدراسة نستنتج الآتي :

1. أن معدل النمو السكاني قد شهد مجموعة تغيرات بين الارتفاع والانخفاض أي في اعلي مستوى له في الفترة من (1973 – 1984 ف) حيت بلغ 4.2 % ، وقد سجل أدنى مستوى له في عام 2006 ف لينخفض إلي 1.8 % تقريبا .
2. من خلال الخطوات العلمية بالبحث اتضح أن للزيادة الطبيعية الدور الأكبر في الزيادة في عدد السكان بليبيا ، أما الزيادة الغير طبيعية للسكان بليبيا فقد كان لها دور في زيادة عدد السكان في حقبة معينة وهي من (1954–1973 ف) ودلك من خلال عودة الليبيين من المهجر بعد انتهاء فترة الاستعمار واستقلال البلد .

[1] عبا صرة ، ثائر مطلق محمد ، التخطيط الإقليمي ، دراسة نظرية وتطبيقية ،دار الحامد للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى 2009 ص 103 – 104 ، وتقرير الهيئة العامة للبنية الأساسية والتنمية العمرانية مصلحة التخطيط العمراني ، التقرير الفرعي التمهيدي للسكان طرابلس .

والتوصيات والإجراءات :

من التغيرات الديموغرافية في ليبيا نستخلص مجموعة من التوصيات والإجراءات التي تسعي لإحداث التنمية البشرية الوطنية بليبيا وهي :

1. يعتبر السكان المكون الرئيسي من مكونات التخطيط الوطني باعتبار أنهم هم من يقوم بالتنمية وهم المستفيد الأول من التنمية .

2. تشجيع كلا الجنسين علي الزواج والحد من ظاهرة تأخر سن الزواج وتعديل القوانين التي تحدد سن الزواج .

3. توفير فرص العمل وتحسين مستوي الد خول بما يكفل العيش في مستوي كريم لليبيين .

4 ـ توزيع الخدمات الصحية بشكل عادل علي المستوي القومي والمحلي والعمل علي مكافحة الأمراض السارية والمعدية .

5. تحقيق التنمية المكانية في كل البلديات والمحلات بما يكفل إلغاء المناطق الطاردة للسكان في الأرياف ومناطق الجدب السكاني بالتجمعات الحضرية .

6 .رفع مستوي الدخل للبلديات ، حيت أن توفير الأنشطة الاقتصادية والصناعية منها والزراعية وكذلك الأنشطة الاجتماعية يساعد علي زيادة الدخل المحلي وكذلك القومي .

7.تحديد الإمكانيات والموارد المتاحة داخل أقاليم وبلديات الدولة واستغلالها الاستغلال الأمثل بما يكفل عدم العبث بها وإهدارها للمحافظة علي نصيب الأجيال القادمة من هده الموارد والإمكانيات والثروات .

قائمة المراجع :

1. الهيئة العامة للمعلومات ، النتائج النهائية للتعدادات العامة للسكان من1954–2006 ف.

2. الهيئة العامة للمعلومات ، إدارة التوثيق والمعلومات .

3. تقرير هيئة الأمم المتحدة ، السكان في ليبيا ،الحالة الزواجية للسكان الليبيين 1973 – 2006 ف.

4. التقرير الوطني الأول لحالة السكان في ليبيا لسنة 2010 ف .

5. تقرير اقتصادي ، مجموعة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ،منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ، مايو 2006ف .

6. ابوعيانة ، فتحي محمد ، مشكلات السكان في الوطن العربي ،دار المعرفة الجامعية الإسكندرية .

7. الكيخيا ، منصور محمد ، جغرافية السكان ،منشورات جامعة قار يونس ،الطبعة الأولى 2003 ف.

8.الهيئة العامة للبنية الأساسية والتنمية العمرانية مصلحة التخطيط العمراني ، التقرير الفرعي التمهيدي للسكان طرابلس .

9. المعهد القومي للتخطيط الكويت ، تحليل الإسقاطات السكانية المستقبلية علي بعض المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية .

10. عيا صرة ، ثائر مطلق محمد ، التخطيط الإقليمي ، دراسة نظرية وتطبيقية ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى 2009 .

قاعدة تردد النقد بين السلفية والثمنية وتطبيقاتها

من خلال كتاب بلغة السالك

دراسة استقرائية استدلالية مقارنة

د. عبد المحسن سالم الكاتب
قسم الدراسات الإسلامية/ كلية الآداب
جامعة طرابلس

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، ثم الصلاة والسلام التامان الأكرمان على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان، واهتدى بهديهم إلى يوم الدين، ثم أما بعد:

جاءت الشريعة الإسلامية لتنظم علاقات أربعة: علاقة الإنسان بخالقه وبارئه، وعلاقة الإنسان بزوجه، وعلاقة الإنسان بأخيه بيعا وشراء، ثم علاقته مع القضاء والشهادة إن حصل حصام في بيعه أو شرائه، وعلى هذا تسير كل الكتب الفقهية فتبدأ بتبيين أحكام العبادات، ثم النكاح، ثم المعاملات، وتختم بالأقضية والشهادات – على خلاف في الترتيب بين المذاهب – وهذه الأحكام هي التي تنظم العلاقات الأربع السابق ذكرها.

وقد تسارعت أشكال المعاملات المالية تسارعا عظيما خلال الأربعة عقود الأخيرة، و لعلي لا أبالغ إن قلت: إنه فاق كل التطور السابق وتجاوزه بمراحل، فمن تعدد استخدام البطاقات الممغنطة، إلى الشراء عن طريق الإنترنت، إلى التسوق الشبكي والهرمي، إلى تجارة الفوركس، وأخيرا استحداث العملات الرقمية، إلى غير ذلك من أشكال المعاملات والتصرفات المالية.

هذا التسارع في أشكال البيع والشراء وكافة أشكال المعاملات المالية استدعى من الفقهاء الاجتهاد، وتتبع هذه الأشكال والأنواع للحكم بجواز التعامل بها أو منعه، تبعا لإجازة الشرع إياها بكونها تندرج تحت الكسب المشروع الطيب، أو منعها باعتبارها غررا أو ربا أو أكلا لأموال الناس بالباطل أو غير ذلك، إلا أنه وللأسف لم يكن الاجتهاد والتتبع في نفس سرعة التطور والتغير، ما أدى إلى تضارب الفتاوى واختلافها بين الإجازة والمنع، تبعا لسرعة المسايرة من بطئها، وتبعا لفهم هذه المعاملات وعدم فهمها من قبل الفقهاء والمجتهدين.

ويتميز الشرع الحنيف بوضع قواعد وضوابط معينة، تبين الحلال من الحرام، بألفاظ عامة ومعاني تصلح للتطبيق على كل شكل مستجد من أشكال المعاملات والتصرفات، وهذه القواعد والضوابط واضحة لا لبس فيها ولا غموض، كل من يعرفها ويتمرس في دراستها يستطيع الحكم على أي معاملة بالحلية أو الحرمة، هذا كلام لا خلاف فيه ولا مشاحة، ولكن قائلا قد يسأل ما دامت القواعد واضحة وبينة، وكل من له تمرس بها لا يخطئ في استنباط الحكم منها، فلم هذا الاختلاف وتنوع الأقوال والأحكام في المسالة الواحدة بين فقهاء العصر؟ بل ومن سبقهم من الفقهاء الأربعة وفقهاء الأمصار؟ وللإجابة أقول: إن الخلاف لا يحصل من خلال النظر في القواعد الشرعية والضوابط بل يأتي من تنزيل المسألة على أي ضابط أو قاعدة من القواعد؟ فهذا يرى مسألة ما تندرج تحت أكل أموال الناس بالباطل، والآخر يراها من قبيل أكل أموالهم بطيب نفس منهم، وهذا فقيه يرى مسألة ما تندرج تحت قرض جر نفعا، والآخر يراها من قبيل التبرع والتطوع، وليس مشاحة مقصود منها جلب نفع مترتب على قرض ما، وقس على ذلك.

وفقه المالكية يعد مبرزا في صياغة القواعد والحكم على المعاملات وربطها بأقرب أصل شرعي لها، للحكم بحلية المسألة المدروسة أو حرمتها، وعندهم مجموعة من المؤلفات الفقهية المختصرة والمطولة، بل والمنظومة في بيان أحكام المعاملات وقواعدها الأساسية التي تسهل على الفقيه أو الدارس استحضار أحكام المعاملات، أو القياس على ما قد سبق بيان الحكم فيه بسهولة ويسر، ومما برزوا فيه وبرعوا وضع قواعد عامة

وضـوابط بألفاظ مسيرة وجيزة، من تمكن منها وفهمها سهل عليه المسير في هذا البحر المتلاطم الأمواج.

ولا شك أن أفضل هذه الكتب التي يرجع إليها طلاب علم الفقه المالكي كتاب بلغة السالك لأقرب المسالك على مذهب الإمام مالك، الشرح للشيخ أحمد الدردير[1]، وحاشيته للشيخ الصاوي[2]، كون هذا الكتاب قد حوى خلاصة الفقه المالكي، وبيان مشهوره ومعتمده، لذا وقع اختياري عليه لشرح واستقراء بعض قواعد الفقه المتعلقة بالمعاملات، وأعني بها القواعد المانعة من حلية بيع ومنع جوازه، لا الخاصة بحلية البيع وجوازه، وقد اخترت منها في هذا البحث قاعدة: تردد النقد بين السلفية والثمنية، وهذه القاعدة إن وجدت في أي معاملة من المعاملات أفسدتها وجعلتها باطلة؛ لأن خلاصة هذه القاعدة حصول الربا في المعاملة كما سأبين في ثنايا البحث – بإذن الله تعالى –.

ولذا وسمت البحث بقاعدة تردد النقد بين السلفية أو الثمنية وتطبيقاتها من خلال كتاب بلغة السالك راجيا من الله التوفيق والسداد.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- أهمية دارسة القواعد التي تهتم بعلم المعاملات وفهمها، ومعرفة تنزيلها على المسائل المختلفة؛ نظرا لتطور المسائل والمعاملات وتعددها وحاجة الناس للفتوى فيما يستجد من مسائل.
- أهمية التيسير على طلبة العلم في استقراء مسائل هذه القاعدة بحيث يجدها في بحث واحد مستقل.
- إفهام الطلبة والباحثين معنى القاعدة وكيفية تطبيقها على المسائل التي تستجد أمامه.

---

1 أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي الأزهري الخلوتي الشهير بالدردير، فاضل، من فقهاء المالكية، ولد بمصر، وتعلم بالأزهر، وتوفي بالقاهرة، له (أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك) و (رسالة في متشابهات القرآن) و (نظم الخريدة السنية) وغير ذلك، انظر حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن البيطار، تح: محمد بهجة البيطار، ط2، دار صادر، بيروت، 1993، ص/183 وما بعدها.

2 أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي، فقيه مالكي، نسبته إلى صاء الحجر، في إقليم الغربية، بمصر، توفي بالمدينة المنورة، له (حاشية على تفسير الجلالين) وحواش على بعض كتب الشيخ أحمد الدردير في فقه المالكية، و(الفرائد السنية) ينظر الأعلام، خير الدين الزركلي، ط15، دار العلم للملايين، 2002، 246/1، ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 111/2.

- أهمية بيان الأدلة الشرعية للقواعد الفقهية التي اعتمدها فقهاء المالكية؛ ليحصل للناظر فيها مزيد ثقة في الأحكام المبنية عليها.

أهداف البحث:

- توضيح القاعدة وما يتعلق بها.
- استقراء كامل تطبيقات القاعدة في كتاب بلغة السالك.
- ربط الطالب بالقاعدة وتعويده على استحضارها وحسن تطبيقها متى عرضت عليه مسألة تنطبق عليها القاعدة ليحكم بمقتضاها.
- بيان الأدلة الشرعية التي تعتمد عليها القاعدة.

هيكلية البحث

قسمت البحث إلى مبحثين، وتحت كل مبحث مطالب

المبحث الأول: متعلق بالقاعدة ومعناها وشرحها وبيان أدلتها

المبحث الثاني: تطبيقات القاعدة من خلال الكتاب

المبحث الأول

لفظ القاعدة ومعناها ودليلها

يستحسن قبل البدء في ذكر تطبيقات القاعدة أن أوضح معنى كلمة قاعدة التي أقصدها في البحث هنا، وأن أذكر ألفاظ فقهاء المالكية التي يستعملونها في ذكر هذه القاعدة، ثم التدليل على القاعدة من الأدلة الشرعية المختلفة.

المطلب الأول: لفظ القاعدة

يستعمل فقهاء المالكية ألفاظا متعددة للتعبير عن هذه القاعدة فيقولون أحيانا هذه المعاملة ممنوعة أو تمنع "للتردد بين السلفية والثمنية" وهذا هو اللفظ الأول، وهو الغالب في الاستعمال عندهم، وعادة ما يربطونه بما قبله وهو كلمة النقد أو المنقود، وهذا شائع ولا يحتاج إلى تدليل أو أمثلة؛ فهو أشهر من أن يمثل له، ويكفي مطالعة باب البيوع في كتاب شرح الزرقاني على خليل، أو كتاب حاشية الدسوقي على الشرح الكبير[1] للاطلاع على

1 اخترت هاذين الكتابين بالذات؛ لأنهما أكثر إيرادا للقاعدة والاستدلال بها من بقية الكتب.

هذه الحقيقة دون تعب أو عناء، ولم أعثر على التصريح بلفظ النقد في القاعدة في أي نص فقهي مالكي – حسب اطلاعي – فلم أجده بلفظ "تردد النقد أو المنقود بين السلفية والثمنية".

اللفظ الثاني: ويستعمل أحيانا، وهو أقل وأندر من الاستعمال الأول ونصه: "تردد الثمن بين السلفية والثمنية" إما بالتصريح بلفظ الثمن في القاعدة، وإما بحذف لفظ الثمن، ولكن يكون مرجع الضمير لفظ الثمن، لا لفظ النقد كما في اللفظ الأول، ولم أجد التصريح بكلمة الثمن في الكتابين المذكورين سابقا إلا في موضع واحد في شرح الزرقاني حيث قال: "وانظر هل جواز التقديم ولو مع الشرط أم لا؟ لتردد الثمن حينئذ بين السلفية والثمنية"[1] وفي حاشية الدسوقي وجدت مرتين فقط التصريح بالثمن منهما " ولَو أَسقَطَ الشَّرطَ لتَرَدُّد الثَّمنِ بين السَّلَفيَّة والثَّمنيَّة"[2]، وقريب من هذا قول القرافي[3]: " فأَصل ابنِ الْقَاسمِ[4]: الْمنع لتَرَدُّد الثَّمنِ بين السَّلَف والثَّمنِ"[5] والمعنى واحد في الجميع، أما ورود القاعدة بحذف كلمة الثَمنَ فكثير، ولا حاجة للتمثيل له .

اللفظ الثالث: ونصه "لئلا يكون تارة ثمناً وتارة سلفا" والمرجع إما أن يكون النقد أو المنقود كما في المثال الأول، وإما أن يكون الثمن كما في اللفظ الثاني، وتارة يجعلون الضمير راجعا على كلمة رأس المال، ونحو ذلك، وهو أقل استعمالا من اللفظين الأولين.

اللفظ الأدق والأصوب: أرى – والله أعلم وأحكم – أن التصريح بلفظ النقد أو المنقود أدق وأولى في القاعدة؛ لأنه لم يكن ثمنا خالصا حين إعطائه، بل هو متردد بين أن

---

1 شرح الزرقاني على مختصر خليل، عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، 2002، 393/5.

2 حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد الدسوقي، دار الفكر، 71/3.

3 أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمن المصري، انتهت إليه رئاسة الفقه على مذهب مالك، كان إماماً بارعاً في الفقه والأصول والعلوم العقلية، وله معرفة بالتفسير، وتخرج به جمع من الفضلاء، أخذ كثيراً من علومه عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام الشافعي، له (الذخيرة) و (الفروق) و (القواعد) وغير ذلك، توفي سنة 684 هـ ، ينظر الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، إبراهيم بن علي بن فرحون، تح: محمد الأحمدي، دار النشر والتوزيع ، القاهرة، ص/236 وما بعدها.

4 عبد الرحمن بن القاسم بن خالد ابن جنادة العتقي، أصله من الشام وسكن مصر، خرج من مورثه كله ليصل الإمام مالكا، من كبار المصريين وفقهائهم، قال ابن وهب لأبي ثابت: إن أردت هذا الشأن، يعني فقه مالك، فعليك بابن القاسم، فإنه انفرد به وشغلنا بغيره، ولم يقعد لمالك مثله، توفي سنة 191 هـ، ينظر ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تح: مجموعة من الباحثين، ط1، مطبعة فضالة، المحمدية/ المغرب، 244/3 وما بعدها.

5) الذخيرة، شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تح: محمد حجي وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي/ بيروت/ لبنان، 1994، 255/5.

يكون ثمنا، وبين أن يكون دينا أو سلفا، فتسميته ثمنا فيه مجاز أو تسمح؛ لأنه ليس ثمنا حقيقة، أما جعله بلفظ النقد فهو على الحقيقة؛ لأنه قد نقد ودفع، فليس فيه مجاز ولا تسمح، فالأولى التعبير به ليكون نص القاعدة "تردد النقد بين السلفية والثمنية" وإن كان الغالب على المشايخ وطلبة العلم التعبير عنها بلفظ: "تردد الثمن بين السلفية والثمنية" والمعنى والنتيجة واحدة، وإذا فهم المعنى فلا مشاحة في الاصطلاح.

المطلب الثاني شرح القاعدة، ومعنى كونها قاعدة

يعني المالكية بالقاعدة أنك لو نقدت شخصا ما مالا معينا؛ نتيجة معاملة ما ولكن هذا المدفوع أو المنقود ليس متمحضا للثمن، بل قد تتم المعاملة ويصير المدفوع ثمنا للمثمن المقابل له، وقد يكون سلفا يرده صاحب المثمن إذا لم تتم المعاملة، وقد دخلا بداية على ذلك، فتصير المعاملة ممنوعة؛ لأنها تؤدي إلى الربا عندهم، وهذا يجرنا لمعنى قاعدة هنا، هل المقصود قاعدة فقهية؟ أم قاعدة أصولية؟ أم هي ضابط لمسائل وفروع باب المعاملات فقط؟ والحق أنها لا هذه ولا تلك، فهي ليست قاعدة أصولية صرفة، ولا قاعدة فقهية بالمعنى المتعارف عليه، وكذا لا تعتبر ضابط فقهيا خالصا، فهي تخالف القاعدة الفقهية التي عرفها السبكي[1] وغيره بقولهم: "الأمر الكلي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة يفهم أحكامها منها"[2] وأجود منه تعريف الشيخ علي الندوي بأنها "حكم شرعي في قضية أغلبية يتعرف منها أحكام ما دخل تحتها"[3] وذلك لأنها ليست لمجرد معرفة الفروع، بل هي أصل متى وجد وجد الحكم، وهو تحريم المعاملة لوجود الربا، وليس فيها استثناء بخلاف القاعدة الفقهية التي تعتبر أغلبية، وليست كلية، كما أنها لا تستقى منها الأحكام بل تسهل الوصول للحكم فقط، فلا يصح تسميتها بالقاعدة الأصولية، أما القاعدة الأصولية فتعرف بعدة تعريفات منها تعريف الدكتور محمد عثمان شبير بأنها: "قضية كلية يتوصل بها لاستنباط الأحكام الشرعية

1 تاج الدين عبد الوهاب بن عليّ بن عبد الكافي السبكي، ولد سنة 728 هـ، سمع جماعة، وختم القرآن صغيراً، عني بالحديث، ولازم الذهبي، ومهر في الفنون، وولي قضاء دمشق بعد أبيه إلى أن مات، كان مكباً على الاشتغال والتصنيف، (له شرح مختصر ابن الحاجب) و (شرح منهاج البيضاوي) و (الطبقات الكبرى والوسطى والصغرى) وغير ذلك كثير، توفي سنة 771 هـ، ينظر فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عبد الحي الكتاني، تح: إحسان عباس، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، 1038/2.

2 الأشباه والنظائر، تاج الدين السبكي، دار الكتب العلمية، ط1، 1991، 21/1، والقواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، محمد الزحيلي، ط1، دار الفكر/ دمشق، 2006، 22/1.

3 القواعد الفقهية مفهومها نشأتها تطورها، على الندوي، ط2، دار القلم/ دمشق، 1991، ص/43.

الفرعيـة مـن أدلتهـا التفصـيلية"[1] وكـل التعريفـات لا تخلـو مـن مقـال[2] وهـي متقاربـة فـي المعنى، وقاعدتنا هنا تخالف القاعدة الأصولية بأنها خاصة باب المعاملات بخلاف القاعدة الأصولية التي تكون عامة في كل ما تنطبق عليه، وأما الضابط الفقهي فتعريفه نفس تعريف القاعدة الفقهية إلا أن الفرق بينهما أن القاعدة قد تكون عامة في كل كتب الفقه أما الضابط فيكون خاصا بكتاب فقهي معين فقط، وفي هذا يقول ابن نجيم[3]: "الفرق بين الضابط والقاعدة: إن القاعدة تجمع فروعا من أبواب شتى، والضابط يجمعها من باب واحد، هذا هو الأصل"[4] والفرق بينهما أن قاعدتنا تنطبق على أكثر من باب فقهي إذا اعتبرنا أن المعاملات أبواب مختلفة، وأيضا ينطبق الخلاف بين قاعدتنا وبين القواعد الفقهية على الضابط أيضا، والأقرب أنها قاعدة بين الفقهية وبين الأصولية؛ لأنها تعرِف أحكام جزيئاتها، و لكن بتطبيقها هي نفسها دون حاجة لمعرفة حكم المسألة، أو المسائل التي تنطبق عليها من مسائل أصولية أولا، وفي نظري أن أقرب شبه لها القواعد الفقهية التي تستند في لفظها إلى دليل شرعي تستقى منه الأحكام كقاعدة "الضرر يزال" التي تعتبر تقنينا فقهيا لقوله – صلى الله عليه وسلم –: "لَا ضرر ولَا ضرار"[5] وكقاعدة "الأمور بمقاصدها" التي تعتبر تقنينا لقوله – صلى الله عليه وسلم – "إنَّما الأَعمال بالنِّيَّات"[6] وقس على ذلك، وتجدر الإشارة إلى أنني لم أعثر على معنى هذه القاعدة ولا لفظها لا في كتب القواعد

1 القواعد الكلية والضوابط الفقهية في الشريعة الإسلامية، محمد عثمان شبير، دار النفائس، الأردن، ص/27.

2 بحث القواعد الأصولية وطرق استنباط الأحكام منها، محمد شرف مصطفى، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) العدد السادس عشر، ص/281،282.

3 زين بن إبراهيم بن محمد، المشهور بابن نُجيم، كان إماماً، عالماً عاملاً، مؤلفاً مُصنفاً، أخذ عن جماعة من علماء الديار المصرية، له (الأشباه والنظائر) و(شرح المنار) و (البحر الرائق) وكتب الله له في مؤلفاته القبول، فما كتب ورقة إلا واجتهد الناسُ في تحصيلها بالمال والجاه، وسارت بها الركبان في سائر البلدان، توفي سنة 970 هـ، ينظر الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تقي الدين عبد القادر الغزي، تح: عبد الفتاح الحلو، ط1، دار الرفاعي، الرياض، 1983، 275/3،276.

4 الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، زين العابدين بن نجيم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، 1980، ص/166.

5 مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط1، مؤسسة الرسالة، 2001، مسند عبد الله بن العباس، الحديث رقم (2865) 55/5،56، وسنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط1، دار الرسالة العالمية، 2009، أبواب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، الحديث رقم (2340) 432/3 وقد نص محققا الكتابين على صحة الحديث لغيره.

6 صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، تح: محمد زهير بن ناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422 هـ، باب بدء الوحي، الحديث رقم (1) 6/1.

الفقهية، ولا الأصولية، ولا الضوابط الفقهية التي اطلعت عليها، فكأن لها مفهوما خاصا بكتب المالكية الفقهية.

المطلب الثالث: شرح القاعدة وتطبيقها ودليلها

يقصد المالكية بالقاعدة: أن من دفع ثمنا لشيء ما وكان مترددا بين أن يكون ثمنا لما دفعه وبين أن يرده له من أخذه إذا لم تتم المعاملة فيكون دينا، فقد وقع في الربا، فمنع المالكية كل المسائل التي تنطبق عليها القاعدة؛ لأنها تؤدي إلى الربا عندهم احتمالا، وقيام الاحتمال مع استطاعة دفعه يؤدي عندهم إلى وقوع الربا حقيقة، ولم أجد من صرح بذلك إلا الشيخ الدردير وشارح شرحه، حيث قال: " (للتردد بين السلفية و الثمنية) أي والتردد بينهما من أبواب الربا؛ لأنه سلف جر نفعاً احتمالا"[1] وأوضح منه قول الصاوي: "أي وحكمة منع التردد بين السلفية والثمنية ما فيه من سلف جر نفعاً؛ لأن الدافع للثمن لم يكن قصده بالسلف على احتمال حصوله وجه الله، بل رضاه به مجوزاً كونه ثمناً، ولولا ذلك ما دفعه هكذا قرر الأشياخ"[2] ومثال ذلك أن يشتري خالد من علي مثلا سيارة على الوصف تصل الميناء بعد أسبوع ثم يشترط عليه علي أن ينقد الثمن من الآن، فلو دفع علي لتردد ما دفعه بين أن يكون ثمنا لو جاءت السيارة على الصفة وتمت الصفقة، وبين أن يكون ما دفعه سلفا أو دينا لو جاءت على غير الوصف؛ لأن خالدا سيرد الثمن لعلي، وهما كانا يقدران على دفع ذلك بعدم النقد حتى تأتي السيارة، ويتضح الأمر، فلو دفع تمحض المدفوع للثمن، ولو رد فلم يسلف شيئا، فلا تنطبق القاعدة على المسألة فتجوز.

ولسائل أن يسأل وأين الربا في ذلك؟ وكيف تكون هذه القاعدة سببا لتحريم المعاملات التي تنطبق عليها؟ وبأي دليل استدل المالكية على ذلك؟.

وأقول – وبالله التوفيق–: إن المالكية يتحرزون جدا في مسائل الربا، وذلك للآيات والأحاديث الكثيرة التي تحذر منه كقوله تعالى: ﴿وَأَحلَّ ٱللَّه ٱلبيع وحرَّم ٱلرِبوٰاْ﴾[3] وقوله

1 الشرح الصغير، أحمد بن محمد الدردير، ط الأخيرة، مكتبة ومطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده، مصر، 1952، 292/2.
2 حاشية الصاوي 49/2.
3 البقرة 275.

تعالى: ﴿يمحق ٱللَّه ٱلرِّبوٰاْ ويربِي ٱلصَّدقَت﴾[1] وقوله تعالى: ﴿يٰأَيُّها ٱلَّذين ءامنواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّه وذَرواْ ما بقِي من ٱلرِّبوٰاْ إِن كنتم مُّؤمنين فَإِن لَّم تفعلُواْ فَأْذَنواْ بحرب من ٱللَّه ورسوله ۦوإِن تبتم فَلَكم رءوس أَموٰلكم لَا تظلمون ولَا تظلَمون﴾[2] وقوله تعالى: ﴿يٰأَيُّها ٱلَّذين ءامنواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبوٰاْ أَضعٰفا مُّضعفَة وٱتَّقُواْ ٱللَّه لَعلَّكم تفْلحون﴾[3] ومن الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم: "ولَعن الْواشمةَ والْمستوشمةَ وآكل الربا وموكلَه"[4] وغير ذلك من الأدلة التي تحرمه حرمة قاطعة لا شبهة فيها ولا شك.

لذا كان علماء المالكية يحرمون كثيرا من المسائل بدعوى دخول الربا فيها، ولا يحرمها بقية فقهاء المذاهب أو أغلبهم على الأقل، ولعل هذه القاعدة أوضح مثال على ذلك، ولقائل أن يقول: وأين الربا في ذلك؟ والجواب أنه دفع دينا أو سلفا ليتوثق به في حصول بيع ما، فلم يكن قرضه أو تسليفه خالصا لله، بل كان في جزء منه يراد به الدنيا، فكان زيادة من هذه الناحية فوقع الربا، وزيادة في التوضيح أقول: لنفرض أن عليا أراد استلاف مبلغ من المال من خالد كما في المثال السابق، فلم يرد خالد أن يسلف عليا فعرضت سلعة ما فقال خالد: سأدفع لك المبلغ سلفا فإن أَحضرت السلعة الفلانية فأنا سأشتريها منك بما دفعته لك من المال، وإن لم تحضر فهذا سلف رده إلي؟ ففي هذه الحالة استفاد خالد من المال الذي دفعه لعلي للتوثق، وفوزه بالبيع لو حضرت سلعة علي، وهذا زيادة على القرض فتعتبر ربا عند المالكية لعموم منع الاستفادة بناء على قاعدة كل قرض جر منفعة فهو ربا.

ولابن يونس[5] وجه آخر للتدليل على صحة القاعدة بالقياس على بيع العربون حيث نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم؛ ففي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم "نهى عن

1 البقرة 276
2 البقرة 278 – 279.
3 آل عمران 130.
4 صحيح البخاري، كتاب ، كتاب البيوع، باب ثمن الكلب، الحديث رقم (5962) 169/7.
5 محمد بن عبد الله بن يونس الصقلي، الإمام الحافظ النظار، أحد العلماء وأئمة الترجيح، الفقيه الفرضي الفاضل، ملازم للجهاد، ألّف كتاباً في الفرائض، وكتاباً حافلاً للمدونة أضاف إليها غيرها من الأمهات، عليه اعتماد طلبة العلم. توفي سنة 451 هـ، وقبره بالمنستير ينظر شجرة النور الزكية في طبقات المالكية/ محمد بن محمد مخلوف، تع: عبد المجيد خيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، 2003، 164/1،165..

بيع الْعربانِ "[1] حيث جعل ابن يونس العلة في النهي تردد للثمن بين أن يكون عطية أو يكون ثمنا، فكذلك هنا، حيث قال ابن يونس في باب اشتراط النقد في بيع الخيار: "قال غيره: لأن ذلك يصير تارة ثمنا وتارة سلفًا، فحرم، وضارع ما نهى عنه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من بيع العربان، الذي هو تارة ثمن وتارة عطية"[2] والتدليل الأول للقاعدة أصح، وأدق، حيث لم يوافق ابن يونس غيره من علماء المالكية، واعتبروا أن سبب النهي عن بيع العربون؛ أنه يستلزم أكل أموال الناس بالباطل، وأنه بيع غرر ومخاطرة لا لحصول الربا[3]، والصورة التي قاس عليها ابن يونس غير الصورة المرادة من الحديث، وهي إذا ما أعطاه العربون بشرط إن تم البيع حسبه من الثمن، وإن لم يتم البيع رد له ما دفعه، وستأتي هذه الصورة في التطبيقات، بإذن الله.

المطلب الرابع: مقارنة مع بقية المذاهب

لم أعثر على من قال بهذه القاعدة من أصحاب المذاهب الأربعة، ولا من اعتمدها في الفروع التي ذكرها المالكية فيها، ورتبوا عليها حرمة البيع ووقوع الربا احتمالا، وهذا واضح من عدم ذكر هذه القاعدة، ولا الأحكام التي تترتب عليها في المحال التي اعتمدها المالكية، وقد نص ابن رشد الحفيد[4] وغيره[5] صراحة على ذلك في إحدى أهم المسائل التي التي طبق فيها المالكية القاعدة، وهي مسألة بيع الخيار، حيث اشترط المالكية منع اشتراط

---

1 الموطأ برواية ابن القاسم، مالك بن أنس، تح: ميكلوش موراني، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ص/29، وسنن ابن ماجه 311/3، والسنن الكبرى للبيهقي،

2 الجامع لمسائل المدونة، ابن يونس الصقلي، تح: مجموعة من الباحثين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، توزيع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2013، 836/13.

3 صرح بذلك اللخمي وابن عبد البر وذكرا العلل الثلاث في سبب تحريم بيع العربون عندهم وعند من وافقهم من الفقهاء، ينظر التبصرة، علي بن محمد الربعي، تح: أحمد عبد الكريم نجيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1/ 2011، 9272/9،9273، والاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، يوسف بن عبد البر النمري، تح: سالم عطا وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت 2000، 263/6، وصرح ابن رشد والخرشي وغيرهما بأنه من قبيل أكل أموال الناس بالباطل ينظر المقدمات الممهدات، محمد بن رشد القرطبي، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت/ لبنان، 1988، 72/2، وشرح مختصر خليل للخرشي، محمد بن عبد الله الخرشي، دار الفكر للطباعة، بيروت، 78/5.

4 أَبُو الوَلِيْدِ، مُحَمَّدُ بنُ أَبِي القَاسِمِ أَحْمَدَ ابْنِ شَيْخِ المَالِكِيَّةِ، ولد سنة 125 هـ، عرض "المُوَطَّأَ" عَلَى أَبِيْهِ، برع في الفقه، وأخذ الطب عَنْ ابن حَزْبُول، كَانَ يُفزَع إِلَى فُتْيَاهُ فِي الطِّبّ، كَمَا يُفزَع إِلَى فُتيَاهُ فِي الفِقْه، مَعَ وَفور العَرَبِيَّة، لَهُ (بدَايَة المُجْتَهِد) وَ(الكُلِّيَّات) فِي الطِّبّ، وَ(مُخْتَصَر المُسْتَصفَى) فِي الأُصُوْل، وَمُؤَلَّف فِي العَرَبِيَّة، وَلِيَ قَضَاءَ قُرْطُبَة، فَحُمِدَت سيرَته، ينظر سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تح: مجموعة من الباحثين، ط3، مؤسسة الرسالة، 1985، 307/21 وما بعدها.

5 نص على ذلك الدكتور دبيان محمد الدبيان في كتابه المعاملات المالية أصالة ومعاصرة، دبيان محمد الدبيان، ط2، مكتبة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض/ السعودية، 1432 هـ، 258/6.

النقد في بيع الخيار ؛ لأنه إن تم البيع صار المدفوع ثمنا، وإن لم يتم البيع وجب رد علي البائع ما أخذه من المشتري، فتردد النقد بين السلفية والثمنية فيمنع، ومثاله أن يشتري سعيد من أحمد سيارة بألفين مثلا، ولكن اشترط سعيد الخيار ثلاثة أيام إن شاء أمضى البيع وإن شاء رده، واشترط عليه أحمد أن ينقده الألفين، فهنا قال المالكية بمنع هذه المعاملة؛ لأنها تؤدي لتردد الثمن بين السلفية والثمنية، بحيث يصير ثمنا إن اختار سعيد الشراء، ويكون سلفا لو اختار سعيد عدم الشراء ورد السلعة، واشتراطهما الثمن يدل على أنهما دخلا على الربا ابتداء ولذا لو تطوع سعيد بالدفع دون شرط لجاز؛ لأن ذلك يدل على التبرع المحض دون التوثق بدفع السلف لحصول البيع فلا يكون من قبيل الربا.

حيث قال ابن رشد في بداية المجتهد "وأما اشتراط النقد فإنه لا يجوز عند مالك وجميع أصحابه لتردده عندهم بين السلف والبيع وفيه ضعف"[1]، ويفهم من فتوى الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف الإماراتية تفرد المالكية بهذا القول في مسألة غير المسألة المتقدمة فقد جاء في موقعها الرسمي ".... إن شاء قام به، وإن شاء لم يقم به، ولا يترتب على ذلك غرر ولا جهالة ولا خصومة ولا غير ذلك من الموانع الشرعية، التي تمنع من هذه المعاملة، ومعلوم أن الأصل في المعاملات الحل حتى يثبت دليل معتبر يمنع منها، فحينئذ تحرم. ورأى المالكية أن في هذه المعاملة محظورا وهو وجود الخيار فيها لمدة شهر مع تقديم الثمن؛ لما في ذلك من التردد بين الثمنية والسلفية؛ لأن المشتري يكون قد دفع الثمن متردداً فيه بين أن يكون ثمناً للسلعة إن تم البيع، وبين أن يكون سلفا إن فسخ البيع"[2] حيث نسبت القول بهذه القاعدة للمالكية دون غيرهم.

1 بداية المجتهد ونهاية المقتصد، محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، ط4، مصطفى بابي الحلبي وأولاده، مصر، 1975، 210/2.

2 موقع الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف الإماراتية، فتوى شراء منتج وكتابة تقييم للحصول على ثمنه كهدية، على الرابط https://www.awqaf.gov.ae/ar/Pages/FatwaDetail.aspx?did=125564>

المبحث الثاني

تطبيقات القاعدة من خلال كتاب بلغة السالك

التطبيق الأول: عدم وجود المسلَم غالبا في باب السلم، والسلم هو :"عَقْدُ مُعَاوَضَةٍ يُوجِبُ عِمَارَةَ ذِمَّةٍ بِغَيْرِ عَيْنٍ وَلَا مَنْفَعَةٍ غَيْرِ مُتَمَاثِلِ الْعِوَضَيْنِ"[1] حيث يشترط المالكية أنَّ يعجل تسَليم الثَمنَ قبل مضي ثلاثة أيامٍ من العقد، وإلاَ كان ابتداء الدين بالدين وهو ربا لا يجوز[2] ، واشترطوا أيضا أن يكون المسلم فيه غالب الوجود وممكن التسليم وقت الإبان، أو قت حلول أجل السلم، وإلا لأدى ذلك لاحتمال وجوده وتمام العقد فيكون المدفوع ثمنا، أو عدم وجوده فيكون المدفوع سلفا يرده المسلم، وهذا معنى التردد بين الثمنية والسلفية فيمنع العقد بهذه الصورة إذا كان المسلم فيه وهو ما يقابل السلعة في البيع العادي غير غالب الوجود عادة، ونص البلغة: "(إن يوجد المسلم فيه عند حلوله غالباً)[3] وقال الصاوي شارحا: أي بأن يكون مقدوراً على تسليمه وقت حلول الأجل؛ لئلا يكون الثمن تارة سلفاً وتارة ثمناً"[4].

التطبيق الثاني: إجارة المعين وتأخره في الشروع في العمل: ويقصدون بالمعين إجازة زيد بعينه أو هذه السيارة بعينها أو هذه الدابة بعينها كما سيتضح في المسألة، فلو أجر محمد سعدا على أن يبني لها جدارا بكذا، على أن يكون الباني سعدا لا غيره، وقال له سعد سأبدأ البناء بعد شهر مثلا، واشترط على محمد أن ينقذه الأجرة حالا، فتمنع هذه الصورة لاحتمال أن يسلم سعد ويبني الجدار، فيكون ما أخذه ثمنا لمنافعه، وألا يسلم فيكون ما أخذه دينا يجب عليه رده لمحمد، ولذا فقد تردد المنقود أو المدفوع بين السلفية والثمنية فيمنع،

1 الهداية كافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، محمد بن قاسم الرصاع، ط1، المكتبة العلمية، 1350، ص/291.

2 ينظر عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، جلال الدين عبد الله بن شاس، تح/ حميد محمد الأحمر، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت/ لبنان، 2003، 751/2، ومناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل في شرح المدونة وحل مشكلاتها، علي بن سعيد الرجراجي، ط1، دار ابن حزم، 20007، 95/6، والتوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب، خليل بن إسحاق، تح: أحمد عبد الكريم نجيب، ط1، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، 2008، 3/6.

3 الشرح الصغير 100/2.

4 بلغة السالك لأقرب المسالك لمذهب الإمام مالك، أحمد بن محمد الصاوي، ط الأخيرة، مكتبة ومطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده، مصر، 1952، 100/2.

وهذا نص الشرح الصغير: "(و) إجارة (مستأجر معين) كزيد بعينه، أو هذه الدار بعينها، فالمراد بالمستأجر المعين أعم من العاقل (يتأخر) الشروع فيما استأجر عليه (بعد) أي أكثر (من نصف شهر) فشرط نقد الأجرة يفسد الإجارة؛ لاحتمال تلف الأجير المعين فيكون سلفا، وسلامته فيكون ثمنا، فالعلة في الجميع: التردد بين السلفية والثمنية"(1) وزاده الصاوي شرحا بما قدمته من قوله يؤدي لسلف جر نفعا[2].

التطبيق الثالث: بيع – الموصوف أو المرئي سابقا – على خياره بعد رؤيته: يمنع اشتراط النقد في بيع شيء ما بناء على رؤية سابقة له أو بناء على وصفه – بعد رؤيته وكون الخيار له ، أي يكون له الخيار بعد رؤية الموصوف أو ما رآه سابقا، ومثاله أن يبيع عمر لعثمان سيارة – رآها عثمان من قبل أو وصفت له – بشرط أن يكون لعثمان الخيار بعد رؤيتها مرة أخرى قبل الإمضاء أو الرد، وشرط عمر على عثمان أن ينقده ثمنها حالا؛ وذلك للتردد بين الثمنية والسلفية؛ لأنه إن وافقت السيارة الوصف واختار عثمان الإمضاء كان ما دفعه ثمنا، وإن لم توافقه، أو اختار الرد كان ما دفعه لعمر ثمنا يسترده، فتردد الثمن بين السلفية والثمنية فيمنع، ونص الشرح الصغير: "(و) جاز على الخيار (إن لم يبعد) ما بيع على الصفة أو الرؤية المتقدمة (جدا) . فإن بعد جدا (كخراسان) بالمشرق (من إفريقية) بالمغرب مما يظن فيه التغير قبل إدراكه على صفته لم يجز (إلا على خيار بالرؤية) أي على خيار المشتري عند رؤيته (فيجوز مطلقا) سواء بيع على الصفة أو الرؤية المتقدمة بعد أو لم يبعد (إن لم ينقد) أي إن لم يشترط نقد الثمن للبائع. فإن شرط لم يجز لتردده بين السلفية والثمنية"[3]

التطبيق الرابع: بيع العربون: والعربون عندنا: "إعْطَاء الْمبتَاع الْبَائع أَو الْمكْرِي درْهما أَو دينَارا علَى أَنَّه إِن تَمَّ الْبيع فَهو من الثَّمن وإِلا بقِي للْبَائع"[4] وصورة المسألة أن يعطي شعبان لربيع 1000 دينار مثلا ثمنا لجوال ليس حاضرا في مجلس العقد ثمنه ألفين،

1 الشرح الصغير 48/2،49.
2 ينظر بلغة السالك 49/2.
3 الشرح الصغير 14/2.
4 نقل ابن عرفة التعريف من الموطأ، شرح حدود ابن عرفة ص/257.

ويقول له: إن تم البيع دفعت لك الباقي، وإن لم يتم رددت لي الألف فلا يجوز، لتردد الأف بين أن تكون ثمنا لو تم البيع، وبين أن تكون سلفا لو لم يتم، ولا يجوز البيع إلا بشرط أن يختم على هذا المبلغ ليصير معينا؛ لأن المعينات لا تدخل الذمة فلا تدخلها حينها القاعدة المعروفة ويصح البيع، ونص البلغة: قوله: [جاز] : "أي وتحتم[1] عليه إن كان لا يعرف بعينه – كما قال المواق[2] – لئلا يتردد بين السلفية والثمنية"[3].

التطبيق الخامس: الإبهام في اشتراط عتق المشتري العبد، أو تخييره في العتق بشرط النقد، وذلك في مسألة بيع العبد واشتراط البائع أن يعتق المشتري العبد: ففي هذه المسألة – بيع البائع واشتراط عتقه على مشتريه – أربع صور صورتان ممنوعتان؛ لأنهما تؤديان لتردد الثمن بين السلفية والثمنية، وصورتان جائزتان لخلوهما من انطباق القاعدة عليهما، والصورتان الممنوعتان أن يبيعه العبد بإبهام شرط العتق دون التصريح به، أو يبيعه بشرط تخيير المشتري في العتق من عدمه؛ مع اشتراط البائع النقد حالا على المشتري؛ لأنه إن اختار عدم العتق كان بيعا بشرط لم ينفذ فيخير البائع بين الرد والإمضاء، فيكون ما دفع سلفا يجب على المشتري رده، إن اختار البائع رد البيع لانتفاء الشرط، وإن اختار العتق كان ما دفعه المشتري ثمنا؛ لزوال تخيير البائع في الرد لتنفيذ الشرط، فتردد الثمن بين السلفية والثمنية فيمنع البيع ونص البلغة: "... فوجهان لا يجبر فيهما المشتري على العتق، ولا يجوز فيهما اشتراط النقد، بل شرط النقد يفسده: لتردده بين السلفية والثمنية: الأول إن أبهم البائع في شرطه العتق، بأن قال: أبيعك بشرط أن تعتقه، ولم يقيد ذلك بإيجاب ولا خيار، والثاني: التخيير بأن قال: أبيعك على أنك مخير بين عتقه ورد البيع"[4].

1 كذا في الأصل والصواب تختم أو ختم عليه؛ لأنه بذلك يدخل تحت قاعدة الذمة لا تقبل المعينات فلا يكون دينا، وبذا يخرج من تطبيقات قاعدة تردد الثمن بين السلفية والثمنية.

2 محمد بن يوسف بن أبي القاسم الغرناطي، أبو عبد الله المواق: فقيه مالكي: كان عالم غرناطة وإمامها وصالحها في وقته، له (التاج والإكليل في شرح مختصر خليل) و (سنن المهتدين في مقامات الدين) ينظر شجرة النور الزكية 378/1، والأعلام 154/7،155، ومعجم المؤلفين 133/12.

3 بلغة السالك 34/2.

4 بلغة السالك 35/2.

التطبيق السادس: بيع الثنيا أو بيع المعاد: وهو أن يشتري شخص من شخص سلعة ويأخذ ثمنها، ويقول له: متى جئتك بالثمن رددت سلعتي، وذلك لأنه وجد ثمنها رد البيع فصار ما أخذه أولا سلفا، وإن لم يجد الثمن صار ما أخذه البائع ثمنا، فتردد المدفوع بين السلفية والثمينة، وهذا إذا شرط على البائع ذلك، أما إن تبرع له البائع بذلك بعد العقد فجائز لانتفاء طلب التوثق للبيع، وحلول التبرع وامتناع المكايسة مكانه، وهذا نص البلغة: "وهو المعروف في مصر ببيع المعاد بأن يشترط البائع على المشتري أنه متى أتى له بالثمن عاد له المبيع، فإن وقع ذلك الشرط حين العقد أو تواطآ عليه قبله كان البيع فاسدا، ولو أسقط الشرط لتردد الثمن بين السلفية والثمنية، وأما إذا تبرع المشتري للبائع بذلك بعد العقد بأن قال له متى رددت إلي الثمن دفعت لك المبيع كان البيع صحيحا"[1].

التطبيق السابع: الخيار بشرط النقد: وذلك في خيار التروي، وهو: "بيع وُقِّفَ بتُّهَ أَوَّلًا علَى إمْضَاء يتَوقَّع"[2] وذلك بأن يشْترط خيار في سلعة ما مدة، كأن يشتري وائل من عدنان حاسوبا ويشترط عليه الخيار مدة ما، بحيث إذا رضيه أبقاه وإن كرهه رده، وشرط عدنان أن يدفع له وائل الثمن مقدما، وذلك لتردد الثمن بين السلفية والثمنية، فلو رضي به صار ما دفعه ثمنا، ولو لم يرض به صار ما دفعه سلفا يجب رده، فآل الأمر مع اشتراط النقد إلى المخاطرة والغرر والربا فمنع، ونص الشرح الصغير: "(و) فسد بيع الخيار إذا وقع (بشرط النقد) للثمن؛ للتردد بين السلفية والثمنية، وإن لم ينقد بالفعل، بخلاف التطوع به بعد العقد"[3].

التطبيق الثامن: بيع مواضعة على البت: والمواضعة: "أَن يجعل مع الْأَمَة مدَّة اسْتبرائِهَا فِي حوزِ مقْبولٍ خبره عن حيْضَتها"[4] والمراد أنه لو اشترى شخص من شَخص أمة وتُوضعت تلك الأمة عند أمين، بحيث يتأكد من براءة رحمها، وشرط عليه البائع الدفع مقدما قبل تمام مدة المواضعة، فالبيع باطل لتردد الثمن بين السلفية والثمنية، إلا إن تبرع

1 المرجع السابق 38/2.
2 شرح حدود ابن عرفة ص/266.
3 الشرح الصغير 48/2.
4 شرح حدود ابن عرفة ص/219.

المشتري بالدفع دون شرط فيجوز، لاحتمال كونها حاملا فيرد البيع فيصير المدفوع سلفا، ولاحتمال براءة رحمها فيصير المدفوع ثمنا للأمة، ونص الشرح الصغير: "ومواضعة بيعت على البت، فإن شرط النقد يفسده"[1].

التطبيق التاسع: بيع الغائب على الصفة إذا كان بعيدا من غير العقار: ومعناه أن تبيع سلعة – غير عقار – على وصفها دون رؤيتها؛ وغيبة السلعة كبيرة، لأنه غالبا سيقع التغير مع طول الغيبة، وذلك لأنه إن وافق الحال الصفة بعد الرؤية وسلم المبيع تم البيع، وإلا كان المشتري بالخيار؛ لإن شرط النقد في هذه الحالة يجعل المنقود ثمنا إن وافقت الرؤيةُ الصفةَ، ويجعله سلفا إن لم توافقها، واختار المشتري الرد، واستثنوا العقار من هذه المسألة؛ لأن العقار لا يسرع إليه التغير فأمن الرد غالبا، فانتفت علة التردد بين السلفية والثمنية، ونص الشرح الصغير : "كغائب من غير العقار"[2] والتشبيه في فساد البيع لو شُرِط النقد ؛ لتردد المدفوع بين أن يكون سلفا أو أن يكون ثمنا.

التطبيق العاشر: بيع رقيق بشرط عهدة الثلاث مع اشتراط النقد: ويقصد بعهدة الثلاث: " تعلق ضمان المبيع بالبائع في زمن معين، وهي قسمان: عهدة سنة، وهي قليلة الضمان طويلة الزمان، وعهدة ثلاث، أي ثلاثة أيام، وهي قليلة الزمان كثيرة الضمان عكس الأولى"[3] ومثاله أنه لو باع زيد عمرا رقيقا واشترط عمرو عهدة الثلاث فيه، بحيث يرده بأي عيب حادث فيها، واشترط زيد على عمرو نقد الثمن، فالبيع باطل لتردد النقد بين السلفية والثمنية، لاحتمال سلامة الرقيق فيصير المنقود ثمنا واحتمال عدم سلامته فيكون المدفوع سلفا، فمنع، ونص الشرح الصغير : " (و) كبيع رقيق بشرط (عهدة الثلاث) فإن شرط النقد يفسده"[4].

1 الشرح الصغير 48/2.
2 الشرح الصغير 48/2.
3 أسهل المدارك (شرح إرشاد السالك في مذهب إمام الأئمة مالك) أبو بكر الكشناوي، ط2، دار الفكر، بيروت/ لبنان، 296/2.
4 الشرح الصغير 48/2.

التطبيق الحادي عشر: كراء أرض للزراعة لم يؤمن ريها مع اشتراط النقد: وصورة المسألة أن يستأجر علي من رضوان أرضا ليزرعها بعشرة الآف دينار في الموسم مثلا، والأرض غير مؤونة الري، بحيث يمكن أن يتحصل علي على الماء ويتم الإجارة، وبين أن يعجز عن ريها فيفسخها، واشترط رضوان على علي دفع الميلغ مقدما، فهنا احتمال عدم تمام الإجارة كبير فيصير المدفوع لرضوان سلفا، واحتمال تمامها قائم أيضا فيكون المدفوع ثمنا لمنافع الأرض فتمنع الإجارة لتردد الكراء المدفوع بين السلفية والثمنية، ونص الدردير: " (و) جاز (غيرها) أي المأمونة (إن لم ينقد) أي لم يشترط النقد، فإن اشترط النقد لم يجز (وإن سنة) للتردد بين السلفية والثمنية، وأما النقد تطوعا بعد العقد لم يضر "[1] وزاده الشارح بيانا وقال: "[للتردد بين السلفية والثمنية] وجه ذلك أنها إن رويت صارت الأجرة ثمنا، أي تمت في نظير المنافع، وإن لم ترو ردها المكتري لصاحبها كانت سلفا من المكتري للمكري، ثم عادت له، وإنما كان هذا حراما؛ لأن فيه سلفا جر نفعا، والسلف لا يجوز إلا إذا كان لوجه الله، والنفع الذي يجره هو احتمال كونها تروى فينتفع بها رب الدراهم"[2].

التطبيق الثاني عشر: الإجارة على حراسة زرع لا خلف فيه، وصورته أن يستأجر محمود سعيدا على حراسة زرع بعينه، وبشرط ألا يخلف غيره له إن هلك، ويشترط سعيد على محمود دفع الكراء مقدما، فيمنع لما فيه من التردد بين السلفية والثمنية، وذلك لأنه إن هلك الزرع ولم يجب عليه الخلف فيه كان المدفع سلفا يرد، ولو سلم وكملت الإجارة صار المدفوع ثمنا للمنافع المقابلة إياه، ونص الدردير " (وإجارة لحراسة زرع) فشرط النقد يفسده؛ لاحتمال فساد الزرع بجائحة، فيكون المنقود سلفا، وسلامته فيكون ثمنا"[3] وكان لا بد من تقييد المسألة بأنه لا يتشرط الخلف في حال فساد الزرع فقال الصاوي مقيدا: " قوله: [لحراسة زرع] : أي أو لرعي غنم معينة، أو لخياطة ثوب معين، وما ذكره المصنف من أن شرط النقد مفسد لها، مبني على أنه لا يجب عليه خلف الزرع وما ألحق به، إذا تلف، ولكن المعتمد أنه يلزمه الخلف، أو يعطيه الأجرة بتمامها، ولا يضر شرط النقد، وإنما ذكره

1 المرجع السابق 284/2.
2 بلغة السالك 284/2.
3 الشرح الصغير 48/2.

المصنف جمعا للنظائر"[1] وبناء على ما قيد به المحشي على المعتمد من المذهب فالمسألة تخرج من تطبيقات مسألة قاعدة التردد بين الثمنية والسلفية.

التطبيق الثالث عشر: جعل الأجرة جزء رضيع يرضعه مقابل ذلك الجزء بشرط النقد: وصورته أن يكون عجل صغير – مثلا – شركة بين شخصين، فيقول أحد الشريكين لآخر: أرضعه حتى يكبر ويصير جزئي ملكك بمائة دينار مثلا، بل ولو ملكه الجزء مباشرة، واشترط عليه أن ينقده المبلغ المتفق عليه الآن نظير حصته فيمنع؛ لأن الصورة فيها غرر؛ لأنه لا يدري حالة العجل بعد الإرضاع، ولاحتمال تعذر الرضاع وموت العجل، فيتردد المنقود بين السلفية الثمنية فيمتنع العقد على هذه الصورة، وهذا نص الشيخ الدردير: " (أو جزء رضيع) – آدمي أو غيره – جعل أجرا لمن يرضعه على أن يملكه بعد الرضاع، بل (وإن) كان يملكه (من الآن) لأن الرضيع قد يتغير، وقد يتعذر رضاعه لموت أو غيره، ولا يلزمه خلفه، فيصير نقد الأجرة فيها كالنقد في الأمور المحتملة، وهو ممتنع"[2] وفسر الصاوي وجه كونه ممنوعا بقوله: " [وهو ممتنع] أي للتردد بين السلفية والثمنية في المثليات، وللغرر في المقومات"[3].

التطبيق الرابع عشر: كراء سيارة أو دابة ونحوهما لمسافة كذا بحيث إذا استغنى عن الحمل حاسب على المسافة بشرط النقد مقدما: وصوتها أن يتكري سالم من مسعود سيارة إلى تونس بخمسمائة دينار لتحمل بضاعة، بشرط إن حصل مقصوده قبل بلوغ المسافة حاسب مسعودا على المسافة المقطوعة ليرد مقابل ما لم ينتفع به من بقية المسافة، واشترط مسعود على سالم دفع الخمسمائة مقدما، فالعقد بهذه الصورة باطل لما يؤدي إليه من احتمال كون الخمسمائة سلفا أو ثمنا للكراء، وهذا نص الشرح الصغير : "(كإجارة) أي كما يجوز إجارة (دابة لكذا) أي لمكان معلوم كمكة (على) أنه إن (استغنى فيها) أي في المدة أو المسافة المعينة لظفره بحاجته في أثناء الطريق (حاسب) ربها، أي كان له بحساب

1 بلغة السالك 48/2.
2 الشرح الصغير 268/2،269.
3 بلغة السالك 269/2.

ما سار صعوبة وسهولة، ومحل الجواز (إن لم ينقد) الأجرة، فإن نقدها لم يجز لترددها بين السلفية والثمنية"[1].

التطبيق الخامس عشر: استثناء منفعة مبيع أو مكترى مدة ما لا يتغير فيها غالبا بشرط النقد: ومثاله أن يشتري المشتري عبدا ويشترط تسليمه بعد ثلاثة أيام؛ لينتفع به خلالها، أو يكري بقرة للحرث ويشترط منفعتها شهرا، ثم يسلمها للمكتري، وذلك لتردد الثمن بين السلفية والثمنية، وإما إن اشترط منفعتها مدة تتغير فيها غالبا فلا يجوز العقد ولا النقد؛ لدخولهما على الغرر والمخاطرة، ونص الشرح الصغير " (و) بيع (حيوان) ليقبض (بعد ثلاثة أيام) ونحوها (لا) بعد (عشر) لأن الغالب فيها تغيره ... (و) كجواز (كراء دابة لتقبض) أي ليقبضها المكتري (بعد شهر) من يوم الكراء فيجوز (إن لم يشترط) مكريها (النقد) أي نقد الأجرة، فإن اشترطه لم يجز لتردده بين السلفية والثمنية"[2]

التطبيق السادس عشر: الجعالة على تحصيل شيء بشرط النقد، والجعالة: "عقْد مُعاوضَة عَلَى عمل آدَمي بعوض غَيْر نَاشئ عَن محلّه به لَا يجب إلا بتَمامه"[3] وصورته أن يجاعِل شخصاً أناساً معَينين أو غيرَ معينين علَى إحضار سيارته المَسروقة بألف دينار، فاشترط عليه المجاعل أن ينقده الألف دينار، فيمنع لما فيه من تردد الجعل بين الثمن للمنافع لو أحضر السيارة، وبين السلف لو لم يستطع إحضارها، فيتردد الجعل بين السلفية والثمنية فتمنع الجعالة، وهذا نص الشرح الصغير على المسألة: " (عدم شرط النقد) للجعل؛ فشرط النقد يفسدها؛ للتردد بين السلفية والثمنية، وأما تعجيله بلا شرط فلا يفسدها"[4] وأكد الصاوي المعنى وزاده شرحا فقال: "[للتردد بين السلفية والثمنية] : أي والتردد بينهما من أبواب الربا لأنه سلف جر نفعا احتمالا"[5].

1 الشرح الصغير 271/2.
2 المرجع السابق 272/2،273.
3 شرح حدود ابن عرفة ص/402.
4 الشرح الصغير 292/2.
5 بلغة السالك 292/2.

الخاتمة

- قاعدة تردد الثمن بين السلفية والثمنية مما انفرد به المالكية
- تستند القاعدة لدليل شرعي حيث تؤدي إلى الربا احتمالا
- اعتبر فقهاء المالكية هذه القاعدة ومنعوا كل مسألة تدخلها القاعدة أو تنطبق عليها
- سبب اعتبار القاعدة الابتعاد عن الربا ولو كان وجوده احتماليا وليس متحققا بالفعل
- اعتبر المالكية الدخول على معنى القاعدة بالشرط مقويا لاحتمال إرادة الربا، فصار كالربا المتحقق
- غالب وجود هذه القاعدة في أبواب البيوع، وحتى ورودها في باب النكاح إنما هو فيما له تعلق بالمال
- لم أعثر على تطبيقات للقاعدة في باب العبادات ولا في باب الأقضية والشهادات وهذا طبيعي كون هذه الأبواب لا تتعلق بالمال غالبا
- لم أعثر على شواذ للقاعدة فكل مسألة تنطبق عليها القاعدة حرموها دون استثناء
- ما كان فيه خلاف في تطبيق القاعدة فهو راجع إلى الخلاف في تنزيلها على الواقعة، لا في اختلاف الحكم الناتج عنها، بعد الاتفاق على صحة تنزيلها على الواقعة

ثبت المصادر والمراجع

أولا:

- القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

ثانيا: المصادر والمراجع:

- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، يوسف بن عبد البر النمري، تح: سالم عطا وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت 2000.
- أسهل المدارك (شرح إرشاد السالك في مذهب إمام الأئمة مالك) أبو بكر الكشناوي، ط2، دار الفكر، بيروت/ لبنان.
- الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، زين العابدين بن نجيم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، 1980.
- الأشباه والنظائر، تاج الدين السبكي، دار الكتب العلمية، ط1، 1991.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط15، دار العلم للملايين، 2002.
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، ط4، مصطفى بابي الحلبي وأولاده، مصر، 1975.
- بلغة السالك لأقرب المسالك لمذهب الإمام مالك، أحمد بن محمد الصاوي، ط الأخيرة، مكتبة ومطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده، مصر، 1952.
- التبصرة، علي بن محمد الربعي، تح: أحمد عبد الكريم نجيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1/ 2011.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تح: مجموعة من الباحثين، ط1، مطبعة فضالة، المحمدية/ المغرب.
- التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب، خليل بن إسحاق، تح: أحمد عبد الكريم نجيب، ط1، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، 2008.
- الجامع لمسائل المدونة، ابن يونس الصقلي، تح: مجموعة من الباحثين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، توزيع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2013.
- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد الدسوقي، دار الفكر.

- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن البيطار، تح: محمد بهجة البيطار، ط2، دار صادر، بيروت، 1993.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، إبراهيم بن علي بن فرحون، تح: محمد الأحمدي، دار النشر والتوزيع ، القاهرة.
- الذخيرة، شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تح: محمد حجي وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي/ بيروت/ لبنان، 1994.
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط1، دار الرسالة العالمية، 2009.
- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تح: مجموعة من الباحثين، ط3، مؤسسة الرسالة، 1985.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، تع: عبد المجيد خيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، 2003.
- شرح الزرقاني على مختصر خليل، عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، 2002.
- الشرح الصغير، أحمد بن محمد الدردير، ط الأخيرة، مكتبة ومطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده، مصر، 1952 = أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك.
- شرح مختصر خليل للخرشي، محمد بن عبد الله الخرشي، دار الفكر للطباعة، بيروت.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، تح: محمد زهير بن ناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422 هـ .
- الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تقي الدين عبد القادر الغزي، تح: عبد الفتاح الحلو، ط1، دار الرفاعي للنشر والتوزيع، الرياض، 1983.
- عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، جلال الدين عبد الله بن شاس، تح/ حميد محمد لحمر، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت/ لبنان، 2003.

- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عبد الحي الكتاني، تح: إحسان عباس، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982.
- القواعد الفقهية مفهومها نشأتها تطورها، على الندوي، ط2، دار القلم/ دمشق، 1991.
- القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، محمد الزحيلي، ط1، دار الفكر/ دمشق، 2006.
- القواعد الكلية والضوابط الفقهية في الشريعة الإسلامية، محمد عثمان شبير، دار النفائس، الأردن.
- مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط1، مؤسسة الرسالة، 2001.
- المعاملات المالية أصالة ومعاصرة، دبيان محمد الدبيان، ط2، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض/ السعودية، 1432 هـ .
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المقدمات الممهدات، محمد بن رشد القرطبي، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت/ لبنان، 1988.
- مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل في شرح المدونة وحل مشكلاتها، علي بن سعيد الرجراجي، ط1، دار ابن حزم، 20007.
- الموطأ برواية ابن القاسم، مالك بن أنس، تح: ميكلوش موراني، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت.
- الهداية كافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، محمد بن قاسم الرصاع، ط1، المكتبة العلمية، 1350، ص/291 = شرح حدود ابن عرفة.

ثالثا: بحوث على شبكة الأنترنت

- بحث القواعد الأصولية وطرق استنباط الأحكام منها، محمد شرف مصطفى، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) العدد السادس عشر.
- موقع الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف، فتوى شراء منتج وكتابة تقييم للحصول على ثمنه كهدية، رابط

https://www.awqaf.gov.ae/ar/Pages/FatwaDetail.aspx?did=12.5564

دلالـــة الذكر والحــــــذف

في القـــرآن الكريم

د. محمد عبد السلام الفقي
قسم اللغة العربية / كلّية الآداب الأصابعة
جامعة غريان

توطئة

الأصـ في بـاء الـ ـلة العـــة أن تـــاق مــ ة أجـ اعها، سـ اء أكانـ جـلـة اسـ ة أم فعلـ ة، لا ف مـ ها شيء، إلا إذا ـــان هـاك داعـ ـ لـ واعي، مـ وجـ د قـــةـتـ ل على أ حـ ف مـ أجـ ائها، وقـ ـ ن الـ ف لـ ــة دلالـ ة ـــافي حـ ف الفاعـ الـ اء للـ فعـ ل تـارة، وللفاعـ ـتارة أخـ ـفي نـ ذجـ تعاقـ علـهـا القـ اءةـفي للقـ آن الـ ، وفي حـ ف الـ فعـ ل لـ لالة الـ لام عل ه وللعلـ ه ا هـ معـ وفـ ـفي أوجـه حـ ف الـ فعـ لــه عـ الـ ـاة، أو حـ ف الـ اف وقلمة الـ ــاف إلــه مقلمه؛ وذلـ للاتــاع والاخـ ـار، وفي حـ ف العـ اصـ اللغــة في الغالـ ن اعـ اداً على فهـ الـ ا ، ووضـع الـ عـ ى في ذهـ ه، وهـ في اللغة.

ولعـ للقاهـ الـ جاني لـ ة رائعة لـــاهـ ة الـ فـ ـقال فـها: «إنـهـــاب دقـ الـ ـ ، لـــ الـ أخـ ، عـــ الأمـ ، شـ ه الـ ، فإنـ تـ ـــهـ ـتـ ك لـ أفـ ــحـ ـ لـ ، والـ ع الإفادة أز للإفادة، وتـ ك انـ ما تـ ن إذا ما تـ ، وأتـّ ما تـــ ن بـان إذا لـ تـ »[1].

1- دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص 146.

وفي هذا السياق عرض لأمثلة وردت في القرآن الكريم تتعلق بقراءته اللغوية، وجهها مفسرو القرآن ومعجمو القراءات بما ان دلالة الحذف والذكر في جملة من الآيات القرآنية، مقتصراً في ذلك على: حذف الفاعل، وحذف الفعل له، والإضافة إليه، وحذف الجملة، معتمداً في ذلك المنهج الوصفي لتحليل وشرح تلك الظاهرة اللغوية.

أولاً- حذف الفاعل:

من الآيات القرآنية على حذف الفاعل والتي تناولها العلماء بقراءة الفعل "وصوا" بالبناء للمفعول والفتح[1] في قوله تعالى: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: 33].

فالفارسي بقراءة بناء الفعل للفعل له قال: «ومن بنى الفعل للفعل له فقال: "وصدّوا" فإن فاعل الكلام غاتهم والعاملة منهم في ذلك، وقد يكون "صُدَّ" على نحو ما قلت: حُدّ فلان عن الأمر وصُدَّ عنه، يريد أنه لم يفعل خوفاً ولا يرى أنَّ مانعاً منعه»[2].

وفي هذا المعنى بيّن مكي حسنة من قرأ بإسناد الفعل إلى الفعل وحذف الفاعل وقامة المفعول مقام الفاعل، قال: «وحسنة من ضم الإسناد لأنه أسند الفعل إلى المفعول على ما لم يسم فاعله، فأجرى "للذين" على مقام الفاعل، وفاعل في المعنى أشار الكفار ورؤوسهم»[3].

1- قرأها الكوفيون بضم الصاد على البناء للمفعول، والباقون بفتحها على بناء الفاعل، الفتح الرباني في القراءات السبعة من طريق حرز الأماني، الدمنهوري، ص 201.
2- الحجة في القراءات السبعة، ابن خالويه، 10/3.
3- الكشف عن وجوه القراءات، مكي، 133/2.

وتـ جـه قـ اءة فـ ح الـ اد "وصَدُّوا" عـ ه «لأنه بـاه على الإخـار عـ الـ ـاديـ للـاس عـ سـ دلـ له قـ له تعالى: ﴿إِنَّ الَّـِيـَ َفَـُواْ وَصَـدُّواْ عَ سَـِ ّ﴾ [الـ اء: 167]، وقال: ﴿هُـ الَّـِيـَ َفَـُوا وَصَـدُّو ُ ْ﴾ [الفـ ح: 25]، وأسـ الفعـ في جـ ع ذلـ إلى الـ اديـ »[1].

وهـ مـا ذهـ إلـه الـ از ـفي تـ للـه لهـ ه للقـ اءة بـلنـه لعلـة الـ اء للـ فعـ ل، قـلـه: «والـ جه أنَّ الفعـ مـ يُّ للـ فعـ ل ـه، والـ عى مـ عـ ا عـ الـ ، والـ ـادُّ هـ الـ انع، وأراد أن تعالى صـ هـ ، وقـ : الـ ان، وقـ : عـاتهـ وغـ اتهـ »[2].

و ابـ خالـ ه أن مـ قـ أ فـ ح الـ اد "وصَدُّوا" جعلهـ الفعـ لهـ ، ومـ ضـ ـمالـ ـ فاعله جعـ الفعـ لله؛ أ َّ: صـ هـ [3].

وفـ َّـ لبـ جـي هـ ا الـ لـ الـلاغي الأسـ ـي ـفي حـ ف الفاعـ ، وأشـ عه تـ صـ فاً وتـ لـ لاً في غـ مـ ضع مـ الـ .

فـ أنَّ بـ اء الفعـ للـ فعـ ل ـفي قـلـه تعالى: ﴿وَعَلَّـَ آدَمَ الأَسْـَاء ُلَّـهَا﴾ [الـقـ ة: 31] ـفي قـ اءة مـ ضـ العـ [4]، يـ ل على قـ ة العـ اة الـ فعـ ل، وفي ذلـ قـ ل: «فإذا ثـ بهـ ا كلهـ قـ ة عـ ايهـ الـ فـ لة حـ ى ألغـ ا حـ ي الفاعـ معها، وـ ا الفعـ للـ فعـ ل، فقالـ ا: ضُـ ب زيـ حَـُ ، قـلـه تعالى: ﴿وَعُلِّـَ آدَمُ الأَسْـَاء ُلَّـهَا﴾، لـ ـان الغـ ض ـه لأنهـ قـ عَ فهـ ا وعلـ ها، ولـذ – أ ـاً– على الـ ـا أن سـ انه هـ الـ على ـه قـ اءة مـ قـ أ: ﴿وَعَلَّـَ آدَمَ الأَسْـَاء ُلَّـهَا﴾، ونـ ـه قـلـه تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنـَانَ خُلِـَ هَلُـعاً﴾ [الـعـارج: 19]، وقـلـه تعالى: ﴿وَخُلِـَ الإِنـَانُ

1- الكشف عن وجوه القراءات، مكي، 133/2، 134.
2- اكتساب الموضح في وجوه القراءات وعللها، الشيرازي، 408/1.
3- ينظر: إعراب القراءات السبع وعللها، ابن خالويه، 329/1.
4- قرأها اليماني، ويزيد اليزيدي، ينظر: البحر المحيط، أبي حيان، 294/1.

ضَرِفاً﴾ [الـ اء: 28]، فقـ عل أن الغـ ض بـ لـ جـ عه أن الإذ ان مـ لـ ق ومـ ـع ف، وـ لـ ـقـ لهـ : ضُـ ب زـ إنـا الغـ ض مـه أن عل لأنه مـ ـ ب، ولـ الغـ ض أن عل مـ لل ضـ ه، فإن أر ذل لـ يـ ل دل علـه،ـفلابـّ أنـيـ الفاعـ ـقال: ضـ بـفلان زـ اً،ـفإن لـ فعـ ذل لّ عل الغـ »[1].

وقـ ـتأث الـ جاني بـ لـ لبـ جـيـفي حـ يـه عـ حـ ف الفاعـ ، والـ فعـ لـ ـه،ـقال: «إذا أر الإخـار بـ قـ ع الـ ب ووجـ ده في الـ لة مـ غ أن يـ ـ لإلى فاعـ أو مفعـ ل، أو يـعـ ض لـ ـان ذل ، فالـ ـارة ـ ـه أن ـقال: ـ ـان ضـ ب، أو وقـع ضـ ب، أو وجـ ضـ ب، ومـا شاكـ ذل مـ ألفا تف الـ جـ د الـ د في الـ يء»[2].

وذ ـ ل أن وراء إ اد هـ ه الـ اهـ ة في القـ آن ـ اخـ لاف القـ اءات غـ ضاً لا ـ اً دلالـاً ضـا اً لـ ـ ة الـ عـ ـ ، أو إيـارهـا فـي عـ أوجـه القـ اءات، خاصـة عـ ما ـ ـ ن الاهـ ـ ام مـ فاً إلى الإعلام بـ قـ ع الفعـ الـ فعـ ل، أو الاقـ ار على الـ ث دون غـ ه، دون ا الاهـ ـ ام فاعله.

ثانياً- حذف المفعول به:

لا عـ ـ فـي هـ ا الـ ـ تـ ـع أوجـه حـ ف الـ فعـ لـ ـه، أو بـ ان مـ ـل العلـ ـاء فـي تقـ ي الـ ـ وف، ونـ ـا لل عـ ـا هـ ـا هـ الـ ـقـ عـ ـما أدرـه الـ فـ ـ ون والـ جهـ ن للقـ اءات مـ عل لـ ل الـ ع مـ الـ ف و ان مـ قعه.

1- المحتسب، ابن جني، 66/1.
2- دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص 154.

ومـ الأملـة على حـ ف الـ فعـ لـــه لـ لالـة الـــلام علـه والعلـ ـــه تـ لـ قـ اعتي "مالـ " إثـ ات الألـ [1] في قـ لـه تعالى: ﴿مَالِ يَوْمِ الدِّيـِ ﴾ [الفاتـ ة: 4].

جاءـفي الـ ـــة للفارسي أنّـ مـ ـقـ أ "مالـ " فـــه حـ ف لـ فعـ لـــه،ـقال: «فلمـا مـ ـقـ أ: ﴿مَالِ يَوْمِ الدِّيـِ ﴾ فأضاف اسـ الفاعـ إلى الـ ف، فإنه قـ حـ ف الـ فعـ ل هـ مـ الـــلام لـ لالـة علـه ... فقـ يـه: مالـ يـ مـ لـ يـ الأحـــام، وحـــ هـ ا الاخـ ـــاص، لـفـ د لقـ يـ سـ انهـفي ذلـ لـ مـــال ... ومـــا حـ ف الـ فعـ لـــهـفي الـ ـــ قـلـه تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الـ ـة: 14]، والـقـ يـ : ذوقـ ا العـ اب فاسـغـى عـ ذ ه للعلـ ه و ـة تـ دده»[2].

ومـ الـــ افق للفارسي العـــ ـفي تـ جـهـقـ اءة "مالـ "ـــالألـ على حـ ف الـ فعـ لـــه قـ له: «وفي الـ لام حـ ف مفعـ لٍ، تقـ يـه: مالـ أمَـ يـ مـ الـ يـ ، أو مالـ يـ مَ الـ يـ الأمـ »[3].

ومـ الـ فـ ف الـ فعـ ل هـ ابـ جـي حـى جعله دلـ لاً علىـقـ ة عـــة لـا ـــه، جاعلاً علة الـ ف في ذلـ دلالة الـــلام علـه والعلـ ـــه، الفارسي وغـ ـهـ سـا ـه، مـ ـــهـ اً لـقـ اءة: ﴿إِنَّـا يُـبَـاشِعُ نَ ﴾، ـــ ف الألـ مـ لف الـ لالـة[4]،مـ قـلـه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِيـَ يُبَـايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10].

فهـ يـ أنها: «على حـ ف الـ فعـ ل؛ لـ لالة ما قـلـه علـه، فـ لأنهـقال: إن لـ يـ يـ ا عـنـ إنـــا يـ ا عـنـ لله، فـــ ف الـ فعـ ل الـــاني لقـــهـ مـ الأول، ولأنه –أ ـــاً– بلفـــه وعلى وضـعه،

1- قراءة عاصم والكسائي، كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ص 104.
2- الحجة، الفارسي، 45/1.
3- التبيان في إعراب القرآن، العكبري، 6/1، وإملاء ما منَّ به الرحمن، العكبري، ص 11.
4- قراءة تمام بن عباس بن عبد المطلب، المحتسب، ابن جنّي، 275/2.

وهذا العمل راجع إلى معنى قراءة العامة "إنما يعلن"؛ أي: إنما فعلن ذلك لله، إلا أنها أفادت معنى ما قاله: "؛ أي: إذا العاملة في ذلك معه، فهي أعلى لها وأرجح بها»[1].

ومما ذهب حذف الفعل به الأثر القرآني في الاشتغال عن الفعل به؛ لأن مقامها يدل الاهتمام على وقوع الحدث منه عند وقوعه، ومن الأمثلة على هذا القراءة لأبي عمرو بن العلاء عما اختارته قراءة الفعل "تُرُ" على صورته اللازمة فتح الياء وضم اللام[2]، من قوله تعالى: ﴿قَالَا لَا نَقْفِي حَتَّى نُرِيَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: 23].

وتوجيه قراءة ضم الياء عيسى على حذف الفعل مع اختياره لهيئة للقراءة قال: «وحجة من ضم الياء أنه جعله رباعياً مما لم يسم فاعله إلى مفعول ما لم يسم فاعله، فهو من "أصدرت الإبل" إذا رددتها من الماء، وتقديره: حتى يرد الرعاء مناشئهم من السقي، فهو الاختيار؛ لأن الأكثر عليه»[3].

أما توجيه قراءة فتح الياء عنه جعله فعلاً لازماً، قال: «وحجة من فتح الياء أنه جعله ثلاثياً غير معدى من "صدر الرعاء صدور" إذا رجعوا من سقيهم»[4]، ودليله قوله: ﴿يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً﴾ [الزلزلة: 6].

ومن خلال توجيه القراءتين في اللازمة والمتعدية رأى ذلك يتفق القرآن وسائر العرب.

1- المحتسب، ابن جني، 275/2.
2- قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وأبو عمرو بفتح الياء وضم الدال، والباقون بضم الياء وكسر الدال، النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 256/2.
3- الكشف عن وجوه القراءات السبعة، مكي، 275/2.
4- الكشف عن وجوه القراءات السبعة، مكي، 275/2.

وقـ شاع هـ ا الـ عـى عـ لأبي زرعة ــ ف الـ فعـ لـــه، حـ نـــ أن الـــ ادمـ ذلـ حـى يـ ف الـ عاء مـ الـــاء، ولـ ــان "ُ ــرِ"ــان الـ جه أنـيـ الـ فعـ ل، ـقـ ل: «حـى ُ ــرِ الـ عاة ماشـ هـ ، فلـــالـ يـ مـع الفعـ الـ فعـ ل عُلـ لأنه غـ وقع، "َ ـْـُر" الـ عاء عـى يـ فـ ن عـ الـ اء»[1].

لمـاـقـ اءة الـــ عة عـ هـ عـى "حـى ــ ر الـ عاء غـ هـ عـ الـــاء"،ـفـال فعـ ل مـــ وف، وحـ ف الـ فعـ ل ــ ،ـقال تعالى: ﴿وَلَـُ ْ فِـهَا جَـالٌ حِـ َ ـُ ـُ نَ وَحِـ َ ـَـْـَحُ نَ﴾ [الـــ : 6]، ولـ يـ مـ الإراحة والـــ ح مفعـ لاً؛ لـ لالـة الـــلام على الـ فعـ ل؛ لأن الـ عـى: "حـ ـ ــ ن أبلـــ وتـــ حـ ن إبلـــ "، فـــ لـ " ــــ ر الـ عـاء" اسـ غى الإصـــ ار عـ الـ فعـ ل»[2].

ثالثاً- حذف المضاف.

ـتـ ارد حـ ف الـ ـــاف ــ اًـفي العـــة، حـىـــات عـ لـه اللغة أنّ حـ ف الـ ـــاف سائغ في سعة الـ لام، وحال الاخـ ار إذا لـ في حـ فه الـ اس، وعلة سـ غ ذلـ الـــ ف الـقة عـلـ الـ ا ، وفي ذلـ قـ ل ابـ : «سائغ في سعة الـــلام وحال الاخـــار إذالـ ــ ، ونـــا سـ غ ذلـ الـقة عـلـ الـ اـــ ؛ إذ الغـ ض مـ اللفـ الـ لالـة على الـ عـى،ـفإذا حـ ــ الـ عـى قـــة حـال أو لفـ آخـ اسـ غى مـ اللفـ الـ ضـ ع إزلئـه اخـ ـــاراً، وذا حـ ف الـ ـاف أ الـ ـاف إلـ ه مقامه وأعـ ب إعـ ا ه»[3].

1- حجة القراءات، ابن زرعة، ص542.
2- حجة القراءات، ابن زرعة، ص542، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج، 139/4.
3- شرح المفصل، ابن يعيش، 23/3.

ومـ الـ اهـ القـ آنـة على حـ ف الـ اف تـ جـ ه العلـ اء لقـ اءة: "هَـ ْ َـ ْـ َ ِ عُ ِّـ َ" للـاء وللـاء[1]، مـ قـلـه تـعـالى: ﴿إِذْ قَـالَ الْـ َ ابِّـ نَـ ـَا ِ ـَى لِبْـ َ مَـ ْ َ هَـ ْ َـ ْـ َ ِ عُ ِّـ َ أَن يُـ ِّـ ْلَ عَلَـ ْـ َا مَآئِـ َةً مِّـ َ الـ َّ ـَاءِ قَالَ اتَّقُ ْا ّ َ إِن ُ ُ مُّـ ْمِـ ِ َ﴾ [الـ ائـ ة: 112].

فـ ـي بـ ّ حـ ـة للقـ اءة للـ اء قـال: «وحـ ـة مـ قـ أ للـ اء لأنـه أجـ اه على مـ ا ـ ة الـ ار لـ ى، وـ ه معـى الـعـ ـ للـ ب جـ َّ نـ ـه، على أن ـ فهـ ـى عـ اسـ اعـه؛ إذ هـ تعالى مـ ـ عـلـ ل ، فإنـا معـاه: هـ تفعـ ذلـ على معـى أفعـ ذلـ ؟ وهـ تـ ـ ع سـ ال ربـ ـ في إنـ ال ملـئـ ة علـ ا، والـ عـى: هـ تفعـ لـ ا ذلـ ؟ وقـ علـ ا أن ـ ى ـ ـ ع الـ ـ ال؛ إذ لا ـ ـ ز أن يـقـال: هـ تـ ـ ع أن فعـ غـ كـ ـ ا ؟ فـ"أن" مفعـ ل الـ ـ ـ ر الـ وف، وهـ الـ ال، وهـ ا ا تقـ ل للـ ج : هـ تـ ـ ع أن تـ ل ـي؟ وقـ علـ لأنه مـ ـ ع ل ل ، فإنـ ا معـاه، هـ تفعـ ذلـ على معـى أفعـ ذلـ »[2].

وفي حـ ـه هـ ه بـان لـ ـ ف الـ ـاف وهـ الـ ـ ر، وهـ مـا نهـ إلـه الـ ـ از في تـ جـهـه لقـ اءة للـ اء "تـ ـ ع"؛ إذ قال: «ووجـه ذلـ أن الـ ادهـ تـ ـ ع سـ ال ربـ ، فـ ـ ف الـ اف، ومعـى سـ الهـ عـ اسـ اعـه مـ ـألة ، لأنه مـ ـ ل على الاحـ ـاج عـه ﷺ؛ أ : أن مـ ـ ع فـ ا ـ عـ ؟ ـ ا تقـ ل لـ ـاحـ : هـ تـ ـ ع أنـ تـ هـ عـي فإني مـ ـغـ ل؛ أ : أنهـ فإنـ غـ عـاج عـ ذلـ ، فـ ـ ل قـ لـه: هـ تـ ـ ع سـ ال ربـ ؛ أ : إنـ مـ ـ ع فأسأل»[3].

1- قرأ الكسائي وحده بالتاء ونصب الياء، واللام مدغمة في التاء، وقرأ الباقون بالياء ورفع الياء. ينظر: كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ص 249، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، الدمياطي، ص 190.
2- الكشف عن القراءات، مكي، 460/1.
3- الموضح في وجوه القراءات وعللها، الشيرازي، 251/1، 252.

وولف العـــ ســا ـهـفي حـ ف الـ ـــاف قـلـه: «وـقـأ لـلـاء، وـبـ نـ ــ ، والـقـ ي : هـ ـــ ـع ســ ال ـبـ فـــ ف الـ ـــاف ... وعلـى القـ اءة الأخـ ـــ ن مفعـ لاً لـــ ال مـ وف»[1].

ومـ ذلـ نلـــ أنـقـ اءة الـ ـهـ ر لا تـــاج إلى تقـ ي مـــ وف؛ أ : للقـ اءة لـلـاء،ـبـ الـقـ ي تـ اجه القـ اءة الأخـ لـ الـ عـى الـ قـ ـ د، وهـ اـما نـهـ إلـهـ لـبـ خالـــه؛ إذـيـ «أنه جعـ الفعـ لله تعالى فـ فعه ـه، وهـ في هـ ا الـ ال عالـ ن أنه ـــ ـع، فلفـــه الاسـ فهام، ومعـ اه معـى لـ الـ ال»[2].

وأما على القـ اءة الأخـ فقـ جاءت على حـ ف مـ اف، تقـ ي ه: هـ تـــ ـع سـ ال ـبـ ؟ ـثـ حـ ف الـــ ال، ولأقـام "ـبـ " مقلمـه، ـــاقـال: ﴿وَاسْـأَلِ الْقَـرْيَـةَ﴾ [يـ سـ : 82]، يـــ : أهـ القـ ة»[3].

ومـ الـــ اهـ القـ آنـة على حـ ف الـ ـــاف ـما أشار إلـه مـ لـلـ القـ اءات ومفـــ و للقـ آن قـ اءة "شـ أ" الـ والـ [4].

ومـ قـلـه تعـالى: ﴿فَلَـمَّـا آتَاهُـمَـا صَـالِـ اً جَعَـلاَ لَـهُ شُـرَكَاء ِـمَـا آتَاهُـمَـا فَـتَعَـالَى ّ ُ عَـمَّـا ُ ْ ِ ُ نَ﴾ [الأعـ اف: 190].

1- إملاء ما من به الرحمن، العكبري، ص 208.
2- الحجة في القراءات السبع، ابن خالوبه، ص 15، وينظر: الجامع، القرطبي، 365/6.
3- المصدر نفسه.
4- قراءة نافع وأبو بكر وأبو جعفر بكسر الشين وإسكان الراء وتنوين الكاف من غير همز، إتحاف فضلاء البشر، الدمياطي، ص 214.

فالزجاج قدَّر على هذه القراءة حذف الألف وهو "إذا" قوله: «قال: معناه: كأن يريد أن من على قراءة من قرأ "شيئاً" جعلا لغوه شيئاً، قال: لأنهما لا يكادان أن الأصوات عمَّ وجدَّ، فالمعنى إنما معناه لغوه، وهذا على معنى جعلاله ذا شيء، فحذف ذا، من : "واسأل القرية"»[1].

وفسح مكي عن قوله الزجاج في حذف الألف وتقديره،قال: «وحجة من قال ذلك أنه جعله مصدراً، وقدر حذف الألف تقديره: جعلاله شيء أو ذو شيء»[2]، ثم أضاف دلالة أخرى إذا قدّر حذف الألف؛ إذ قال: «...فإنما قدَّر في هذه القراءة حذف الألف لأن الأمر إلى الروح؛ لأنهما إذا جعلا لله شيئاً ما آتاهما فقد شاء على ما آتاهما، فهما مريدان، والمراد بالآية للمأمور لهما بالدعاء: ﴿فَعَسَى رَبُّنَا﴾، وما بعده،فالمراد أنهما جعلا لله ما آتاهما شيئاً في العبادة على ما فهما أعلم»[3].

وقد أشار أبو حيان لهذا الحذف في الكلام وعدم حذفه؛ إذ ذكر أنه يجوز أن يكون أراد الشيء على المعنى، فلا تقدّر حذف الألف، وذكر أنه الصحيح الذي راجحاً ومجازاً للغة[4].

ويمكن أن نجمل هذه الأوجه علة حذف الألف وقلمة الألف إليه مقلمه هذه العبارة للاتساع والاختصار، وقد فهم الأساتذة العرب هذه الفهم الصحيح؛ إذ

1- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، 396/2، ومعاني القراءات، الأزهري، ص 190.
2- الكشف عن وجوه القراءات، مكي، 65/2.
3- الكشف عن وجوه القراءات، مكي، 65/2، وينظر: مفاتيح الأغاني، الكرماني، ص 187.
4- ينظر: البحر المحيط، أبي حيّان، 438/4.

بـ ا علـ الـــ علـى مـ أ الـ ـــ ، وهـ مـا عـ ف ـــ أ الاقـ ـاد اللغـ ـلـ أثـــه الـ ـــ ن الـ عاصـ ون، الـ ـقـ ل:ـــأن الإنـــان لا يـ ـل مـ الـ هـ د العلاجـة أو الـ هـــةـفي أعـ ـلله لآلة الـ ـــاب إلا ـقـ رمـا تـــ ع لإفادة الـ اـــ ، وأن هـّ الـــ ـ أن يـلـغ أكـ عـ د مـــ مـ الفـ ائـ أقـ عـ د مـ مـ الـ هـ د[1].

رابعاً- حذف الجملة:

تـ ع حـ ف الـ ـلـةـفي العـــة، وأخـ صـ راً مـعـ دة، أملاها الـــ اق القـ لآني والاسـ عـ ال اللغـ ، ومـ هـ ه الـــ ر حـ ف جـلـة الـــ ال الـقـّ رـفي معـ ض الاسـ اف، ومـ الـــ اه القـ آنـة على ذلـ تـ لـ وجهي الـفعـفيـقـ اءة "شـ اؤه "مـ قـلـه تعالى: ﴿وَـَ لِـَ زَـّ َ لِـَ ٍ مِّـَ الْـُ ِ َ قَـْ َ أَوْلاَدِهِـْ شُـَ كَآؤُهُـْ لِيُـْ دُوهُـْ وَلِـَلْـِ ـُ اْ عَلَـَيْهِـْ دِيـَ هُـْ وَلَـَ شَاء ّـُ مَا فَعَلُـُ مُـفَـَ زْهُـْ وَمَا يَـَ ـُ ونَ﴾ [الأنعام: 137]،ـفيـقـ اءة "زُـ " مـــاً لل فعـ ل، ورفع "قـ ُ" مـــافاً إلى "أولادهـ " و"شـ اؤه " مـ فـ عاً[2].

والفـّاء قال: «... و ان عـ هـ قـ أ: "وـــ لـ زُـ ـــ مـ الـــ قـ أولادهـ " فـفع القـ إذا لـ فاعله، و فع (الـ اء) فعـ يـ ه؛ أنه قال: زـ ه لهـ شـ اؤه »[3].

وقـ مـ هـ ا الـ عـى ما ذـ ه الفارسي؛ إذ ـقال: «... ونـــ سـ هـفي هـ ه الآـةـقـ اءة أخـ ، وهي: "و لـ ز لـ مـ الـ قـ أولادهـ شـ اؤه "، وحـ الـــ اء فـها على فعـ مـ غـ الـ اه ، أنه لـ ا قـ : و لـ ز لـ مـ الـ ، قـ : مـ زـــه؟ فقال:

1- نظرية النحو العربي، نهاد الموسى، ص 95.
2- قراءة الحسن، والسليمي، وأبي عبد الملك صاحب ابن عامر، البحر المحيط، أبي حيان، 231/4.
3- معاني القرآن، الفرّاء، 357/1.

زه شاؤه، فأل ... وم هه الآية: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ [الر: 36]، لأنه لما قال: "يسبح" فدل على "يسبح" فقيل له: من هم؟ قال: هم رجال»[1].

وقد ذهب الجبي إلى ما ذهب إليه سابقيه جملة موفقة، والوقف في جملة الآل، فأن علة الدفع في "شاؤه" الفعل، قال: «أن من دفع فعل دلّ عليه قوله: "زين"، أنه لما قال: زين لهم حبهم قتل أولادهم، قيل: من زينه لهم؟ فقيل: زينه لهم شاؤه، فارتفع الشاء فعل من دلّ عليه "زين"، فهم إذاً قيل: لكن الله زينهم، وزُكّي النفس جعفر، وتدفع زيداً وجعفراً فعل من دلّ عليه الباء ...»[2].

أما العلة في دلالة لهجة القراءة بقيد حذف جملة قيله: «وقد أجاز بعض الناء، وفيه وجهان:

أحدهما- لأنه مفعول فعل موف، لأنه قال من زينه؟ فقال: شاؤه؛ أي: زينه شاؤه، والقول في هذا لهم مضاف إلى الفعل.

والثاني- أن يرتفع شاؤه القتل؛ لأن الباء تُجبه القتل، وإن كان القتل قبيحاً»[3].

وهذا الحكم للذي ذهب العلماء لهجة القراءة به إشارات واضحة لكاهة حذف الجملة، وهذا ما جعل بعض الأثر يعده ضرباً من ضروب حذف الجملة[4].

1- الحجة للقراء السبعة، الفارسي، 214/2، وينظر: الكتاب، سيبويه، 190/1.
2- المحتسب، ابن جنّي، 229/1، 230، وينظر: الكشاف، الزمخشري، 190/1.
3- التبيان في إعراب القرآن، العكبري، 541/1، وينظر: البحر المحيط، أبي حيّان، 231/4.
4- المثل السائر، ابن الأثير، 221/2.

كـا لأفادمـ هـ ه الإشارات الـ ـ القو ـي عـ حـيـه عـ ـقـ ائـ الـ ـف مـ ـ اً إلى العلة الـلا ـة؛ إذ يـ أن الـ ـف لابـدَّ لـه مـ قـ ـة ،كـقـ ع الـلام جـلـاً عـ سـ ال إلما مـ ـق أو مقـ ر[1].

ومـ صـ ر حـ ف الـ لـة ما عـ ف عـ العلـاء ـ ـف الـ قلب أو الاكـفاء بـ أحـ الـ ـ ـي ، ومـ شـ اهـ ه مـ للقـ آن تـ لـ العلـاء لقـ اءات "الـ ـ سـ " للـاء واللـاء والـفـع والـ [2]، مـ قـ له تعالى: ﴿وَ َلِ َ نفَ ِّ ُ الآ َاتِ وَلِ َ ْ َ سَ ِ ُ الْ ُ ْ ِ َ ﴾ [الأنفال: 55].

وـان اعـادهـ ـفي ذلـ على اسـ ق اء الـ ـاق والـقام ـفي إدراك دولعي الـ ـف وأغ اضـه الـ لالـة، ومـ عـ ض لهـ ه للقـ اءة الـ جـاج فقـال: «... ولـ ـ ـج أن نـقـ ل: ولـ ـ سـ الـ ـ مـ مـع نـ ـ سـ الـ ـ ـ مـ ؛ لأن سـ الـ ـ ـ مـ إذا اسـ اذ فقـ لنـ معها سـ الـ ـ مـ ، وجـاز أن ـ ـن الـ عـى ولـ ـ سـ الـ ـ مـ ولـ ـ سـ الـ ـ مـ ، إلا أن للـ والـ ـاب هاهـا ـفي نـ ـ الـ ـ مـ ،ـف وا ـتـ ك سـ الـ ـ مـ ؛ لأن ـفي الـلام دلـ لاً علـه ـاـقال تعالى: ﴿سَ ِ َ تَ ِ ُ الْ َ ﴾ [الـ ـ : 81]، ولـ ـق : وتـ ـ لـ د؛ لأن الـ ـاتـ ـ ـ مـ الـ ـ والـ د، ولـ ـ جـ نـ ـ الـ ـ ؛ لأنهـ ـ اذ ـفي مـ ـانهـ أكـ معلنـا تلـه مـ الـ د»[3].

والـ عـى نفـ ه ما نـ ـ ه القـ ـ ـي،ـقال: «هـ ه للـلام تعلـ الفعـ ـفأي الفعـ للـ تعلـ ـ ـه، فقال الـ ـف ن: هـ مقـ ر؛ أ : وـ ـ لـ نفـ ـ الآـات لـ ـ لـ ـ ولـ ـ ... وقـ : إن

1- بغية الإيضاح، القزويني، 206/1.
2- قرأ شعبة والصاحبان بياء التذكير، والباقون بتاء التأنيث، ونصب نافع وحده "سبيل"، والباقون بالرفع على الفاعلية. ينظر: الفتح الرباني، الدمنهوري، ص 168.
3- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، 255/2.

دخل للاو للعـ على العـى؛ أ : لـ هـ الـ ولـ ... وقـ اءة للـاء خـاب للـي ﷺ؛ أ : ولـ ا سـ الـ مـ ، فإن قـ : فلـ ل يـ سـ الـ مـ ، ففي هـ اجـ ا ان:

أحـ هـ ا– أن ـ ن مـ قـلـه: ﴿سَـَابِ َ تَـِ ُ الْـَـَّ ﴾،فالـ عـى وتـ للـ د، فـ ف، و لـ ن هـ ا الـ عـى ولـ سـ الـ مـ ، ثـ حـ ف.

والـ اب الآخـ – أن ـقال: اسـ ان الـ ـيء واسـ ه؛ وذاـان سـ الـ ـ مـ فقـ ـان سـ الـ مـ »[1].

ومـا نـ ـه الـ جـاج والقـ ـي أشـار إلـ ـه للفـّاءـفي غـ مـ ضـعـمـ لـ ـه فقـال: «وقـ تـ العـ ب إضـ ار أحـ الـ إذاـ ـانـفي الـ ـلام دلـ لاً علـ ـه ... قـلـه: ﴿سَـَابِ َ تَـِ ُ الْـَـَّ ﴾، ولـ ق : الـ د، وهي تقي الـ ّ والـ د، فـ ك؛ لأن معـاه معلـ م»[2].

ومـ مـاه حـ ف الـ لـة حـ ف الـ عـ ف، وهـ ما أشار إلـ ـه مـ ـي وغـ ـه، وذلـ عـ تـ لـله للـعاني الـ لـةـفيـقـ اءة "فـ ـ هـ " ـ الـ ـاد و ـ ها[3]، مـ قـلـه تعالى:﴿وَذْـقَالَ إِبْـَا ُ رَبِّ أَرِنِي َ ْ َ تُـْـِي الْـَ ْتَى قَالَ أَوَلَ ْ تُـْمِ قَالَ بَلَى وَلَـِ لِّـَ ـَ ّ قَلْـِيـقَالَ فَـُ ْ أَرْـَعَةً مِّـَ الـ ّ ِ فَـ ُ ْهُ ّ إِلَـْ َ ثُـّ اجْعَ ْ عَلَى ُ ِّ جَـَ ٍ مِّـْهُ ّ جُـْءاً ثُـّ ادْعُهُ ّ َأْتِـَ َ سَـ ْ اً وَاعْلَ ْ أَنَّ ّ َ عَـِ ٌ حَـِ ٌ﴾ [الـ قـ ة: 260].

ـفـ هـ مـ ـي إلى الاسـ عـ ال اللغـ العام للقـ اءتـ ، مـ ـاً لقـ اءةـمـ ـ الـ ـاد على أنها لغة معـ وفة،ـقال: «مـ ـ أنها لغة معـ وفة، ـقال: صـاره إذا أمللـه، وصـاره إذا قـ عـه،

1- الجامع، القرطبي، 437/6.
2- معاني القرآن، الفرَّاء، 230/1، 231، و112/2.
3- قرأ أبو جعفر وحمزة وخلف ورويس بكسر الصاد، وقرأ الباقون بضمها، النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 174/2.

قال: صـت الـ يء أملـه، وصـته قـ عـه، قال: صار و ار ر»[1]،ـثـبّ حـة مـ ضـ الـ اد قـلـه: «لأنه لأتىـــه على لغة مـ ـقال:ـــان الـقـ ي : أملهـ إلـ فقـ عهـ ، وذا جعلـه عـى قـ عهـ ، ان الـقـ ي : فـ أرعة مـ الـ إلـ فقـ عهـ »[2].

وفـي للقـ اءتـ حـ ف جـلـة، فـــ أراد أملهـ ، فـــ فـ مـ الـــلام عـــى أملهـ فقـ عهـ ، ثـ اجعـ على جـ مـهـ جـ ءاً، فـ ف الـ لة لـ لالة الـ لام علـ ها.

ولى الـ عـى نفـــه ذهـ لبـ خالـــه مع اخـــاره لقـ اءة الـــ مـ ـــاً؛ لأن العـ ب تقـ ل: صار ر إذا مال[3].

وـــ ا فعـ العـــ ـفي تقـ ي الـــ وف ـفي للقـ اءتـ ؛ أ : ضـ الـــاد و ـــها قـلـه: «ولها معـ ان:

أحـــ هـ ا– أملهُـ ً ، ـقـال: صـاره ـــ ره و ـــ ه، إذا أمللـه؛ فعلـى هـ ا تعلـ "إلـى" الفعـ ، وفي الـ لام مـ وف تقـ يه: أملهـ ً إلـ ثـ قـ عهـ ً .

والـ عـى الـــاني– أن ـــ ره و ـــ ه عـى قـ عـه، فعلـى هـ ا الـــلام مـــ وف يعلـ ـــه "إلـى"؛ أ : فقـ عهـ ً عـ أن تـ لهـ ً إلـ »[4].

ومـ خلال سـ د تـ لـ العلـ اء للـ اهـ القـ آنـة أمـلة للـ لالة على حـ ف الـ لـة نلـــ إن هـ ا الـــ فـلـه صـ ر مـ لفة أملاها الـــ اق القـ لني والاسـ عـ ال اللغـ ، ـــ ف جـلـة الـــ ال

1- الكشف عن وجوه القراءات، مكي، 359/1، وينظر: معاني القراءات، الأزهري، ص 87.
2- المصدر نفسه.
3- ينظر: إعراب القراءات السبع وعللها، ابن خالويه، 97/1، 98.
4- التبيان في إعراب القرآن، العكبري، 212/1.

الـ قر، و احـ ف الـ قاب أو الاكـ فاء بـ أحـ الـ ـ ي ، وقـ جـ هـ ا الـ ـ ف وتعـ لاتـه مـ دلالة الـ لام على الـ وف وعـ الـ ا الـ عـ ى الغاة في ذلـ الـ والاخـ ار.

خلاصة البحث

تـ صـ الـ احـ إلى الـ ائج الـ الـ ة:

- إن اهة الـ ف هي سـ العـ ـة للاتـ ـاع، والاخـ ـار، والـ ـ ، وهـ مـا عـ ف ـ أ الاقـ اد اللغـ ، وهـ ما أثـ ه اللغـ ن الـ عاصـ ون.
- إن الـقام والـقال هـا اللـ ان ـنان مـا عـ ف الـ مـ الـ عـ ى الـ لالي، وفي ـاهـ حـ ف الفاعـ ـ العـ اة الـ فعـ ل دون الاهـ ام فاعله.
- إن حـ ف الـ ـاف وقلمة الـ ـاف إلـه علـه الـقة عـ الـ اـ ـ ، وهـ سائغ في سـ ة الـ لام.
- إن حـ ف الـ لة في القـ آن الـ مـعـ د الـ ـ ر، أملاه الـ ـاق القـ آني والاسـ عـ ال اللغـ ، مـه: حـ ف جـ لة الـ ال، وحـ ف الـ قاب ، أو الاكـ فاء بـ أحـ الـ ي .

المصادر والمراجع

- القـ آن الـ بـ واة حفـ ـ عـ عاصـ .

1- إتـ ـاف فـ ـلاء الـ ـ ـفي للقـ اءات الأربعـة عـ ـ ، للـ مـا ي، دار الـ ـ العلـ ـة، بـ وت، 2006م.

2- إعـ اب للقـ اءات الـ ـ ع وعللها، لبـ خالـ ـه، تـ ح: عـ للـ حـ بـ سلـ ان العـ ـ ، مـ ة الـ اني، القاهة، 1992م.

3- إملاء ما م ه الـ ح م وجـ ه الإعـ اب والقـ اءات في جـ ع للقـ آن، العـــ ، الـ ـة العـ ة، بـ وت، 2007م.

4- الـ الـ ، أبـ حـ ان الأنـ لـ ي، تح: عادل أحـــ عـ الـ جـ د، وعلي معـ ض، دار الـ العلـ ة، بـ وت، 2001م.

5- الـ ان في إعـ اب القـ آن، أبـ الـ قاء العـ ، تح: علي الـ او ، دار الـــام للـ اث، بـ وت، د.ت.

6- الـ امع لأحـ ام القـ آن، القـ ي، دار إحـ اء الـ اث العـ ي، بـ وت، د.ت.

7- الـ ـةـفي للقـ اءات الـــ ع، لابـ خالـــه،ـتح: عـ العـال سالـ مـــ م، الـ سالة، بـ وت، 1990م.

8- حـ ة القـ اءات، أبـ زرعة، تح: سعـ الأفغاني، مـ سـ ة الـ سالة، بـ وت، 1939م.

9- الـ ة للقـّاء الـ عة، أبـ علي الفارسي، دار الـ العلـ ة، بـ وت، 2001م.

10- شـ ح الـ فـ ، ابـ ، عالـ الـ ، بـ وت، د.ت.

11- دلائـ الإعـ از، عـ القاهـ الـ جاني، مـ ة الـ انـ ي، القاهـ ة، 3، 1992م.

12- للفـ ح الـــاني ـفي القـ اءات الـــ ع، بـ مي للـ مـ ر ،ـتح: عـ العـــ بـ ناصـ الـّ ، مـ ة الـ لـ فهـ الـ ة، 1417هـ.

13- كـ اب الـ عة في القـ اءات، ابـ مـ اهـ ،ـتح: شـ قي ضـ ، دار الـعارف، مـــ ، 2، 1400هـ.

14- الـ اب، سـ ـه، تـ قـ : عـ الـ لام هارون، دار الـ ، بـ وت، 1991م.

15- الـ ـــ عـ وجـ ه للقـ اءات الـــ ع وعللها، مـــي،ـتح: الـــ خ عـ للـ حـ الـ هـ ني، دار الـ يـ ، القاهـ ة، 2007م.

16- الـ الـائ ،لبـ الأثـ ،تـح: أحـ الـ في، وـ و لنـة، دار نهـ ـة مـ ـ ، القاهـ ة.

17- معـاني للقـ اءات، الأزهـ ،تـح: الـ خ أحـ فـ الـ ـ ، دار الـ العلـ ـة، بـ وت، 1992م.

18- معـاني للقـ آن وعلـ ـه، الـ جاج،تـح: عـ الـ لـ عـ ه سلـ ي، دار الـ ـ ،بـ وت، 1988م.

19- معاني القـ آن، للفـّاء،تـح: أحـ يـ سـ نـ ـاتي، علـي الـ ـار، دار الـ ـور، بـ وت، د.ت.

20- معـ القـ اءات القـ آنـ ة، أحـ مـ ـار عـ ، وعـ العـالي سالـ مـ م، عالـ الـ ـ ، 3، 1987م.

21- مفـ اح الأغاني في القـ اءات والـ عاني، الـ ماني، تح: عـ الـ مـ ـ فيـ مـ لج، دار ابـ حـ م، بـ وت، 2001م.

22- الـ ضّـحـ في وجـ ه القـ اءات وعللها، الـ ـ از ،تـح: عـ للـ حـ لـيـ ا بـ ر، دار الـ اة للـ ي ا، 2007م.

23- الـ في القـ اءات العـ ، ابـ جـ ر ، دار الـ العلـ ة، بـ وت، 1998م.

24- ذ ـ ة الـ ـ العـ ـي في ضـ ء مـ اهج الـ ـ اللغـ الـ ـ ي ، نهـاد الـ سى، دار الـ ، الأردن، 1987م.

Arts College JOURNAL

Periodical refereed biannual - issued : College of Arts - University of Tripoli